بحوث الندوة العلمية حول كركوك

مجموعة من الباحثين

دار ئاراس للطباعة والنشر

السلسلة الثقافية

*

صاحب الإمتياز: شوكت شيخ يزدين

رئيس التحرير: بدران أحمد حبيب

***

العنوان: دار ئاراس للطباعة والنشر - حي خانزاد - اربيل- كُردستان العراق
ص.ب رقم: ١

كـركـوك

بحوث الندوة العلمية حول كركوك

٣-٥ نيسان ٢٠٠١

أربيل

اسم الكتاب: كركوك - بحوث الندوة العلمية حول كركوك - ٣-٥ نيسان ٢٠٠١ - أربيل
تأليف: مجموعة من الباحثين
من منشورات ئاراس رقم: ١٥٤
التصميم والإخراج الفني: شاخوان كركوكي
الغلاف: شكار عفان النقشبندي
خطوط الغلاف: الخطاط محمد زاده
تنضيد: نسار عبدالله
تصحيح: عبدالرزاق عبدالله
الإشراف على الطبع: عبدالرحمن محمود
الطبعة الأولى: مطبعة وزارة التربية - أربيل ٢٠٠٢
رقم الإيداع في مكتبة المديرية العامة للثقافة والفنون في أربيل: ٢٠٠٢/٣٢٧

تقديم

القاريء الكريم...

إن فكرة عقد مؤتمر علمي – أكاديمي حول كركوك لم تكن محاولة لإثبات كردية أو كردستانية هذه المدينة، وذلك لأنّ كردية وكردستانية كركوك أمران لا جدال فيهما ولسنا على إستعداد لمناقشتهما.

الفكرة إنبثقت من أنّ هذه المدينة، شأنها شأن بقية مدن العالم، لها تاريخها المشرّف. وفي الوقت عينه فإنّ مدينة كركوك تتعرض منذ سنين، من القرن المنصرم والى اليوم، الى حملة تعريب مكثّفة دون مراعاة لأية قيم دينية أو إنسانية، فهي تعاني وضعاً غير طبيعي وضغوطاً جبارة من جراء سياسة التعريب. أمّا الكرد من جانبهم فلم يبذلوا ما يستحق الذكر من الجهد لتشخيص الجراح التي خلّفها العدو في جسد هذه المدينة التي كانت ولاتزال موطناً للكردايَتي والنضال، وهي الآن عرضة لرياح التخريب والتغيير لسماتها الحضارية. وها هي روح الكُردايَتي تنادينا جميعاً ليعمل كلٌّ من عنده ويساهم ولو مساهمة متواضعة في التخفيف من آلامها وتحريرها من قبضة أولئك الأعداء وإعادتها الى الحظيرة الكردية، ولكي لانظل في موقف المتفرج الذي لايحرك ساكناً حيال ما تعانيه هذه المدينة العريقة الغالية. فالعدو قد أغمد خنجره المسموم ودون رحمة في جسد هذه المدينة وهو ماضٍ في تمزيق أوصالها بشتى السبل فها هو يغيّر دون حياء الأسماء الكردية العريقة التي باتت منذ سنين عديدة سمة وهوية لهذه المدينة والقصبات والقرى والجبال والوديان فيها ليسميها بأسماء عربية لا رباط يربطها بها.

ولكي لاتقرأ الأجيال القادمة تاريخاً محرفاً مشوها لهذه المدينة رأينا، وبمعزلٍ عن سيطرة العاطفة والأحاسيس وما تجود به القرائح من شعر ونثر حيال ما يجري، أن نطرق الجوانب التاريخية والإقتصادية والإجتماعية والجغرافية والسياسية والقانونية المتعلقة بهذه المدينة وسكانها بأسلوب علمي أكاديمي فبادرنا بمناقشة الأمر مع عدد من السادة الأساتذة في جامعات كردستان لغرض الشروع في البحث والتمحيص في صفحات التاريخ والوثائق ذات العلاقة وجمعها وتدوينها كي لاتخفى الحقائق عن الأجيال القادمة، ولكي لاتقرأ تلك الأجيال التاريخ مشوّهاً، بل تعرف تمام المعرفة النوايا الخبيثة التي دفعت أعداء هذه الأمة الى تشويه السمة الكردية لهذه المدينة المناضلة من خلال إتباع سياسة عنصرية هدفها إستلاب هذه المدينة من الكرد وتغيير طابعها الكردي وبالتالي تحويلها الى مدينة عربية.

إنّ على العدو الغاصب أن يدرك تماماً أنّ سياسته العنصرية التي تتمثّل في ترحيل الأبرياء من ديارهم وإغتصاب ممتلكاتهم وسلب أراضيهم وعقاراتهم هي سياسة عقيمة لن تتمخض عن شيء،

ولدينا الدليل التاريخي الذي يثبت هذا، فخلال إنتفاضة الشعب الكردي التاريخية تمّ في ٢١ آذار ١٩٩١ تحرير مدينة كركوك، وخلال ٢٤ ساعة فقط من تحريرها لم يبق في هذه المدينة عربي واحد من كانوا قد جيء بهم لتعريب المدينة بل عاد هؤلاء جميعاً من حيث أتوا. ونحن واثقون أنّ ذلك سيتكرر قريباً وسيغادر أولئك العرب أرضنا ويعودون الى مواطنهم.

كما ينبغي أن لايغض أي كردي شريف الطرف عن هذه الأوضاع والممارسات ويشمّر عن ساعد الجد للرد على هذه الإجراءات اللاإنسانية ويقطع الطريق على تلك الخطط التي تستهدف مدينة كركوك، وهي خطط بعيدة كل البعد عن كافة القيم الدينية والدنيوية والأخلاقية. وينبغي أن نرد بشدة عليها ونعمل جميعاً على إحباطها. لهذا وبمجرد طرح فكرة عقد مؤتمر حول كركوك تقدم العشرات من أبناء الشعب الكردستاني ومناضليه معبرين عن إستعدادهم للمشاركة في هذا الجهد الميمون، وشرعوا بكل جد وإخلاص في البحث عن المصادر والوثائق والكتب المتعلقة بكركوك، وقد تلقينا (٣٨) بحثاً، إختارت لجنة من الخبراء (١٤) منها لتقديمها ومناقشتها في المؤتمر، أما البقية فقد كانت ايضاً بحوثاً قيمة ولم تكن بعيدة عن الهدف المرجو من المؤتمر إلاّ أن لجنة التقييم العلمي فضلت طرح هذه البحوث الـ(١٤) فقط خلال أيام المؤتمر الثلاثة على أكثر من (٣٨٠) مشاركاً في المؤتمر قادمين من كركوك والسليمانية وأربيل ودهوك.

وقد تمت خلال ثلاثة أيام مناقشات مستفيضة لغرض إتخاذ قرارات وتقديم مقترحات للمؤتمر تستهدف إغناء البحوث المقدمة. وينبغي أن لاننسى هنا الإشارة الى أنّ الشرط الأساسي لقبول البحوث في المؤتمر كان إبتعادها عن سيطرة العاطفة والأساليب الأدبية الخطابية والشعارات الطنانة، وأن تكون بحوثاً أكاديمية تستند الى الأسس العلمية والتاريخية. ويرى المراقبون وذوو الإختصاص أن هذا المؤتمر كان أفضل وأنجح الأعمال ذات الصلة بما يجري في كركوك سواء داخل كردستان أو خارجها، وأنّ من أفضل أعمال المثقفين الكرد. هذا وقد حرصنا في عملنا هذا على عدم إغفال دور أبناء القوميات الأخرى من تركمان وآشوريين وكلدان والذين لبّوا بجد نداءنا وكان لهم دورهم المشهود في المؤتمر من خلال تقديم البحوث والمشاركة في المناقشات التي شهدتها قاعة المؤتمر خلال أيام إنعقاده.

برزت في المؤتمر الرغبة الجامحة لأبناء هذه المدينة على إختلاف إنتماءاتهم العرقية لإثبات كردستانية كركوك، كما برز رفض الجميع للسياسة الشوفينية المتبعة تجاه كركوك وشعورهم بالآلام التي تعانيها هذه المدينة العزيزة على الجميع. هذا وقد عزمنا جميعاً على الرد على الجرائم الجبانة التي ترتكب بحق كركوك وتلك الحملة العنصرية وإدانتها. ومن هنا تبرز أهمية التآخي والتعاضد بين الشعوب لتثبت للعدو أنّ كركوك هي مدينة التآخي والتعايش لا مدينة العرب، بل يجب أنْ تظلّ في كلّ الأحوال والظروف جزءً من أرض كردستان وهذه واحدة من القضايا المركزية لشعبنا الكردستاني.

عارف طيفور

پيرمام ٢٥ كانون الأول ٢٠٠١

كلمة ممثل الرئيس مسعود البارزاني

ألقاها السيد جوهر نامق سالم ، سكرتير المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكُردستاني

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها السادة الحضور

إسمحوا لنا قبل كل شيء أن نبلّغ إليكم تحيات رئيسنا العزيز الأخ مسعود البارزاني، وأعضاء المكتب السياسي لحزبنا الديمقراطي الكُردستاني، وأن نقدم التهنئة الى اللجنة المشرفة على هذا المؤتمر، المؤتمر العلمي الأكاديمي لكركوك، ونثمن عمله. متمنين قيامه بأداء أعماله بنجاح تماماً بنفس الروحية والشكل المنظمَين والموفَقين اللذين أدّاهما الى الآن، بعد تقديم الدراسات والبحوث التي أعدت للمؤتمر واثرائها، والتوصل الى أهدافه المباركة بإتخاذ القرارات والمقترحات والتوصيات ليس لكركوك فحسب – المدينة العزيزة لكُردستان – بلْ بشأن كافة مدننا وقصباتنا الأخرى كذلك، والتي تتعرض منذ أمد بعيد الى حملات تغييرها وتشويه واقعها وأصالتها القومية كمدن: مندلي، وخانقين، ومخمور، وكفري، وزمار، وسنجار، وشيخان، ومناطق عديدة أخرى.

أيها الأخوة

من اللائق جداً أن ينعقد هذا المؤتمر العلمي تحت شعار المقولة القيمة للبارزاني الخالد:

(إن كركوك حتى وإن لم يبق فيها كُردي ستظل كُردستان أبداً)

لأن البارزاني الخالد، القائد التاريخي لم يكن على إستعداد بأي حال من الأحوال، وأمام أية قوة، وتحت أية ظروف المساومة على شبر واحد من أرض الكُرد وكُردستان، فقد كان بحكم تجربته وحكمته ونظرته البعيدة وواقعيته، يعلم تمام العلم أهمية مدينة كركوك، ويدرك لماذا أصبحت كركوك بؤرة لكافة الممارسات العنصرية، ولاسيّما تعريبها وتهجير سكانها وتشويه سماتها وملامحها الكُردية. كما ولم يكن كائن مَن كان يجاريه في القناعة بأن هذه الممارسة والسياسة اللاإنسانية لاتنفَعُ في شيء، ولاتصل الى نتيجة، وأن المخططين لها لنْ يجنوا من ورائها غير الخيبة والخذلان

والعار، لذلك ظل مصراً على كُردستانية كركوك كمدينة للتآخي والتسامح القومي والديني والمذهبي، ولذلك أيضاً إعتبر كركوك «قلب كُردستان».

إن أي كُردي لم يعانِ مثل ما عاناه البارزاني الخالد في حياته النضالية، بل حتى انه في ظروف غير مناسبة، وغير متكافئة، وبالغة الدقة والخطورة عَرّضَ مصيره الشخصي كفرد، وكقائد ومرشد أمّة الى الخطر من أجل كركوك، لذلك فبقدر ما تعمق حب كركوك في قلب البارزاني الخالد، فإنه اليوم كذلك بنفس القَدَر يترسخ حب وتقدير ووفاء البارزاني الخالد الى الأبد في قلوب جماهير كُردستان عامة، وجماهير كركوك بشكل خاص، وإني لعلى ثقة بأن مؤتمر كركوك سيولي هذا الجانب إهتماماً خاصاً.

أيتها الأخوات والإخوة الأعزاء

على إمتداد ثلاثة أيام، إعتباراً من اليوم ولغاية ٥-٤-٢٠٠١ تحتضن أربيل القلعة والمنارة، أربيل المحطِّمة لعنجهية هولاكو وإستبداده، أربيل العاصمة وحاضرة المجلس الوطني لكُردستان وحكومة الإقليم، وفي ظل الحب والحنان الحارَّين لرئيسنا العزيز مسعود البارزاني والحزب الديمقراطي الكُردستاني، وبمبادرة وهِمّة المنظمات الجماهيرية والمهنية والتعاون والتنسيق الجِدّيْن والبارِزَيْن لجامعة صلاح الدين، ومركز برايتي للدراسات والبحوث، تحتضن المؤتمر العلمي الأكاديمي لكركوك بمشاركة العشرات من العلماء والأساتذة والإختصاصيين في مختلف المجالات العلمية في جامعات: صلاح الدين/ أربيل، ودهوك، والسليمانية، يكرسون جميعاً جهودهم لبيان الحقائق وتوضيحها من كافة الوجوه بصدد:

- كردستانية كركوك، تاريخها القديم والحاضر، جغرافيتها، موقعها الستراتيجي في المنطقة، إقتصادها وثرواتها، وضعها الإجتماعي والديموغرافي، تعدديتها القومية وتسامحها الديني والمذهبي، وتعريب وتغيير طبيعتها القومية وتهجير أهلها، إدانة مؤامرات وخطط العنصريين والشوڤينيين لمحو وإزالة الملامح والسمات الكُردية فيها، نضال وكفاح أبناء هذه المنطقة، ومشاركتهم وتضحياتهم في كافة إنتفاضات وثورات كُردستان. هذا إضافة الى تقديم ومناقشة عشرات المواضيع القيمة، متمنّين أن يكون المؤتمر بداية مناسبة وأساساً صُلْباً لوضع برنامج منظم لتوعية جماهير شعب كُردستان، وتزويدهم بِعدد العلم والحقائق التاريخية والجغرافية ضد مخاطر سياسة التعريب والتهجير، كما وينبغي إظهار حقيقة: وهي أن هذا النمط من الممارسات والخطط السياسية كما أشار اليها الرئيس البارزاني مؤخراً لاتخدم بأي حال روح الأخوة والوئام بين الشعوب العراقية، ولايفسح المجال لإعادة الثقة، ولايخدم سوى مصالح الأعداء، لأن كل أصحاب الضمائر الحية، والقيم الإنسانية، وبنود الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والإتفاقيات المبرمة حول حقوق الإنسان، وكافة المواثيق والمعاهدات الدولية تؤكد على إحترام حقوق الشعوب، والتعايش والصداقة، والتسامح وحب الشعب والوطن وترفض القمع والظلم، وإنتهاك وإغتصاب

حقوق الإنسان وتدينها وتعاقب مرتكبيها.

لقد آن الأوان أن نشمرّ بلا تردد أو استحياء عن ساعد الجدّ لعرض مسألة تعريب كركوك، وكذلك تعريب مناطق مندلي، وخانقين، وسنجار، ومخمور، وكفري، وشيخان وغيرها... وتنظيم مراكز البحوث والمتابعة لها. فحتى وإن كنا على خلاف حول المسائل الأخرى، فمن الواجب أن يَزول هذا الخلاف حول كُردستانية كركوك، والمناطق التي جرى تعريبها، ينبغي أن تكون المسألة نقطة جوهرية لتوحيد صفوفنا، علينا توعية الجالية الكُردية في الخارج، وتأسيس الجمعيات والمراكز والإتحادات لها بالتعاون والتنسيق مع الآخرين بغض النظر عن مواقفهم وإنتماءاتهم السياسية، فها إنّ أحقاد وبغض الشوفينيين وصلت حدود مدينة أربيل العاصمة. إنهم لايكتفون بتهجير وترحيل الكُرد من كركوك وغيرها من مدننا وقصباتنا، أو بجلب العرب اليها، أو بهدم المدن والقصبات، أو بإزالة الملامح والسمات الكُردية في أماكننا ومواقعنا التاريخية فحسب، بل لقد وصل الأمر حدّ التلاعب والعبث بمقابرنا، وأن يحاولوا حتى تعريب الموتى.

أيها السادة

إن عالمنا اليوم، وقواعد السياسة الدولية التي توكد على الديمقراطية وإحترام حقوق الإنسان، وحق الشعوب، وحل المشاكل والقضايا عن طريق الحوار والتفاهم، والواقع الراهن لكُردستان، وتجربتنا هذه، وإمكاناتنا وقدراتنا الذاتية، والجالية الكُردية في الخارج، والمحافل والمراكز الدولية كافة التي تهتم عن قرب أو بعد بهذه القضايا، وكذلك واقع النظام في بغداد والقرارات الدولية ولاسيما القرار ٦٨٨؛ هذا كله إضافة الى عوامل أخرى تتعاون جميعاً وتساعد على إيصال هذا صورة هذا الظلم الى كافة الذين بوسعهم التضامن معنا بهدف وضع حد لهذه الحملة، هذا هو الواجب الرئيسي للكُرد قبل أي شخص آخر، وقد ولى الزمن الذي كان فيه الأعداء يمارسون الإبادة ضدنا بهدوء حسب أهوائهم.

أيها الأخوة

في الوقت الذي كنا في الحزب الديمقراطي الكُردستاني منذ تأسيسه قبل (٥٤) عاماً نعمل دوماً ونناضل من أجل التآخي والتعايش، ومعالجة القضية الكُردية سلمياً وعن طريق الحوار بإقرار الفدرالية ضمن عراق ديمقراطي موحد وتأمين وتحقيق طموحات شعبنا، بنفس الروحية أيضاً واجهنا سياسة التعريب والتهجير، وهدم مدننا وقصباتنا. وكانت هذه السياسة دوماً نقطة مركزية وجوهرية على إمتداد ثورة أيلول بقيادة البارزاني الخالد، وفي ثورة گولان، وفي كافة مراحل الحوار بين الثورة الكُردية والحكومة المركزية، كانت كركوك بشكل خاص والمناطق التي تعرضت للتعريب عامة نقطة الخلاف الرئيسية، وليست كركوك فحسب، بل أن أي شبر من أرض كُردستان ما كان موضعاً للمساومة أو التنازل، وليس لأحد الحق في إحتلالها أو تشويه واقعها الكُردي، كما وليس لأيٍّ الحق

في المساومة حولها أو التنازل عنها.

من هنا ندعو ثانية الحكومة المركزية في بغداد للكفّ عن سياسة التعريب والتهجير، الذين هجّروا، والذين سُجِّلوا قسراً عَرَباً، وكل الأخوات والأخوة شباباً وشيوخاً، ونقول لهم إن يوم الحرية والخلاص من هذه السياسة الخاطئة قريب، وسنلتقي جميعاً، سواء اليوم أو غداً ويعود كل شبر من هذه الأرض المباركة الى أصحابها... هذا هو منطق التاريخ ونهج الحق والعدالة. إن أمن وسلام ومعالجة مشاكل العراق وإستتباب الواقع السياسي والإقتصادي للوطن منوطة بالإعتراف بحقوق الشعب الكُردي، وإن أساس هذا الواقع هو إيقاف سياسة التعريب والتهجير ومحو كلّ أثر من آثار هذه السياسة.

تحياتنا وتقديرنا البالغ الى كل الجماهير المناضلة والصامدة في كركوك والمناطق الأخرى التي تتعرض لحملات التعريب والتهجير.

تحية الى روح الأخوة والتعايش والوئام بين الشعوب العراقية.

الموفقية والنجاح لمؤتمر كركوك.

عاشت كركوك – قلب كُردستان

عاش الكُرد... وعاشت كُردستان.

كلمة محافظة أربيل

ألقاها السيد اكرم منتك محافظ أربيل

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ ممثل الرئيس مسعود البارزاني المحترم

السادة ضيوف مؤتمر كركوك المحترمون

السادة الحضور الكرام

يسرّنا، ونحن لمّا نزلْ نستذكر بحرارة الذكرى السنوية العاشرة للإنتفاضة المجيدة الشاملة في كُردستان، والذكرى السنوية العاشرة لتحرير كركوك، أن ينعقد اليوم في أربيل عاصمة الإقليم المؤتمر العلمي الأكاديمي حول كركوك بهذا الإهتمام، وهذه الأهمية، وهو بلاشك خطوة مباركة بحاجة الى جهود وطاقات كافة المخلصين لاثارة مسألة كركوك بشكل متواصل، وتفعيل محاولات عودتها الى أحضان كُردستان كمسألة حيوية مرتبطة بالحل العادل والمشروع للقضية الكُردية.

أيها الحضور الكرام

إن سياسة التعريب وتهجير السكان الأصليين لمدينة كركوك ومناطقها، وإسكان العرب محلهم، وتغيير الجغرافيا السياسية، والخارطة الإدارية للمحافظة، وأسماء قصباتها وأحيائها وقراها سياسة عقيمة شاذة لاتؤدي الى نتيجة غير الخداع والتضليل اللذين لايغيران شيئاً من حقيقة كُرديتها. لذلك فقد إعتبر البارزاني الخالد مبكّراً هذه السياسة سياسةً سخيفةً وتافهة أدانها وشجبها بقوله:

«إن مدينة كركوك حتى وان لم يبق فيها كُردي واحد ستظل كُردستان أبداً»

وبهذا أثبت بأن التاريخ والحقيقة لايمكن تزييفهما، وأن النماذج والتجارب الحية للتاريخ المعاصر شاهدة على هذه الحقيقة، وإحدى هذه التجارب هي إنتفاضة عام ١٩٩١ وتحرير كركوك حيث تداعَتْ خلال ساعاتٍ قلائل وسقطت كافة الآثار الغريبة والطارئة وغير الأصيلة، وتعانقت شعلتا نوروز وباباگرگر جاعلتين من كُردستانية كركوك حقيقة ساطعة غير قابلة للشك.

أيها الإخوة الحضور

نتمنى أن تقيّم مناقشات ودراسات وبرامج مؤتمركم بالنظرة الشمولية كافة العوامل والمسبّبات المتعلقة بمسألة كركوك، وعرض التوضيحات الجيدة حول المؤثرات الإيجابية لكُردستانية كركوك على المستقبل والأوضاع السياسية والإقتصادية والحضارية لعراق فدرالي مستقبلي خلال بحوثكم، والخروج من القوالب العادية والنظرة الساذجة والتوجه بخطوات حثيثة الى الرأي العام العالمي ومراكز أصحاب القرار اليوم، وتعريفها بالوجه الناصع لتجربتنا.

تحية الى الجماهير الصامدة لكركوك قلب كُردستان في دفاعهم عن كُردستانية كركوك...

تحية لصمود جماهير خانقين وسنجار ومخمور وزمار وتلعفر وغيرها من المناطق...

تحية الى المهجّرين ومرحّلي كركوك أُباة الضّيم...

شكراً للمكتب المركزي للمنظمات الجماهيرية والمهنية، ولجامعة صلاح الدين ومركز برايةتي للدراسات لتنظيم هذا المؤتمر.

المجد والخلود لشهداء كُردستان وفي مقدمتهم البارزاني الخالد والطيب الذكر أبداً الفقيد إدريس البارزاني.

كلمة ممثل رئاسة المجلس الوطني لكُردستان العراق

ألقاها السيد ناصح غفور رمضان ، عضو المجلس الوطني ورئيس كتلة الحزب الديمقراطي الكردستاني البرلمانية

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد ممثل الرئيس مسعود البارزاني الأخ جوهر نامق سالم سكرتير المكتب السياسي لحزبنا الديمقراطي الكُردستاني
السيد ممثل حكومة أقليم كُردستان العراق
السيد جلال جوهر ممثل مكتب الإتحاد الوطني الكُردستاني
السادة أعضاء اللجنة العليا لمؤتمر كركوك

أخواتي وأخوتي الأعزاء

سادتي الحضور الكرام

بإسم رئاسة المجلس الوطني لكُردستان العراق، وشخص السيد رئيس المجلس الدكتور روژ نوري شاويس، أتقدم اليكم بأعمق وأحرّ التهاني لمناسبة عقد هذا المؤتمر العلمي الأكاديمي لمدينة كركوك، أتمنى أن يكون موتمراً نوعيّاً غنياً ونافعاً للكُرد وكُردستان، وترسيخ تجربتنا وتطويرها من كافة النواحي. أرحب بكم جميعاً وأثني على المشرفين على هذا المؤتمر.

لقد كان القائد البارزاني الخالد في حياته، وخلال نضاله الدؤوب والمتواصل من أجل تحرير الكُرد وكُردستان، ونيل الحقوق القومية العادلة لشعبنا الصامد، يولي إهتماماً خاصاً بكركوك من حيث تحديد الحدود، والشكل السياسي، وسلطة كُردستان ضمن عراق مشترك، وكان دوماً يصرّ خلال المفاوضات والحوار مع الحكومة المركزية في بغداد على كُردية كركوك، ولم يكن على إستعداد بأي حال للمساومة حول هذه المدينة الكُردستانية العريقة، ولهذا فإن السائرين على نهج البارزاني الخالد يحملون اليوم نفس الروحية والإعتقاد ونفس المواقف، ولن يتخلوا عن كركوك، لأنها كانت منذ أقدم العهود مدينة كُردية كبيرة لكُردستان، ومركزاً حضارياً عريقاً لشعبنا، مدينة القوميات والأديان

والتآخي والوئام والتسامح، ومنطقة ستراتيجية وغنية بالخيرات والثروات، مدينة باوەگورگور ذات النار الأزلية الملتهبة التي ترمز الى الحياة واحياء كُردستان. ولذلك وصفها البارزاني الخالد بأنها قلب كُردستان، فالمرء لن يكون بلا قلب، وكُردستان كذلك لن تكون بلا كركوك.

لكن للأسف فرغم كافة الثورات والنضال وإراقة الدماء والتضحيات والمآسي التي شهدها الكُرد وكُردستان، لاسيما كركوك، لاتزال هذه المدينة العزيزة تخضع لهذا النظام الذي يواصل دوماً إتباع سياسة الإبادة وتغيير الطابع القومي وطمس الهوية القومية، وإزالة آثارها التاريخية المعروفة بما فيها قلعتها التاريخية العريقة لإخفاء الملامح الكُردية والكُردستانية للمدينة. لذلك فإن إنعقاد هذا المؤتمر والإهتمام بجمع كل ما له علاقة بكركوك يعتبر خدمة جليلة ولائقة لقضية شعبنا وللكُرد وكُردستان.

ولهذا أيضاً نرى لزاماً وواجباً علينا سواء بإسم المؤتمر أو بإسم المجلس الوطني، وحكومة الإقليم، أو بإسم الأحزاب والمنظمات السياسية والجماهيرية أن ندعو المؤسسات الرئيسية والمختصة في منظمة الأمم المتحدة والمنظمات الدولية الأخرى والرأي العام العالمي والدول والجهات صاحبة القرار في هذه المنظمات الدولية مساعدة الشعب الكُردي ونجدته، مثلما هبّوا لنجدة شعبنا في الخامس من نيسان عام ١٩٩١ أيام نزوحه الجماعي بإصدار القرار ٦٨٨ من قبل مجلس الأمن الدولي والذي يُعَدّ إنعطافة جديدة في تاريخ الكُرد وكُردستان. ومنذ عشر سنوات وبفضل هذا الدعم والتأييد تتواصل تجربة كُردستانية فريدة على أسس التعددية القومية والحزبية والديمقراطية الحية في الشرق الأوسط والأدنى، نتمنى مواصلة وإستمرار هذا الدعم والتأييد وإتخاذ الخطوات العملية لتفعيل وتطبيق فقرات ونقاط القرار ٦٨٨ والوثائق الدولية ذات العلاقة بحماية الكُرد وكُردستان، ولمصلحة شعبنا، والضغط بشكل خاص على النظام المركزي ليكف عن سياساته غير العادلة التي يمارسها ضد شعب كُردستان عامة، وكركوك بشكل خاص، والإعتراف بالحقوق المشروعة لشعبنا على أساس الفدرالية، الهدف الطموح لشعب كُردستان، والمجلس الوطني الذي أقر النظام الفدرالي بجلسته المرقمة (٣٨) في ٤-١٠-١٩٩٢.

النجاح والتوفيق لمؤتمر كركوك

المجد والخلود لشهداء كُردستان عامة وشهداء كركوك وگرميان خاصة وفي مقدمتهم الأب الروحي لشعبنا البارزاني الخالد والطيب الذكر أبداً الفقيد أدريس البارزاني.

عاش الكُرد... وعاشت كُردستان.

كلمة ممثل حكومة إقليم كُردستان العراق

ألقاها الدكتور جمال عبدالحميد وزير الصحة في حكومة الإقليم

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد ممثل الرئيس البارزاني المحترم

السادة الحضور الكرام

أيتها الأخوات والاخوة

يُعَدّ الشعب الكُردي أعرق وأقدم شعب لايزال يعيش على أرضه ووطنه، وهو غير متمتع بدولته القومية، ولم يكن السبب في ذلك لكونه شعباً متوحشاً أو بدائياً أو محباً للقتال، أو لأنه محاط من كافة الجهات؛ كلا، بل السبب في ذلك يعود الى نأي هذا الشعب المسالم بنفسه عن الحروب والإقتتال، وحبه للسلام. فالشعب الكُردي كان دوماً وفي كل الظروف مساهماً ومتعاوناً في بناء حضارة المنطقة في كافة المجالات. قبل قرن من الآن عندما برز المفهوم القومي كمفهوم سياسي، كان للشعب الكُردي حضوره ودوره من أجل نيل طموحاته وحقوقه المشروعة في هذا الميدان، داعياً الى العيش بوئام مع الأمم والشعوب المجاورة، وإستعداده لتقديم مزيد من الخدمات للمنطقة، ازاء دعوة الشعب الكُردي السلمية هذه حِيكت المؤامرات، وطُبقتْ بحقه الخطط العدوانية، بمعنى آخر أن الشعب الكُردي لم يقم بأية ثورة أو إنتفاضة مسلّحة طوْع إرادته ورغباته... بل إختار الحالات المفروضة عليه حينما لم تبقَ أمامه ولو أدنى فرصة مناسبة. وفي كُردستان العراق حيث نسبة السكان فيها لها ثقلها الخاص، فإن وجود هذه النسبة العالية من جهة، وفقدان أبسط الحقوق القومية في هذه الدولة من جهة أخرى، كان ولا يزال سبباً لإستمرار ومواصلة الإنتفاضات والثورات الكُردية دوماً. أضفْ الى ذلك وجود قيادة فذة وحكيمة وذات تجربة تقود الحركة التحررية الكُردية في كُردستان العراق على إمتداد أكثر من خمسين عاماً، لم تساوم قط على الحقوق الأساسية لشعبنا، ولم تتوان في مسيرتها تحت أي ظرف وهي مستعدة دائماً للنضال من أجل تحقيق الحقوق العادلة للشعب الكُردي.

لقد إستطاع القائد البارزاني الخالد المعروف في العالم أجمع بأنه هوية ورمز وقائد الشعب الكُردي، إستطاع في نهاية الستينات من القرن العشرين إجبار الحكومة العراقية على الإعتراف بالحكم الذاتي لكُردستان العراق، تلك الإتفاقية التي تعتبر أهم وثيقة رسمية تعترف بوجود الشعب الكُردي كقومية وكيان والتي تحققت على يد هذا القائد الكبير. وكانت مسألة كركوك إضافة الى مناطق خانقين، ومندلي، وزمار، وشيخان... وغيرها نقطة الخلاف الرئيسية في فشل هذه الإتفاقية التي فرضت نفسها بشكل بارز على الساحة السياسية.

كانت الحكومة العراقية تريد أن تقع مدينة كركوك الكُردية خارج إطار الإتفاقية، لكن قيادة الثورة الكُردية أصرت على أن كُردستان لايمكنها بأي حال من الأحوال أن تعيش بلا قلب. لذلك فإن كُردية كركوك من النواحي التاريخية والجغرافية والبشرية لاتحتاج الى أدنى دليل حتى «ولو لم يبق في كركوك أي كُردي فهي كُردستان أبداً» هذه مقولة القائد البارزاني الخالد حول هذه المدينة العزيزة من كُردستان، وقد كان لوجود الثروات الغنية فيها السبب الرئيسي لكي تتوجه انظار الحكومات العراقية المتعاقبة الطامعة نحوها، وبدل القيام بإستثمار هذه الثروات لخدمة الشعب العراقي وتطويره بشكل عام، إستغلتها على النقيض من ذلك لأغراض الهدم وإضطهاد ومحاربة الشعب العراقي عامة والشعب الكُردي خاصة، وذلك نتيجة إتباع سياسة هزيلة وشوفينية.

إن كركوك في طليعة المدن المظلومة تاريخياً، بل نالت الحصة الأعظم من الحيف والظلم، فقد وُضعت الخطط لتغيير سماتها وملامحها الكُردية منذ بداية الثلاثينات من القرن المنصرم، ومورست على الدوام بحقها سياسة التعريب والتهجير. وهذه المحاولات أزاء مدينة كركوك لاتنتهي حتى يتم وضع الحقائق في أماكنها والإعتراف بأصالتها الكُردية، وإلاّ فإن الحركة التحررية الكُردية تعمل في الظروف المناسبة بأي شكل من الأشكال وبأية وسيلة من الوسائل لتحقيق هذا الهدف. إن الشعب الكُردي لم يطمع أبداً ولو في قرية واحدة من قرى غيره من الجيران، بل جاهد دوماً وبكل قدراته من أجل البناء والتعايش. فالمطالبة بكركوك من قبل الشعب الكُردي دليل وجود فضاء أكثر رحابة وأكثر شمولية، وقبول بالمشاركة، وهذا تجسيد للديمقراطية، ويتناسب وروحية الحركة التحررية لشعب كُردستان ويتفاعل معها. ولحسن الحظ فإن لغة الحوار والمناقشة في عالم اليوم أضحت لغة العصر. وكلما كان هذا العمل معتمداً على البحث والإستقصاء والدراسة العلمية يكون أكثر أهمية وفاعلية في تحقيق الأهداف والطموحات. ولاشك أن عقد مؤتمرات من هذا القبيل، يعتبر خطوة ضرورية وهامة للتوصل الى النتائج المرجوة. إنني بإسم حكومة إقليم كُردستان العراق أتمنى بحرارة النجاح والتوفيق للمؤتمر، فإنجاز هذا الواجب القومي من أحد طموحات القوميات والأمم المظلومة.

وختاماً لايسعنا إلاّ أن نحيّيَ نضال وصمود كافة الأخوات والإخوة المهجّرين المجبَرين على ترك مدينتهم كركوك قلب كُردستان، وتحيات عطرة الى أرواح كافة شهداء الكُرد وكُردستان، وفي مقدمتهم البارزاني الخالد، والفقيد الطيب الذكر إدريس البارزاني.

كلمة محافظة كركوك

ألقاها السيد نظام الدين گلي محافظ كركوك

بدءً أرحب ترحيباً حاراً بممثل الرئيس مسعود البارزاني، وأحييي كافة الضيوف الأعزاء، وأعضاء المؤتمر متمنياً له النجاح والتوفيق. آملاً تقديم البحوث والدراسات القيمة وإثراءها بالتقييمات العلمية والموضوعية.

أيها السادة

إن كركوك كمدينة ومنطقة ستراتيجية مهمة، بما فيها منطقة (گرميان) كان لها ومنذ أقدم العصور ولازالت أهميتها وخصوصيتها... لقد كانت كركوك قبل زمن الأكديين (٢٤٠٠) عام قبل الميلاد منطقة مزدحمة وعامرة بالسكان، وعرفت عهدئذ بـ(آربخه)، ولايزال يسمى أحد أحياء المدينة بإسم (عرفه) المأخوذ من اللفظة (آربخه)... إن النار الأزلية في (باوه گرگر)، وقلعة كركوك العريقة، ومزار النبي دانيال، وقلاع: شيروانه في سهل شاكل، وكلار، وباوه شاسوار (كفري)، وباوه جمال، وباوه قَتال في منطقة گل، وعشرات المواضع والأماكن الأثرية الأخرى شواهد حية على قِدم وعراقة وأصالة هذه المدينة وهذه المنطقة...

لقد كانت كركوك مدينةً ومركزاً للعلم والثقافة والأدب والعرفان، عرفت الطباعة قبل سائر مدن كُردستان، وطبعت ونشرت العديد من الجرائد والمجلات في مطابع كركوك، وكانت معظمها باللغة الكُردية مثل: (جريدة كركوك، مجلة الشفق، نيرگز، باوه گرگر، چمچمال، باسَرّه) وصحف ومجلات عديدة أخرى. لذلك فقد برز في هذه المدينة ومنطقة گرميان العشرات من العلماء والمثقفين والأدباء والشعراء الفطاحل من أمثال: (فائز، سيد فتاح جباري، هجري دَده، رفيق حلمي، أسيري، الشيخ رضا الطالباني، صابري مامند كركوكي، خليل منور، مصطفى نريمان، لطيف حامد، والأستاذ القدير الشهيد ملا جميل الروژبياني الذي أُغتيل قبل أيام في مدينة بغداد من قبل أعداء الكُرد وأعداء تاريخه). ولايزال العشرات من كتاب ومؤرخي ومثقفي هذه المدينة أحياء يُرزَقون، وهم يقدمون خدماتهم لشعبهم ووطنهم، ويساهمون بشكل فاعل في إدارة تجربتنا الراهنة.

إن كركوك منذ أقدم الأزمان تعتبر مركز تراث ثرّ وغني، وهذا التراث جزء غير منفصل عن التراث العام لشعبنا، وفي المجال الديني ضمت المدينة عشرات المدارس الدينية والجوامع والتكايا والخانقاهات، ومن مدارسها (أحمد پاشا الأيوبي، الغوثية، وسَرا)، وجوامعها كانت مراكز ومناهل

للعلوم والمعارف، نذكر منها (منارة نخشينة (المنارة المزخرفة)، النائب، القاضي، دانيال، ملا رضا أفندي). ومن تكاياها وخانقاهاتها (تكية وخانقاه سيد أحمد خانقاه، تكية خادم السجادة، التكية الطالبانية) حيث خرّجت هذه التكايا المئات من طلبة العلوم الدينية على أيدي علماء الدين الأفذاذ وأساتذة الدين الأفاضل المعروفين مثل (ملا علي حكمت بيباني، ملا مجيد القطب، ملا معروف ملا عبدالله خدري، ملا عزيز شيخاني، ملا علي أفندي سيامنصوري، ملا أحمد الفرقان، ملا احمد الحكيم، ملا ناصح المدرس، ملا حسن نوحي، ملا رضا الواعظ، شيخ عبدالله احمد الطالباني، ملا علي فتح الله)، وعشراتٍ آخرين... وقدمت هذه المراكز الدينية والذوات الأفاضل خدمات جليلة وكبيرة للدين الاسلامي الحنيف ولشعبهم...

والى جانب هذا قدمت العشرات من الكنائس والأديرة والإخوة رجال الدين المسيحيين في كركوك خدمات كبيرة. ومن الجدير بالذكر ان كركوك في عهد الساسانيين كانت مركزاً للنساطرة، وفيها كرسي رئاسة الأساقفة.

ولكركوك ومنطقة گرميان العشرات من المقامات الكُردية الأصلية، وكانت وماتزال مركزاً لمقامات (الله ويسي، خاوكر، قَتار، الخورشيدي...)، وربّت كركوك والمنطقة العشرات من مغني المقامات الكُردية وأصحاب المواهب والأصوات الجميلة أمثال (حمه پيره، حاج نعمان، ملا حمد توپل، رشيد گوله رضا، علي مردان، حسين علي، حمه سعه دريژ، أحمد داوده، حمه كوترمل، حسن آيش، علي باوه، أحه عاصه)، وكثيرون غيرهم ممن يمثلون النماذج الأصيلة للفن والأغاني والمقامات الكُردية في منطقة كركوك وگرميان، ولإقامة الأعراس أيضاً ميزاتها وخصوصيتها الكُردية. وقد برزت مؤخراً ولاسيما بعد الأربعينات والخمسينات العديد من الفرق الفنية والمسرحية والموسيقية في كركوك منها (فرقة مشخل (الشعلة) الفنية، فرقة موسيقى سولاف، فرقة خَبات (النضال) المسرحية). وفي المجال الرياضي تأسست في المدينة العشرات من الفرق الرياضية، وكان لفرق سولاف الرياضي دوره المشهود من هذه الناحية. أما من حيث التكوينة الإجتماعية، فيتألف أهالي كركوك وگرميان العشرات من البيوتات والأفخاذ والعشائر الكُردية مثل (الجاف، زنگنه، دَلو، جَباري، گل، داوده، ساله‌يى، طالباني، شيخاني، شوان، شيخ بزَيني، كاكه‌يي، هَمَوَند، برزنجي، گيژ، زَند... إلخ) ونسبة بارزة من التركمان خصوصاً داخل مركز محافظة كركوك، وقصبات داقوق، وطوزخورماتو، وكفري، وآمرلي، وقد عاشوا دوماً بوئام وإنسجام من إخوانهم الكُرد. وكركوك مدينة التآخي القومي، وفيها أقليات أخرى، مثل: الآشوريين، والكلدان، والأرمن حيث ساد بينهم الوئام والمحبة على إمتداد التأريخ دون مشاكل تذكر.

ولمدينة كركوك تأريخ عريق، حيث لم يتضح لأي مؤرخ حتى الآن متى بُنيت وفي أي عهد، لذلك يمكن إدراج إسمها ضمن مدن العالم القديمة والعريقة... ومن الناحية المعيشية ينشغل السكان بالزراعة والبساتين والخضر التي تُروى بأنهار وجداول المنطقة كجداول وأنهار (القورية وتسن = تسعين، وبلاوه، وزيوه، وسيروان). وثمة مساحة واسعة من الأراضي في منطقة گرميان تعتمد على

مياه الأمطار في زراعة القمح والحبوب، كما توجد مراع وفيرة لرعي الحيوانات والمواشي. وأراضي كركوك وگرميان أراض خصبة، وهذا سبب رئيسي للإسكان والعمران فيها. وإضافة الى الزراعة والرعي كان لسكان كركوك والمناطق المحيطة بها أعمالهم ومهنهم الخاصة بهم، فقد كانوا مَهَرة في هذا الجانب وذوي باع طويل في الحدادة والحياكة والنجارة، وصناعة الفخار... إلخ. من جانب آخر تعتبر كركوك ومناطقها مصدراً مهماً للحبوب، لذلك كانت خاناتها منذ القدم مراكز لبيع وشراء المنتجات الزراعية كخانات: (القاضي، وأسعد بك، گاور ناصح بگ، وكُردستان)... إلخ.

وفي فترة من الفترات كان المسؤولون في كركوك من البرلمانيين ورئيس البلدية والحكام والمدراء، كانوا حتى قبل تطبيق سياسة التعريب من أصول كُردية، وقد لعب معظمهم دورهم في إدارة الدولة ومؤسساتها وخططها وبرامجها أمثال: (دارا بگ داودي، فتاح سيد خليل كاكەيي، داود بگ جاف، كريم بگ جاف، شيخ فيض، شيخ معروف برزنجي)، وفي المجال السياسي كان لأهالي كركوك وگرميان دورهم الفاعل دوماً في خدمة القضية القومية لشعبهم، وظلوا يقاومون الأعداء في الأوقات العصيبة. إن ستراتيجية كركوك والمنطقة من النواحي الإقتصادية والعسكرية والإدارية أدت لأن تكون دائماً محط أنظار السلطات والدول العظمى والمجاورة... ووجود النفط فيها وإكتشافه وإنتاجه بكميات كبيرة كان السبب في الصراع المرير حولها، وكانت النتيجة بلية كبرى ومأساة للشعب الكُردي مازال يئن تحت وطأتها الى اليوم.

لقد طالب أهالي كركوك دوماً بحقوقهم وأصرّوا عليها سواء من الناحية الطبقية أو القومية أو الوطنية، وإن إضرابات وإنتفاضات عمال النفط بشكل خاص والعمال عامة ومظاهراتهم ومواجهاتهم مع الأجهزة الحكومية في تلك العهود في گاورباغي خلال الأربعينات من القرن العشرين، وحوادث أخرى عديدة شواهد حية للإصرار على المطالبة بهذه الحقوق.

وقومياً كان للحركة التحررية الكُردية في كركوك وگرميان دورها البارز في المنطقة، كما تأسست في كركوك أيضاً الجمعية العلمية، وحزب هيوا، وحزب خويبون، وإنعقدت فيها كذلك العديد من الإجتماعات المهمة والكونفرانسات والمؤتمرات لمختلف الأحزاب والجهات السياسية التابعة للحركة التحررية الكُردية. ثورة ابراهيم خان دلو إندلعت في مناطق كفري وسرقلا، وعشائر گرميان كانت السند والدعم للشيخ محمود الحفيد في معركة آوباريك في منطقة عشيرة گل، وهذا دليل آخر لإثبات الأصالة الكُردية لمناطق گرميان وكركوك.

إن دور جماهير كركوك وگرميان في ثورة أيلول المباركة يتلألأ كالنجم الساطع في سماء الحركة التحررية الكُردية، وهو دور مشرّف ولائق في المنطقة حيث سالت دماء العشرات من البيشمرگه وأبناء المنطقة في هذه الثورة وإستشهدوا فداءً لشعبهم ووطنهم. إن قوائم شهداء ومعاقي كركوك وگرميان عامة في ثورة أيلول شاهدة لما نقول. وكذلك المعارك والأحداث الكبيرة في المنطقة وتوجيه الضربات المميتة والموجعة للعدو في تلك المناطق السهلية وغير الوعرة، وعند مرتفعات جبل حمرين، ومحطة القطار، وسليمان بگ، وكفري كلها صور ناطقة لأصالة المنطقة وكُرديتها. ولهذا كانت لكركوك

وگرميان وسكانهما مكانة خاصة عند البارزاني الخالد، مكانة معززة بأسمى معاني الحب والفخار والتقدير، وأضحى دور مواطني كركوك والمنطقة المشرف موضع الإعتزاز والثقة. ولهذا فقد أكد على ذلك قائلاً: (إن كركوك حتى ولو لم يبق فيها كُردي واحد تظلّ من كُردستان).

إن وثوق البارزاني الخالد بكُردية مدينة كركوك. كان السبب في دعوته اللجوء الى إحصاء المقابر والمزارات الكُردية فيها للتوصل الى نتيجة فيما إذا كان الكُرد يشكلون أغلبية السكان أم لا؟ وهذا بعد أن قامت السلطات الحكومية بتزوير سجلات ووثائق الأحوال المدنية لكركوك، ومن أجل كركوك أيضاً إندلع القتال ثانية بين الثورة الكُردية والحكومة المركزية عام ١٩٧٤.

إن أهمية كركوك لا تكمن في موقعها الجغرافي كونها بوابة كُردستان أو جسراً يربط بين المناطق الجبلية ومناطق السهول فحسب، بل هي مهمة من النواحي الإقتصادية والإثنوغرافية، والزراعية، والبترولية، ولكونها مركزاً للإتصال بين مختلف القوميات والطوائف والأديان. وكما أشرنا فإن هذه الأهمية أدت الى أن ترتبط كُردستان عامة وكركوك خاصة دون إرادة أهلها ورغبتهم بالدولة العراقية. وكما هو معروف حدث ذلك بسبب الإستفتاء الذي تم في عشرينات القرن الماضي، ولم يقبله أهالي كركوك. لذلك فإن الحكومات العراقية المتعاقبة بدأت بتعريب المحافظة بمختلف الأشكال والأساليب، ووضعت الخطط لتنفيذ مشروع ماء الحويجة عام ١٩٣٦، الذي يعتبر أول خطوة لعملية التعريب في المنطقة، وتم خلال السنوات الأربع والخمس الأولى إسكان الآلاف من عشائر عرب (العبيد، والجبور، والبو حمدان) في (٢٢٣) قرية في حوضي الحويجة والرياض. وإستمرت منذ ذلك التاريخ والى اليوم عملية إسكان العرب في المنطقة بهدف إزالة الوجود الكُردي فيها والذي تبلغ نسبته الآن أقل من ٣٧٪ بينما كان قبل تشكيل الدولة العراقية يشكلّ الأغلبية.

أما نسبة العرب حالياً في كركوك فتبلغ حوالي ٤٤٪ بينما كانوا في السابق يتركزون على شكل عائلة غريبة ومجموعة صغيرة في حي صغير من كركوك يسمى (حي الحديدية). وبسبب سياسة التعريب في كركوك تم ترحيل أعداد كبيرة جداً من العوائل الكُردية من كركوك، وتغيير سجلات الباقين منهم في دوائر النفوس وتسجيلهم عرباً بدل قوميتهم الكُردية، ومارست السلطة نفس الأسلوب مع الإخوة التركمان.

وتعرضت منطقة گرميان جراء نفس السياسة لأكبر جريمة في القرن العشرين وهي جريمة عمليات الأنفال السيئة الصيت التي إقترفت بحق الآلاف من سكان المنطقة الذين تم دفنهم في صحاري جنوب العراق ولايعرف عنهم شيء منذ عام ١٩٨٨ حتى الآن، وفي الوقت ذاته تم هدم المئات من القرى الكُردية وموورست حملات الإبادة ضد السكان.

أيها الأعزاء

إننا لنشعر بالإرتياح جداً لإنعقاد مؤتمر كركوك، ونعتبره خطوة مباركة وكبيرة لبذل المزيد من العمل لإنقاذ كركوك، وكافة المناطق الكُردية الواقعة خارج إدارة حكومة إقليم كُردستان، والإسراع في إخراج أهلها من محنتهم الكبرى التي يعانونها منذ سنوات عديدة، آملين تقديم الدراسات

والبحوث القيّمة والخروج بقرارات وتوصيات مهمة، وعرضها على الرأي العام العالمي والدولي، وحث كافة الأوساط لمساعدة سكان المنطقة والكشف عن مصير مواطني المنطقة الذين مورست بحقهم حملات الأنفال، وضمان تعويض أبناء هؤلاء الضحايا المظلومين، ومحاكمة القائمين بهذه الجرائم، وأن تلعب كذلك حكومة الإقليم دوراً أفضل لتحسين ظروفهم المعيشية، وضمان عيشهم حاضراً ومستقبلاً بشكل مناسب وحضاري من كافة الوجوه أشوة بمواطني الإقليم الآخرين. ونحن كمحافظة كركوك بدعم من الرئيس مسعود البارزاني وقيادتنا السياسية والمجلس الوطني وحكومة الإقليم وخصوصاً دعم أخينا العزيز نيچيرڤان البارزاني رئيس المجلس الوزراء، وبالتعاون مع كافة الأطراف السياسية والمواطنين، نرى لزاماً علينا أن نكون دوماً في خدمة كركوك وقضيتها، ونأمل أن تتهيأ لنا أرضية مناسبة لهذا الهدف، وأننا لعلى ثقة تامة بأننا لانلقى التقصير من جانب أحد بهذا الصدد، لأن كركوك قضية تهم الجميع، والنقطة الجوهرية ضمن قضية شعبنا... ولذلك أيضاً في نيتنا وضع موسوعة كبيرة خاصة بكركوك تضم كل ماله علاقة بكركوك من كافة النواحي، وتحقيق هذا العمل بحاجة الى قرار أو إقتراح من لدن هذا المؤتمر.

نشكر كافة الإخوة الحضور والمشاركين في إدارة أعماله، ونشكر الأساتذة والسادة المختصين الذين شاركوا بدراساتهم وبحوثهم فيه، وشكراً لأربيل العاصمة العريقة ولأهلها الكرماء لإحتضانهم هذا المؤتمر وإستضافتهم لإخوتهم مهجَّري كركوك وگرميان، ولاشك أن موقفهم هذا دليل وفائهم وشهامتهم وإرتباطهم الوثيق بالقضية القومية العادلة لشعبهم، هذه المواقف الذي لايمكن نسيانه أبداً.

والشكر الجزيل والتقدير العالي للأخ الأكبر والقائد الرئيس مسعود البارزاني لرعايته المؤتمر وإهتمامه اللامحدود بكركوك، التي تشكل الجانب الأهم من قضية شعبنا ولاريب أن موقفه هذا هو إمتداد لموقف الأب الروحي للشعب الكُردي البارزاني الخالد، ولنا وطيد الأمل بأن يتحقق على يدي سيادته النصر المؤزر النهائي...

تحية الى الشعب الكُردي البطل، والى شهدائه الأبرار وذويهم، ولشهداء عمليات الأنفال، ولكافة مظلومي كركوك وگرميان وبهدينان، وبارزان، والفيليين، وشهداء القصف الكيميائي في حلبجة.

تحية الى جماهير كركوك الصامدين بوجه ممارسات التعريب والتهجير والتشريد...

تحية الى أرواح كافة شهداء الكُرد وكُردستان، وفي مقدمتهم البارزاني الخالد والفقيد الخالد الذكر أدريس البارزاني.

ودمتم موفقين.

كلمة اللجنة العليا لمؤتمر كركوك

ألقاها الأخ عارف طيفور ، عضو اللجنة المركزية للحزب الديمقراطي الكُردستاني ، مسؤول مكتب المنظمات الجماهيرية والمهنية

الأخ ممثل الرئيس البارزاني السيد جوهر نامق سالم
السيد جلال جوهر عضو المكتب السياسي للإتحاد الوطني الكُردستاني
السيد ممثل رئيس المجلس الوطني لكُردستان العراق
أيها السادة الحضور

يسرّنا جداً في ظل تجربة فريدة كتجربتنا عقد مؤتمر أكاديمي علمي لمدينة عريقة وعزيزة لكُردستان في أربيل العاصمة. إن شعوب العالم غالباً ما تكرّم مدُنها وتنظم لها الإحتفالات والبحوث والدراسات حول تاريخها، وكيفية نشأتها... لكن بصدد مؤتمرنا هذا الذي ننظّمه لكركوك، فإن له أهميته وخصوصيته، وعدا قيام المؤتمر ببلورة المظالم والجرائم التي لحقت بهذه المدينة تاريخياً وجغرافياً وإقتصادياً وثقافياً. ليتَنا نقوم كل عام بتنظيم عمل علمي مناسبة وغنية بالنسبة لكركوك فنحن بحاجة الى مصادر تاريخية ووثائق، والتي من المؤسف عدم توفرها للباحثين. وينبغي أنْ نقرّ بأننا لانملك المعلومات الوافية عن التاريخ العريق والجوانب المخفية لهذه المدينة العزيزة، وكم كان من الأفضل بذل جهود إستثنائية من قبل جامعات كُردستان من هذه الناحية.

إن كركوك مدينة عريقة وقديمة جداً، ولكن متى بنيت، لانعلم ذلك. هي مدينة تاريخية ذات اصالة ومجد وأرض خصبة مليئة بالخيرات. ومن الجانب الإقتصادي أثرت على الإقتصاد في العالم أيضاً. كركوك مدينة الوئام والتآخي، وإحدى مدن كُردستان... لكن للأسف حاولت الأنظمة العراقية المتعاقبة تغيير واقعها القومي منذ ثلاثينات القرن العشرين، وهي منهمكة بتطبيق وممارسة سياسة عنصرية وخطيرة جداً. نأمل أن يستطيع هذا المؤتمر تسليط مزيد من الضوء على هذا الجانب المهم، وأكثر من هذا علينا أن نرفع صوتنا الكُردي الموحّد لفضح هذا العمل غير المشروع أمام العالم أجمع، وأن لاتنتهي محاولتنا بإنتهاء هذا المؤتمر، بل ينبغي ويجب أن يكون هذا المؤتمر بداية للعمل... العمل من أجل إثبات وكشف الحقائق.

أعزائي

لقد كان لكركوك في كل عهد من العهود، وعصور الحكم التي مرت بها إسم خاص بها (كاركوك)،

وغيرها... وكانت جزءاً من الإمبراطورية الميدية حيث سموها بـ(كيرَك)، وأطلق عليها الساسانيون إسم (گرمكان)، والسريانيون (بيث گرماي)، والسلوقيون أسماء أخرى.

ولو ألقينا نظرة على تاريخها المعاصر، تبين لنا جلياً أنها كانت مدينة غالبية سكانها من الكُرد. وفي عام ١٨٧٢-١٨٧٣م تم تكليف المهندس الروسي (يوسف جيزنيك) بعمل بحث حول دجلة والفرات من قبل الدولة العثمانية، وزار هذا المهندس في عام ١٧٨٩م مدينة كركوك، فقام بنشر دراسة عن المدينة في مجلة (قفقاسي) العائدة للجمعية الملكية الروسية، أشار فيها الى أن عدد سكان مدينة كركوك يبلغ زهاء (١٢-١٥) ألف نسمة، وأضاف أن حوالي (٤٠) عائلة أرمنية تعيش في المدينة أيضاً وباقي السكان كلهم من القومية الكُردية.

كما يقول العلامة التركي المعروف (شمس الدين سامي) في موسوعة الأعلام المكونة من (٦) أجزاء، والتي ألفها في ١٨٩٦م في الصفحة (٣٨٤٢): «إن كركوك من أكبر المدن الكُردية».

وإن الإحصاء العراقي العام الذي أجري في كركوك عام ١٩٣٠ كانت نتائجه كما يلي: ٥١٪ من السكان هم من الكُرد، و٢١,٥٪ من التركمان، و٢٠٪ من العرب، أما الآشوريون والكلدان والسريان واليهود فنسبتهم ٧,٥٪. وأظهرت نتائج إحصائي ١٩٤٧ و١٩٥٧ في العراق أن غالبية سكان مدينة كركوك هم من الكُرد نسبة الى المجموع الكلي.

لاشك أن الكُرد في كركوك هم السكان الأصليون في المدينة وفي المنطقة، ومعلوم أيضاً للجميع أنه عندما كانت كُردستان مركزاً للصراعات والحروب بسبب موقعها الجغرافي بين الإمبراطوريتين الصفوية والعثمانية متى ما خضعت لحكم أي من الدولتين الآنفتي الذكر كانت تحاول إحداها إسكان قسم من جنودها أو مواطنيها في المدن والقصبات المجاورة وعلى الطرق التجارية وطرق المواصلات الرئيسية. فكانت كركوك من إحدى المدن الهامة التي تمرّ بها طرق المواصلات وتربط الأستانة والأناضول بإيران والعراق. فكان أنْ وقعت أخيراً تحت سيطرة الإمبراطورية العثمانية وأصبحت ولاية من ولاياتها، وبذلك فُتح الباب لإسكان التركمان فيها.

بعد هزيمة العثمانيين في الحرب العالمية الأولى وإحتلال الإنكليز لكُردستان وإلحاقها بالدولة العراقية وإنتاج النفط في كركوك عام ١٩٢٧ وتسويقه عام ١٩٣٤، كان ذلك سبباً في حدوث تحول كبير من حيث (الوضع الإجتماعي والعرقي)، وادي أيضاً الى قيام شركة النفط بتعيين عدد كبير من العمال في الشركة، إستقدمت معظمهم من خارج منطقة كركوك، وجلّهم كان من الآشوريين والأرمن وغيرهم. ثم أنشأت الشركة حيّاً في منطقة عرفة سمّي بـ(نيو كركوك New Kirkuk) كركوك الجديدة، تألف من بضعة آلاف من الدور لعمال الشركة، من الذين جلبتهم الشركة من خارج المنطقة إلاّ قليلاً منهم جداً كانوا من ابناء كركوك. وكان هذا العمل بمثابة ناقوس الخطر للمدينة، ومثار قلق سكانها الأصليين. وبعد ذلك شرعت الحكومة العراقية بتغيير الواقع الإجتماعي لكركوك، وأول خطوة إتخذتها في هذا الصدد كانت في بداية الثلاثينات، حينما إستقدمت العديد من العشائر العربية الى المناطق المجاورة لكركوك، لاسيّما بعد إنتهاء العمل في مشروع ماء الحويجة. ثم إستمرت عملية اسكانهم في

كركوك والمناطق القريبة منها.

وبعد إنقلاب عام ١٩٦٣ نُفّذتْ مرحلة أخرى من مراحل تغيير الواقع القومي في كركوك، وذلك بهدم القرى الكُردية القريبة من الآبار النفطية، وترحيل كافة الكُرد القاطنين في قرى ناحية دوبز (دبس) وقضاء مركز كركوك، وإحلال العشائر العربية محلهم، وبنت مئات الربايا والثكنات العسكرية حول المدينة وشركة النفط. كما تم أيضاً تسليح كافة أفراد العشائر العربية التي جلبتهم السلطة الى منطقة كركوك كقوّة غير نظامية الى جانب الجيش العراقي لإستخدامها في الحرب ضد الشعب الكُردي، وتنفيذ المئات من الحملات العسكرية لإرهاب أهالي القرى الكُردية بغية إجبارهم على تركها وإخلائها. ومنذئذ بدأ النظام بتغيير أسماء القرى والأحياء والشوارع والمدارس وكافة المحال والمكاتب التجارية من الكُردية الى العربية وبشكل فاضح جداً.

أيها السادة: لايخفى انه بعد إنقلاب ١٩٦٨ تفاقمت بشكل واسع حملات تعريب كركوك والمنطقة، وذلك بنقل غالبية الموظفين والمعلمين والعمال الكُرد من كركوك الى خارج المحافظة وجلب العرب الى أماكنهم، وكذلك إستمرار السلطة في تغيير كافة الأسماء الكُردية في كل مكان من المدينة الى أسماء عربية، وهدم عدد كبير من الدور السكنية في الأحياء الكُردية، وشق الشوارع الواسعة مكانها، وتعويض أصحاب الدور المهدمة بمبالغ ضئيلة، ومنعهم من بناء أو شراء دور وعقارات جديدة لهم في كركوك، وكذلك عدم منح أية إجازة للبناء بالنسبة الى الكُرد في مدينة كركوك.

وبعد الثمانينات، وكذلك منذ إنتفاضة عام ١٩٩١ تجري بشكل واسع حملات تهجير العوائل الكُردية والتركمانية من كركوك، ويتم جلب العشائر العربية من مناطق جنوب العراق ليحلوا مكانهم، ويقدّم اليهم الدعم الكامل، وتتخذ لهم كافة التسهيلات من مبالغ نقدية أو تأمين الدور لإسكانم وتعيينهم في المؤسسات والدوائر الحكومية، وشركة النفط.

ونتيجة لهذه التغييرات التي طرأت على الوضع الإجتماعي في كركوك في كافة العهود التي أشرنا اليها، إنخفضت نسبة السكان الكُرد في كركوك إنخفاضاً كبيراً. ولم تشمل هذه التغييرات السكان فحسب، بلْ مسّت كذلك أرض كركوك أيضاً، وذلك بإقتطاع أربعة أقضية من مجموع سبعة أقضية كانت تابعة لمحافظة كركوك، أُلحقتْ بالمحافظات المجاورة لها. وتمّ تغيير إسم محافظة كركوك أيضاً الى محافظة التأميم.

هذا هو واقع الحال بالنسبة الى هذه المدينة أو المحافظة، حيث أن معظم سكانها الأصليين رُحِّلوا أو هُجِّروا منها، بالإضافة الى حملات الإبادة التي مُورست بحق أبناء المحافظة والآلاف من سكان كُردستان أثناء عمليات الأنفال السيئة الصيت، الذين لايُعرَف عن مصيرهم شيء حتى الآن، وهدم وتخريب الآلاف من قرى وقصبات هذه المحافظة ومدن كُردستان الأخرى.

وبناء على ما تقدم، وبهدف الوقوف بوجه هذه الممارسات اللإنسانية، وهذه السياسة الخاطئة وغير المشروعة، ينبغي على الشعب الكُردي توظيف كافة إمكاناته وقدراته لمواجهة هذه الهجمة ومعالجتها بكافة الأساليب والأشكال والوسائل، سواء من جانبنا أو بإثارة الرأي العام العالمي والدولي، وهيئات

ومراكز حقوق الإنسان، وكافة المحبين للحرية للتعاون مع شعبنا بغية معالجة هذه المشكلة ضمن القضية الكُردية التي توشك اليوم أن تأخذ مسارها وتحتل مكانتها في الأوساط الدولية الراهنة.

أيها الإخوة الأعزاء

إننا كلجنة عليا لمؤتمر كركوك نستعرض هذا الواقع وعدداً من الدراسات والبحوث الموضوعية المختلفة ذات العلاقة بكركوك أمامكم، والتي أُعِدّت من قبل مجموعة من ذوي الإختصاص والأساتذة، آملين مناقشتها ودراستها دراسة علمية واقعية، والتوصل حسب آرائكم الى عدد من القرارات والمقترحات والتوصيات البناءة والناجحة بشأنها، متمنين النجاح والتوفيق لكل جهودكم المخلصة في التخفيف من معاناة كركوك العزيزة – قلب كُردستان – وأهلها الصامدين الأصلاء.

شكراً لكم ودمتم سعداء

عاش الكُرد... وعاشت كُردستان

البحوث

البعد القومي للإستيطان العربي في محافظة كركوك

د. خليل اسماعيل

مقدمة

تشير الدراسات الاركيولوجية الى أن كُردستان العراق كانت موطناً للإنسان القديم، فقد تم الكشف عن بقايا لمخلوقات بشرية تعود الى أكثر من (١٠٠) الف سنة قبل الميلاد في العديد من كهوفها ومغاراتها. وتعد قرية (چەرمو) القريبة من چمچمال (شمال شرق محافظة كركوك) من أقدم المستوطنات الزراعية قبل أن ينتشر السكان في الهضاب والسهول الشمالية، ومع إنحسار مياه الخليج وإتساع اليابسة في جنوب العراق أقام المهاجرون مستوطناتهم عنده. وقد عرف هؤلاء (بالسومريين)، الذين انحدروا – كما يرى طه باقر – من (شمال) العراق في فترة ما قبل الميلاد لأن حضاراتهم كانت إستمراراً للحضارة الزراعية الأولى هناك[١].

وخلال الفترة بين الالفين الرابع والثاني قبل الميلاد تعرض العراق الى موجات بشرية متتابعة من جزيرة العرب من بينها: الأكديون، الأموريون، الآشوريون، والآراميون... ويظهر أن العراق كان وحتى الألف الأول قبل الميلاد، مقسماً بين الميديين الذين حكموا الأقسام الشمالية منه، والكلدان الذين سيطروا على أجزائه الجنوبية[٢].

أما (العرب) فقد إستوطنوا العراق منذ القرن الأول للميلاد وكانوا قبل ذلك يغيرون من البادية على أطرافه الجنوبية. ويرى (جرجي زيدان) «إن مصطلح (العرب) كان يطلق قبل الإسلام على سكان جزيرة العرب فقط»[٣]. ويمثل الزحف العربي في ظل الفتوحات الإسلامية للعراق في القرن السابع الميلادي أعظم حدث كان له تأثيره في التكوين القومي لسكانه[٤]. ويشير الدكتور (عماد عبدالسلام) الى أن العراق يدين (بعروبته) الى تلك القبائل الكبيرة التي إنتقلت اليه قبل الإسلام إضافة الى عهود الحضارة الإسلامية[٥].

(١) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الجزء الأول، مطبعة الحوادث بغداد، ١٩٧٣، ص ١٩٠ – ١٩٥.
(٢) طه الهاشمي: مفصل جغرافية العراق، مطبعة دار المعارف، بغداد، ١٩٣٠ ص ٢٦ – ٢٧.
(٣) أنظر: جرجي زيدان، العرب قبل الإسلام، بيروت، ١٩٧٨، ص ٤١.
(٤) أنظر: صالح أحمد العلي، معالم العراق العمرانية، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ١٩٨٩، ص٣١٠. وأيضاً: عبد محمد سوادي، الأحوال الإجتماعية والإقتصادية في بلاد الجزيرة الفراتية، دار شؤون الثقافة العامة بغداد، ١٩٩٣، الجزء الخامس، ص٦.
(٥) ثامر لؤي العامرى، موسوعة العشائر العراقية، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ١٩٩٣، الجزء الخامس، ص ٦.

إن المنطقة الواقعة وراء القوس الممتد من الدسكرة على النهروان، وتكريت وسامراء، والعلث في أرض الجزيرة الفراتية يغلب عليها الأكراد والأعراب[٦]. كما جاء في كتاب (البلدان): إن مناطق الجزيرة الفراتية، كانت خلال القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)، تتوزع بين القبائل العربية في ديارات معينة، وبين الأكراد في مناطق متفرقة[٧]). وقبل أن يحل القرن السادس عشر الميلادي، كانت أرض الجزيرة الفراتية مأهولة بالقبائل العربية[٨].

وإستمرت هجرة القبائل تترى من شمال الجزيرة العربية وبلاد الشام الى العراق بعد إحتلال المغول له سنة ١٩٥٨م[٩] حيث تعاظم دورها وزاد نفوذها وإتسعت دائرة إنتشارها. وما أن حل مطلع العصر الحديث، حتى وجدنا قبائل عربية مثل (طي، الجبور، الدليم، العبيد، الحديدي، عنزة، وشمر) تحل محل القبائل المغولية والتركية مرة ثانية[١٠]. ويرى (لونگريك): إن أعظم حادث في القرن السابع عشر الميلادي كان هجرة عشائر (شمر) الى العراق[١١].

وفي نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، استطاعت قبائل (عنزة) دفع (شمر) وإيجاد مستقر لها عند الجهة اليسرى من نهر دجلة بين كوت الإمارة والحويزة حتى سفوح جبال پشتكوه، وفي الجهة اليمنى من نهر دجلة الى الجنوب من شط الحلة وحي العمارة[١٢]. من جهة أخرى فإن عشائر (شمر الجربه) تجاوزت نهر الفرات قادمة من جزيرة العرب، وإستوطنت منطقة الجزيرة بين الموصل والخابور، فيما عبر قسم منها نهر دجلة، واستقر الى الجوار من الزاب الأسفل ومنهم، الجبور، طي، الجحيش، والعگيدات[١٣].

وكان لهذه الحركات تأثير عظيم على حركة القبائل الأخرى من بينها إنتقال عشيرة العبيد الى شرق دجلة وإستقرارهم في منطقة الحويجة، متخطين بذلك مرتفعات حمرين[١٤]، وإستمرت هجرة القبائل هذه بعد الحرب العالمية الأولى[١٥].

وبعيد تأسيس الدولة العراقية في ١٩٢١ سعت الحكومات العراقية الى وضع مخطط لتنفيذ

(٦) الأصطخري، المسالك والممالك، دي غويه، (برنبي)، ليدن، ١٩٢٧، ص ٨٥ - ٨٦.
(٧) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مكتب الأسدي، طهران، ١٩٦٥، ج١ ص ٨٧٢ و ج ٤، ص ٦٩٠.
(٨) طه الهاشمي، المصدر السابق، ص ٤٠٣.
(٩) نوري خليل الرازي، البداوة والإستقرار في العراق، القاهرة، ١٩٦٩، ص١٢٢.
(١٠) أنظر نافع القصاب، ملامح جغرافية حول استيطان القبائل البدوية المستقلة، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، المجلد (٥) لسنة ١٩٦٩ مطبعة أسعد، بغداد ص ١٧.
(١١) لونگريك: أربعة قرون من تاريخ العراق لحديث، ترجمة جعفر الخياط، مطبعة أركان، بغداد، ١٩٨٥، ص ١٠٢ - ١٠٤.
(١٢) المصدر نفسه، ص ٤٠ - ٤٣.
(١٣) طه الهاشمي، المصدر السابق، وأيضاً: شاكر خصباك، العراق الشمالي، مطبعة الشفيق، بغداد ١٩٧٣، ص١١٩.
(١٤) أنظر: لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، المصدر السابق، ص ٢٤٢ وأيضاً: نوري البرازي البداوة والإستقرار في العراق، المصدر السابق ص ١٢٣.
(١٥) نوري خليل البرازي، المصدر السابق، ص ١٢٧.

مشاريع إستيطانية لإسكان العشائر البدوية المتنقلة في مناطق مختارة تركزت في المحافظات ذات التنوع الإثنوغرافي في اقليم كُردستان العراق، وفي المقدمة منها: الموصل (نينوى)، كركوك (التأميم) ديالى، والكوت (واسط). وكان الهدف الحقيقي من وراء ذلك يتمثل في إعادة التكوين القومي لسكان الإقليم لصالح الأقلية العربية. ويشير الى ذلك الدكتور (البَرازي) قائلاً: إن الهدف من مشاريع التوطن هذه هو دمج المجتمع القومي الكبير، لأنه ضرورة قومية ملحة[١٦]. أنظر الخريطة المرفقة.

تتناول هذه الدراسة، البعد التاريخي لإستيطان القبائل العربية في محافظة كركوك وتحليل النتائج القومية له، في محاولة للكشف عن خطط التعريب التي تم تنفيذها في اقليم كُردستان العراق لإعادة التكوين القومي لسكانه لصالح العرب.

البعد التاريخي لتوطين العرب في محافظة كركوك:

تشير الدراسات ذات العلاقة بسكان محافظة (لواء) كركوك الى أن العشائر العربية التي تشكل اليوم نسباً متزايدة من مجموع سكانها، كانت قد هاجرت الى المنطقة منذ عهد قريب يتراوح بين (٢٠٠ – ٣٠٠) سنة، قادمة من الجزيرة العربية أو من بلاد الشام، علماً بأن معظم هذه العشائر كانت قد إستوطنت مناطق أخرى في العراق، قبل أن تزحف الى هذه المحافظة وتتخذها مستقراً لها.

ومن الممكن الإشارة الى مجموعة من تلك العشائر العربية التي وفدت الى المحافظة وأقامت مستوطنات لها في مناطق واسعة وهي:

١- عشائر شمر: وفدت من نجد في شمال الجزيرة العربية على شكل موجات متقطعة بإتجاه العراق وبلاد الشام. وقد إستعانت بهم الدولة العثمانية في حروبها مع إيران. ومنهم عشيرة (الفداعنة) التي كانت على إتصال مع أقاربهم في منطقة (الحويجة)[١٧]. فيما إنتشرت عشيرة (الأسلم) في المنطقة الممتدة بين البعاج (جنوب مرتفعات سنجار) والحويجة في محافظة كركوك[١٨].

٢- عشائر الظفير: نزحت من نجد أوائل القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) الى العراق. ومنهم (ألبومفرج) الذين إستوطنوا الحويجة و(الحليحل) و(الكراعنة) و(الخشامنة) و(ألبوعامر)[١٩].

٣- عشائر عنزة: ومنهم (ألبوشاوس) التي دخلت العراق قبل ٢٥٠ سنة وإستقرت في الحويجة[٢٠].

٤- الجوالة: قدمت من نجد والحجاز الى العراق، وإستقرت في مناطق كركوك والحويجة[٢١].

٥- جميلة: من العشائر العربية التي دخلت العراق منذ أربعة قرون، ومنهم جماعات قدمت من

(١٦) نوري البرازي، المصدر السابق، ص٢٢٦.
(١٨) ثامر العاوي، موسوعة العشائر العراقية، المصدر السابق، الجزء (٨)، ص ٤٧.
(١٩) المصدر نفسه، الجزء (٨)، ص ٥٤.
(٢٠) المصدر نفسه، الجزء (٥)، ص ١٦٠
(٢١) المصدر نفسه، الجزء (٩)، ص ٧٦.

سورية، وإتخذت الحويجة مستقراً لها قبل قرنين فقط[٢٢].

٦- العبيد: وهي من زبيد القحطانية، إستقرت على الضفة اليمنى من نهر دجلة بين سامراء وكركوك. وكانت تتنقل قبل ذلك مع عشائر طي والحديديين في منطقة الحويجة[٢٣].

٧- القرغول: دخلت العراق قادمة من (نجد) شمال جزيرة العرب، وتعايشت مع عشيرة العبيد في منطقة الحويجة، ولها كثافة سكانية في ناحية الرياض أيضاً، وفي مدينة كركوك نفسها[٢٤].

٨- الجحيش: وهي عشيرة زبيدية الأصل، نزحت من جزيرة العرب الى بلاد الشام ثم الى العراق عن طريق سنجار. وقد غادرت الموصل الى الحويجة ودبس وقرەتپه قبل قرنين[٢٥].

٩- اللهيبات: وهي زبيدية أيضاً توزعت مساكنها في محافظتي كركوك وصلاح الدين (تكريت)[٢٦].

١٠- الجبور: إستوطنت هذه العشيرة محافظات (نينوى، الأنبار، صلاح الدين) ومحافظة كركوك. قدمت من الجزيرة العربية منذ خمسة قرون، ومنهم: (الصگور) التي إستوطنت الحويجة ومنطقة الزاب الأسفل ضمن حوالي (١٨) قرية، ومنهم أيضاً (ألبونجاد) التي إستقرت الى الجوار من العشيرة المذكورة[٢٧].

١١- أبو ضمرة: من عشائر (حرب) قدمت من نجد والحجاز وإستوطنت منطقة (الحويجة) ومرتفعات (حمرين) مثلما إستوطنت عشيرة (خفاجة) النجدية المناطق نفسها[٢٨].

١٢- ألبوصباح: وهي من عشائر (ألبوحمدان) العدنانية، إتخذت مناطق الزاب الأسفل ودوزخورماتو، والحويجة، وكركوك[٢٩] مناطق إستقرار لها.

بالإضافة الى تلك العشائر العربية المذكورة في محافظة كركوك، فقد تعرضت الأخيرة الى نزوح عشائر أخرى من بينها: بنو تميم، الصميدع، ألبوحمدان، ألبواسحق، ألبورياش وألبوشاهر[٣٠].

لاشك أن إستيطان العشائر العربية المذكورة في محافظة كركوك، ولاسيما جهاتها الغربية، كان مقدمة لحملات تعريب مستمرة تم التخطيط لها بشكل فعال بعد تأسيس الدولة العراقية، وأبرز صور التعريب تتمثل في مشروع الحويجة.

(٢٢) المصدر نفسه، الجزء (٣)، ص٣٠٠.
(٢٣) المصدر نفسه، الجزء (٨)، ص١١٣.
(٢٤) أنظر طه الهاشمي: المصدر السابق، ص٤٢٥، وأيضاً: لونكريك أربعة قرون من تأريخ العراق الحديث، المصدر السابق ص٣٠ - ٤٣.
(٢٥) ثامر العامري، موسوعة العشائرية العراقية، الجزء (٥)، ص ٢٠٦ - ٢١١.
(٢٦) أنظر: شاكر خصباك، العراق الشمالي، المصدر السابق، ص١٥٦، وأيضاً ثامر العامري، المصدر السابق، الجزء (٧)، ص ٨٤ - ٨٨.
(٢٧) ثامر العامري، موسوعة العشائر العراقية، الجزء (٣)، ص ٢٦٨.
(٢٨) شاكر خصباك، المصدر السابق، ص ١٥٥ - ١٥٦، وأيضاً: الموسوعة المصدر السابق، الجزء (٧)، ص ١٨٩ - ١٩٢ والجزء (٨)، ص ١٨٩.
(٢٩) ثامر عامري، الموسوعة، الجزء (٤) ص ١٠٥ والجزء (٥)، ص ٧٧.
(٣٠) المصدر نفسه، الجزء (١)، ص ٢٨٠ - ٢٨١.

مشروع الحويجة:

يتمثل المشروع بقناة تمتد مسافة (٥٥) كم من الزاب الأسفل بإتجاه الأراضي غرب محافظة كركوك، لإرواء مساحة من الأرض تجاوزت (٢٢٠) الف مشارة مربعة. وقد بدأ العمل فيه منذ سنة ١٩٣٦ حتى ١٩٥٢، تم خلالها توزيع الأراضي على العشائر العربية المتنقلة بهدف توطينها. وذلك بمعدل (٧٠–٨٠) مشارة للعائلة الواحدة[٣١].

وشجّع إستمرار الدولة في حفر الآبار ومد طرق النقل والخدمات الأخرى أبناء تلك العشائر على الإستيطان في منطقة (المشروع). وخلال تنفيذ المرحلة الأولى من المشروع تم اسكان أكثر من (٢٠) ألفاً من أفراد العشائر البدوية في المنطقة[٣٢]. وكانت تلك أول عملية إستيطان للعشائر العربية الرحالة في محافظة (لواء) كركوك، بعد تأسيس الدولة العراقية[٣٣]. ومن بين أهم تلك العشائر[٣٤]:

١– عشيرة العبيد، وقد أقيمت لهم (١٢٤) مستوطنة بين بداية إفتتاح مشروع الحويجة وحتى ١٩٥٧.

٢– عشيرة الجبور: وقد تم توزيعهم على (٨٥) مستوطنة.

٣– عشيرة ألبوحمدان: وخصصت لهذه العشيرة (١٤) مستوطنة بالإضافة الى (٥) مستوطنات لعشائر التكارته والدوريين.

في سنة ١٩٧٧، تم إنجاز مشروع (ري صدام) في المنطقة نفسها، الأمر الذي ساهم في إستيطان مجموعات أخرى من تلك العشائر العربية، وبالتالي تصاعد وتأثر نمو سكان الأرياف في قضاء الحويجة بشكل غير (طبيعي)، حيث بلغت نسب الزيادة أكثر من (٥)٪ سنوياً بين سنتي (١٩٧٠–١٩٧٧) ثم تجاوزت (٩٪) خلال الفترة بين (١٩٧٧–١٩٨٧) بينما كانت أرياف (المحافظات) الأخرى تشهد إنخفاضاً في حجم سكانها. أنظر جدول رقم (١). من جهة أخرى، فإن حركة الإستيطان العربي المذكورة، نتج عنها إرتفاع سريع في نسب نمو سكان القضاء، بحيث تجاوزت مثيلاتها في أية وحدة إدارية أخرى، لذلك تصاعدت نسبة حجم سكانه (قضاء الحويجة) من ٨ الى ١٨٪ من مجموع سكان محافظة كركوك بين عامي ١٩٦٥–١٩٨٧، كما إرتفعت نسبة المساحة من ١٦,٦٪ الى أكثر من ٣٠٪ من مساحة المحافظة خلال الفترة نفسها[٣٦]. لاحظ الخريطة (٢).

(٣١) شاكر خصباك، المصدر السابق، ص ١٥٤ – ١٥٦.

(٣٢) هادي الدفتر وعبدالله حسن، العراق الشمالي، مطبعة النهار، بيروت١٩٥٥، ص١٧٣.

(٣٣) نوري الطالباني، منطقة كركوك ومجالات تغيير واقعها القومي، لندن ١٩٩٥، ص ٤٠–٤١ وأيضاً: احمد محمد الجبوري، الإستيطان الريفي في قضاء الحويجة، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ١٩٨٦، ص ٤٤–٤٧.

(٣٤) فهمي هويدي، الأكراد شعب الله المحتار... (هاوارى كەركوک) ژمارە (٤) سالى ١٩٩٩، سەنتەرى رۆشنبيريى كەركوک، هەولێر، ل ١٧١.

(٣٥) احمد رحيم امتي، (حەويجە...) (گۆڤارى كەركوک)، هەمان سەرچاوە، ل ٤٩.

(٣٦) أنظر: وزارة الداخلية، المجموعة الإحصائية لتسجيل عام ١٩٥٧. «لوائي السليمانية وكركوك». وأيضاً: وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للاحصاء، الحصر الأولي للسكان لسنة ١٩٧٠، مطبعة الجهاز (بغداد) ١٩٧٣.

جدول رقم (١)

نسب التغيير في سكان أرياف محافظة كركوك[٣٥]

الفترة	أرياف	أرياف قضاء الحويجة
١٩٥٧ – ١٩٧٠	+ ١	+ ٣,٢
١٩٧٠ – ١٩٧٧	– ٢,٥	+ ٥,١
١٩٧٧ – ١٩٨٧	صفر	+ ٩,٤
١٩٥٧ – ١٩٨٧	– ١,٢	+ ٥,٥

البعد القومي للإستيطان العربي:

إن إستمرار زحف العشائر العربية الى محافظة كركوك وتشجيع المسؤولين على الإستقرار فيها، من خلال القيام بمشاريع إروائية أو حفر الآبار لهم وتوزيع الأراضي عليهم، أو منحهم المكافآت المالية والإمتيازات الخاصة... كان قميناً بالتأثير على الوضع الديموغرافي للسكان عموماً والتكوين القومي على وجه الخصوص... وذلك لصالح الأقلية العربية فيها والتي كانت تقل نسبتها عن ٣٢٪ من مجموع السكان قبل تأسيس الدولة العراقية[٣٧].

ومن الجدير بالاشارة، أن قاموس الأعلام (التركي) المطبوع سنة ١٨٩٨م، كان قد أكّد بأن نسبة السكان العرب والتركمان والكلدان تقل عن ربع مجموع سكان المحافظة، وبأن نسبة السكان الكُرد فيها تبلغ ثلاثة أرباع[٣٨].

من جهة أخرى ساهمت حملات حرق وتدمير القرى ذات الأغلبية الكُردية في سكانها وتشريد أهليها على إمتداد القرن الماضي، ولاسيما في النصف الثاني منه، جنباً الى جنب مع عمليات الإستيطان العربي في تحقيق الهدف المركزي للدولة وهو زيادة نسبة السكان العرب على حساب القوميات الأخرى في محافظة كركوك. ومن ملاحظة جدول رقم (٢) يتضح أن نسبة السكان العرب، كانت قد إرتفعت من (٢٨ الى ٤٤,٤٪) من مجموع سكان المحافظة للفترة من ١٩٥٧–١٩٧٧، كما إرتفعت نسبتهم في مركز قضاء كركوك بنحو ١٦٪ خلال الفترة من ١٩٦٥–١٩٧٧. وفي ناحية (تازه) بنسبة ٢٧٪ وفي ناحية داقوق ١٤٪، ونحو ١٩٪ في ناحية قرەتپه، ومثل ذلك في ناحية الحويجة.

(٣٧) وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للأحصاء، نتائج التعداد العام للسكان ١٩٦٥، مطبعة الجهاز، بغداد، ١٩٧٣ ونتائج تعداد السكان العام لسنة ١٩٨٧ (محافظة التأميم).

(٣٨) خليل اسماعيل محمد، كركوك في تقرير عصبة الأمم، گۆڤاری (هاواری کەرکوک) العدد ١٩٩٩/٤. ص ١٧٧.

جدول رقم (٢) نسب التغيير في السكان العرب في محافظة كركوك للفترة من (١٩٦٥ – ١٩٧٧)[٣٩]

الوحدة الإدارية	النسبة في ١٩٦٥	النسبة في ١٩٧٧	تغير النسبة
مركز قضاء كركوك	٢٢,١	٣٨,٥	١٦,٤
ناحية تازه	٤٠,١	٧٦,٠	٢٦,٩
ناحية داقوق	٣٨,١	٥١,٧	١٣,٦
ناحية الحويجة	٧٢,٨	٩١,٧	١٨,٩
ناحية قرتپه	٦٣,٨	٨٣,٨٢	١٩,٠
مركز قضاء كفري	٨,٧	١١,٢	٢,٥
المحافظة	٣٩	٤٤,٤	٥,٤

جدول رقم (٣) سكان من الوحدات الإدارية في محافظة كركوك بحسب القومية لسنة ١٩٧٧[٤٠]

الوحدة الإدارية	السكان العرب	السكان الكُرد
ناحية قره حسن	٪١٤,٦	٪٧٥,٧
ناحية آلتون كوپري	٪٥,٥	٪٧٥,٦
ناحية شوان	٪٠,٢	٪٩٨,٢
ناحية قادر كرم	٪٠,٨	٪٩٨,٧
مركز قضاء چمچمال	٪٢,٩	٪٩٦,٥
ناحية آغجلر	٪٨,١	٪٩٨,١
ناحية سنگاو	٪١,٠	٪٩٩,٦
مركز قضاء كفري	٪٢,١١	٪٦٩,٢
ناحية بيباز	٪٧,١	٪٩٨,١

(٣٩) سامي شمس الدين، قاموس الأعلام التركي، مطبعة مهران سي، إستنبول ١٨٩٨، (كركوك).
(٤٠) وزارة التخطيط، نتائج إحصاء السكان لسنة ١٩٦٥، عن: شاكر خصباك، العراق الشمالي المصدر السابق، ص١٣٥، وأيضاً: نتائج أحصاء السكان لسنة ١٩٧٧ عن: فيسەل دەباغ، كەمە نەتەوەييەكانى تر لە سەرژمێرى ساڵى ١٩٧٧ دا، بەشى دووەم، چاپخانەى خەبات، هەولێر ١٩٩٩، ل ٤٠-٤١.

ومع ذلك فإن نسب السكان الكُرد، لاتزال مرتفعة في معظم وحدات المحافظة من بينها: شوان، قادر كرم، مركز قضاء چمچمال، آغجلر، سنگاو، وناحية بيباز، حيث تجاوزت نسبهم فيها ٩٧٪ من مجموع السكان فيها. وتزيد نسبهم على ثلاثة أرباع السكان في ناحيتي آلتون كوپري وقره حسن، فيما بلغت نحو ٧٠٪ في مركز قضاء كفري. لاحظ جدول رقم (٣).

نتائج الدراسة يمكن لهذه الدراسة. الخروج النتائج التالية:

١- تعرض (العراق الحالي) الى هجرة الأقوام البدوية من الجزيرة العربية وبلاد الشام منذ ميلاد المسيح (ع). كما كان للفتوحات الإسلامية للعراق والأقطار المجاورة دور كبير في زحف المزيد من القبائل والعشائر العربية الى العراق، وأتاح للسكان العرب في الجانب الآخر من نهر الفرات عبوره والتوغل الى عمق الأراضي العراقية.

٢- إن إستمرار الهجرات العربية خلال الفترات التالية، ولاسيما في العصر الحديث، أدى الى حركة إنتقال العشائر للإستيطان داخل إقليم كُردستان العراق، متجاوزةً مرتفعات حمرين – مكحول شمالاً وشرقاً.

٣- لقد كانت مشاريع الإستيطان التي خططت لها الحكومات العراقية بعد تأسيس الدولة العراقية في ١٩٢١، وفي مقدمتها مشروع الحويجة الإستيطاني تقام أساساً لتوطين العشائر العربية الرحالة في محافظة (لواء) كركوك بهدف تغيير التكوين القومي لسكانها لصالح الأقلية العربية.

٤- رغم حملات التعريب في محافظة (لواء) كركوك، فإن السكان الكُرد لايزالون يمثلون نسباً متميزة في معظم الوحدات الإدارية في المحافظة.

٥- إن أبرز المهام القومية والوطنية في الوقت الحاضر تتمثل في السعي الجاد للمحافظة على كُردية منطقة الدراسة، والعمل على وقف حملات التعريب المستمرة وعودة الوافدين من العرب الى محافظاتهم التي جاؤا منها، وعودة السكان (المهجَّرين) و(المهاجرين) من أبناء المحافظة الى مواقعهم الأصلية التي هاجروا منها.

الملخص

البعد القومي للإستيطان العربي في محافظة كركوك

شهد العراق (الحالي) هجرات واسعة للأقوام والشعوب التي وفدت اليه وإستقرت على أرضه. وكان أكثر الموجات التي لعبت دوراً كبيراً في التغيير القومي لسكانه، زحفُ القبائل والعشائر العربية من جزيرة العرب أثناء الفتوحات الإسلامية للعراق والأقطار المجاورة له. كما شهد تاريخ العراق الحديث موجات أخرى من البدو قدمت من نجد والحجاز ودمشق وبلاد الشام وتوغلت داخل الأراضي العراقية بإتجاه الشرق والشمال لتقيم لها مستوطنات في تلك الجهات.

وتعرضت محافظات إقليم كُردستان العراق الى مثل تلك الموجات قبل وبعد قيام الدولة العراقية

الحديثة وذلك من خلال مشاريع ري: الجزيرة، سنجار، الحويجة...

ويعد (مشروع الحويجة) من بين أهم الخطط التي تولت الحكومة العراقية تنفيذها بهدف إعادة التكوين القومي لسكان لواء (محافظة) كركوك بعد تأسيس الدولة العراقية، الأمر الذي أوجد فرصاً للآلاف من أفراد العشائر العربية المتنقلة للإستقرار في المحافظة. وقد إستمرت حملات إستيطان تلك العشائر وإقامة المستوطنات لهم طيلة القرن الماضي مما تسبب في إرتفاع نسبة السكان العرب في ضوء نتائج إحصائات السكان الأخيرة في العراق...

تناولت الدراسة البعد القومي لحركة إستيطان العشائر والقبائل العربية في محافظة كركوك، والكشف عن خط سيرها ومواقعها الحالية وفترات قدومها وما نتج عن ذلك من تغير في التكوين القومي لسكانها. وخرجت الدراسة بنتائج تمثلت في أن الكُرد رغم كل حملات التعريب لايزالون يشكلون نسباً متميزة في معظم الوحدات الإدارية للمحافظة، إلاّ أن ذلك لايمنع من الوقوف ضد مثل هذه الظاهرة بإعتبار أن من بين أبرز المهام القومية والوطنية العمل على عودة العشائر العربية الى المناطق التي جاءت منها وإعادة المهجَّرين والمهاجرين من سكان المحافظة الى مواقعهم التي نزحوا منها.

الدكتور خليل اسماعيل محمد

مصادر الدراسة

(١) الأصطخري: المسالك والممالك، دي غويه، برين، ليدن، ١٩٢٧.

(٢) أمين، أحمد رحيم: حەويجە... گۆڤارى هاوارى كركوك، ژمارە ٤ ساڵى ١٩٩٩ هەولێر.

(٣) باقر، طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الجزء الأول، مطبعة الحوادث – بغداد ١٩٧٣.

(٤) البَرازي، نوري خليل: البداوة والإستقرار في العراق، القاهرة، ١٩٦٩.

(٥) الحموي، ياقوت: معجم البلدان، مكتبة الأسدي، طهران، ١٩٦٥.

(٦) الجبوري، احمد محمد: الإستيطان الريفي في قضاء الحويجة، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ١٩٨٦.

(٧) الخلف، جاسم محمد: جغرافية العراق، مطبعة (دار المعرفة) القاهرة – ١٩٥٩.

(٨) الدفتر، هادي، وعبدالله حسن: العراق الشمالي، مطبعة (النهار) بيروت، ١٩٥٥.

(٩)دەباغ، فیسەل: کەمە نەتەوەییەکانی تر لە سەرژمێری ساڵی ١٩٧٧ دا، بەشی دووەم، چاپخانەی خەبات، هەولێر ١٩٩٩.

(١٠) زيدان، جرجي: تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت ١٩٨٧.

(١١) سوادي، عبد محمد: الأحوال الإجتماعية والإقتصادية في بلاد الجزيرة الفراتية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩.

(١٢) شمس الدين، سامي: قاموس الأعلام التركي، مطبعة مهران سي، إستنبول – ١٨٩٨م.
(١٣) صالح، مالك ابراهيم، ومحمد جاسم العبيدي: دور الحزب والقائد في توطين البدو وتنمية الريف العراقي، بغداد، ١٩٩٠.
(١٤) الطالباني، نوري: منطقة كركوك ومحاولات تغيير واقعها القومي، لندن – ١٩٩٥.
(١٥) العامري، ثامر لؤي: موسوعة العشائرية العراقية، الأجزاء ١–٩، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩٣.
(١٦) العلي، صالح: معالم العراق العمرانية، دار شؤون الثقافة العامة، بغداد، ١٩٨٩.
(١٧) القصاب، نافع: ملامح جغرافية حول إستيطان القبائل البدوية المنتقلة، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، المجلد (٥) لسنة ١٩٦٩، مطبعة أسعد، بغداد.
(١٨) لونگريك، س.هـ: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، مطبعة أركان، بغداد، ١٩٨٥.
(١٩) وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للأحصاء: نتائج تعداد السكان لسنة ١٩٦٥، مطبعة الجهاز، بغداد، ١٩٧٣.
(٢٠) وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للأحصاء: الحصر الأولى للسكان لسنة ١٩٧٠، مطبعة الجهاز، بغداد، ١٩٧٠.
(٢١) وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للأحصاء: نتائج تعداد السكان لسنة ١٩٧٧، مطبعة الجهاز، بغداد، ١٩٧٨، (محافظة التأميم).
(٢٢) وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للأحصاء: نتائج تعداد السكان لسنة ١٩٨٧، مطبعة الجهاز، بغداد، ١٩٨٨، (محافظة التأميم).
(٢٣) وزارة الداخلية: المجموعة الاحصائية لتسجيل عام ١٩٥٧، (لواءي السليمانية وكركوك) مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦١.
(٢٤) الهاشمي، طه: مفصل جغرافية العراق، مطبعة دار المعارف، بغداد، ١٩٣٠.
(٢٥) هويدي، فهمي: الأكراد شعب الله المختار، گۆڤاری هاواری کەرکوک، ژمارة (٤) ساڵی ١٩٩٩، سەنتەری روشنبیری کەرکوک، هەولێر.

مدينة كركوك

تاريخياً - إثنوغرافياً - ومحاولة التعريب

جرجيس فتح الله

مدينة كركوك. النزاع حول تكوينها الإثني ومحاولة تعريبها

(في حينه شجعني موقف البارزاني من كركوك على كتابة بحث تاريخي - إثنوغرافي - إداري حولها، ففعلت. وكان ذلك في أوائل عام ١٩٧٣، ووقع البحث على ما أذكر في حدود ٣٥-٤٠ صحيفة كبيرة مضروبة على الآلة الكاتبة لم تسمح لي ظروفي الخاصة آنذاك فضلاً عن أحوال الثورة وعلاقتها المتردية مع النظام - بطبعها كرسالة، لاسيما بعد أن أصبحت قضية دخول المدينة ضمن حدود منطقة الحكم الذاتي، قضية ثانوية: ودُفِعت الى الخلف أو كادت تُدفن تحت أنقاض بيان آذار. على أني إنتهزت فرصة زيارة ممثل الثورة في ألمانيا ودفعت بالبحث له بعد أن تعهد شخصياً بطبعه وتوزيعه. لكنه لم يفعل وفقدتُ صلتي به، مثلما فقدت النسخة الوحيدة الباقية. وسأحاول هنا الإستنجاد بذاكرتي وما تعيه مما كتبت لتدوين ما آراه قميناً بالتدوين مستعيناً ببعض المراجع اليسيرة جداً في حوزتي)

إن التل الذي يشاهده القادم الى المدينة عن بعد هو مثل قلعة أربيل من عمل البشر لا من عمل الطبيعة، وهو بلا جدال مكون من عدة طبقات سكنية، كل طبقة تمثل حقيقة تاريخية وسكنى قوم من الأقوام. تل مستطيل يرتفع بحوالي سبعين متراً عما يجاوره. أثبتت التحريات الآركيولوجية قطعاً بأنه كان في الألف الثاني قبل الميلاد مدينة تعرف بإسم أرافه أو أرابخا (Arrapkha, Arrapha). ويذكر بهذا الصدد أنه في أواخر العهد الملكي أطلقت بلدية كركوك اسم (أرافا) على حي العمال لشركة النفط تخليداً لهذا الإسم التاريخي وتداولت العامة هذا الإسم بالتخاطب مُحولاً الى (عَرَفَه). ولاتفيدنا دائرة المعارف الإسلامية ولا الإنسكلوپيديا البريطانية الكبرى بأي شيء حول تاريخ وأصول سكان تلك المدينة التي نعرفها اليوم بإسم (كركوك).

إن الرُقُم التي كشفتها عوامل الطبيعة للمؤرخين والأركيولوجيين في ١٩٢٢ و١٩٢٣ أكدت قِدَم المدينة الى جانب إسمها التاريخي الأول وبأنها كانت ضمن الإميراطورية الآشورية ثم البابلية، وأنها

وقعت بيد الماديين بعد القضاء على حكم الآشوريين. وملخص الحكاية هو أنه إتفق في زمنٍ ما بين العامين المذكورين أنْ إنهار جزء من التل إثر هطول أمطار غزيرة جرفت سيولها التراب ومعه عدد من الرقم الآجرية وعليها كتابات مسمارية وإسترعت إنتباه دائرة الآثار الجديدة التي أسستها في بغداد (گرترود بل) ولكن لم يكن بالإمكان الشروع في عملية تنقيب دون تعريض المنازل القائمة على أطراف الجرف المنهار الى السقوط، ثم توالت المكتشفات من الالواح والرقم المسمارية لاسيما في قرية (تركَلان) التي تقع على بعد ١٤ كيلومتراً غرب كركوك. وبعدها وفدت البعثات الآركيولوجية الأمريكية وحصلت هي وغيرها من المتاحف على الآلاف من الرقم المسمارية فتحت باباً مثيراً لدراسات تاريخية ألقت الضوء على حقبة غامضة من التاريخ القديم لكركوك. والى جانب التأكد من إسم المدينة، فقد عُرف بأنها كانت جزءً من بلاد الكاشيين (أجداد الكُرد عند بعض المؤرخين) وبحوزة ملوكهم الذين إستولوا على بابل وحكموها في حدود ٦٠٠ ق.م. وعُرف أيضاً أنها وقعت بيد الآشوريين في حدود العام ٤٠٠ ق.م وبقيت بيدهم حتى بداية الحروب التي كانت بها نهاية الإمبراطورية الآشورية، وقد كان لها دورها في تلك الأحداث. ففي باديء الأمر حاصرها نبوبلاصر فإمتنعت عنه وتركها في العام ٦١٦ ق.م وفي السنة التالية وبالضبط في ٦ من آذار – شباط ٦١٥ق.م نشبت بالقرب منها معركة كبيرة بين الآشوريين والبابليين من غير طائل. إلا أن كيخسرو المادي باغت حاميتها الآشورية في ٦١٤ ق.م فإستسلمت القلعة بعد حصار طويل. وكان سقوطها نقطة تحول كبرى مهّدت للماديين سبيل القضاء على دولة آشور.

والظاهر هو أن الخمول ضرب الحصار على هذه القلعة – المدينة بعد سقوطها بيد الماديين فلم يعد لها شأن يذكر. حتى أن هيرودوتس (٤٨٤–٤٢٥) ق.م لم يفطن لها بل أنه ذكر في تاريخه تلك النار الأزلية الغريبة فيها التي تنبعث من جوف الأرض ولاتنطفيء، كما ذكر شيئاً عن آبار نفط ضحلة يستخرج منها الأهلون المجاورون لها مادة وقودهم بمجرد الحفر بأدوات بدائية. وأطلق عليها السلوقيون إسم كرك سلوك، أي قلعة سلوقس أو مدينة سلوقس. ويُذكر أن إيران وما وراء النهر والعراق وجزء من سورية كانت من نصيب القائد اليوناني سلوقس نيقاطور (٣٠٥ ق.م) بعد وفاة الإسكندر المقدوني وتقسيم إمبراطوريته بين قواده، وقد دام حكم سلالته في ميسوپوتاميا حتى ٢٢٦ق.م وإنتهى بسيادة الفرثيين الذين حكموا البلاد أربعة قرون وقضى عليهم أردشير مؤسس الدولة الساسانية.

والإسم بالسريانية كما أثبتته المدونات: كرخايْ دبْيث سلْوقس وكانت بهذا الإسم طوال حكم السلوقيين ثم الفرثيين (الپارثيين) من بعدهم. ولم يعمد مؤسس الأسرة الساسانية الى إستبداله رغم ولعه الشديد بإطلاق إسمه على كثير من المدن في بلاد الرافدين عندما أنهى الحكم الفرثي في ٢٢٤ق.م.

ومن الثابت أن المدينة كانت مركزاً لكورة أو إقليم عرف في المآثر السريانية بإسم بيث گرماي، أو گرميك، أو باجرمي وظل محتفظاً بهذا الإسم طوال وجود الحكومات العربية المتوالية بعد الفتح

الإسلامي. والإقليم مع المدينة كان تابعاً لإقليم أربيل (هەولير – أو حدياب – أو اديابين) كما جاء الإسم في الآثار البيزنطية والسريانية وقد عرف بإسم (الشيرجان) عند الساسانيين والعرب.

بقيت كركوك خلال سبعة قرون مركزاً هاماً للنساطرة المسيحيين ومازالت كرسياً لرئيس أساقفة كلداني (وريث الكرسي النسطوري)، وقد ظلت المدينة تفتخر بأقدم كنيسة في العالم بُنيت في النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي وكانت تعرف بـ(بيعة الشهداء) تخليداً لذكرى شهداء إضطهاد الملك الساساني يزدگرد الثاني (٤٢٨–٤٥٧). كان الجيش العثماني في ١٩١٨ قد إختزن فيها عتاده وذخيرته، فعمد الى نسفها قبيل إنسحابه من المدينة عند إقتراب القوات البريطانية وكان تدميرها كاملاً. وجاء ذكر رؤساء اساقفتها (مطارنتها) في عدة مجامع كنيسة مسكونية –أي عالمية– عقدتها تلك الكنيسة ببطريركيتها في بابل (سلوقية قْطِسيفون) المعروفة في المآثر السريانية والعربية بإسم (ساليق).

في القرون الأربعة التالية للفتوح العربية لانجد للمدينة ذكراً عند الرحالة والسياح والمؤرخين العرب. إلاّ أن ياقوت الحموي ١١٧٩–١٢٢٩ في (معجم البلدان) يذكرها قطعاً تحت مادة (الكرخيني) وهذا على ما يبدو إسمها الشائع في القرن الثاني عشر. ولايُبقي وصف ياقوت لها شكاً في أنها كركوك الحالية. إنه يحيرني حقاً كيف غفل المستشرق الكبير (لسترانج) عن هذا. بصراحة نفيه أن يكون ياقوت قد ذكرها. يتبين من حاشية الصحيفة (١٢١) من الترجمة العربية لكتابه المرجعي (بلدان الخلافة الشرقية) التي عملها گورگيس عواد وبشير فرنسيس وطبعت في بغداد العام ١٩٤٥، ولا كيف غاب ذلك عن الأستاذ عواد خاصة فلم يحاول التدقيق والبحث في رؤية المؤلف. يقول ياقوت:

«الكرخيني وهي قلعة في وطاء من الأرض حسنة التحصين بين دقوقا (طاووق) وأربيل. ورأيتُها، وهي على تلٍ عال ولها ربض صغير».

ولايرد ذكر للمدينة عند حمدالله المستوفي القزويني (١٢٨١–١٣٤٩) في كتابه تاريخ گزيده – أي (زبدة التاريخ) وله ترجمة عربية لم أطلع عليها فهو لم يذكر كركوك وإنما ذكر داقوق (طاووق – دي كوك) وقال إنها بالقرب من عيون نفط. فيبدو والحالة هذه أن كركوك كانت آنذاك أصغر وأقل أهمية من داقوق.

على أن المصادر السريانية تشير الى المذبحة التي أوقعها تيمورلنگ بسكانها المسيحيين، ومما لاشك أن المائة والخمسين الفاً وهو عدد الضحايا الذي أوردته تلك المصادر ووصفت الهرم الذي عمله الفاتح الدموي من الرؤوس والجماجم – هو من خيال المؤلفين وبدافع من حميتهم الدينية وأمر يخرج عن دائرة العقل والمنطق. فما من شك في أن غالبية سكان المدينة الساحقة كانوا من المسلمين آنذاك. وفي بلدان الشرق الأوسط لاسيما العراق ندر أن وجدت مدينة كبيرة أو شهيرة – يبلغ عدد سكانها هذا الرقم أو يكاد فما بالك بالمسيحيين فيها؟ على أن ذلك يثبت على الأقل رسوخ قدم المسيحية فيها.

ويرد ذكر (كركوك) في كتاب (علي اليزدي) الموسوم (ظفرنامه) وهو تاريخ فتوحات تيمورلنگ له ترجمة فرنسية (١٧٢٢م) عنوانها (Histoire de Timur Bec) ج١، ص ٦٦٠: ذكر اليزدي وربما في

(١٣٩٠هـ) إستيلاء تيمورلنگ عليها وقال إنها تقع بالقرب من داقوق.

كانت كركوك وإقطاعها من أملاك دولتي القره قويونلو والآق قوينلو التركمانيتين على التوالي (١٣٣٨هـ–١٥٣٤هـ) خلال الفترة القصيرة لإجتياح تيمورلنگ. ومما ذكره المؤرخون عنها في عهديهما أن (شاه رخ قره يوسف) رئيس الدولة الأولى سكن كركوك وتوفي فيها. و(الغياثي) في تاريخه (حوالي ١٥٢٨م) وكاتب چلبي (تحفة الكبار في أسفار البحار) وأما الإسم الحديث فهو إختصار وإدغام للتسمية المعروفة لها منذ العهد السلوقي (كرك سلوق) بقلب الكاف الى خاء نطقاً. ولم نجد مرجعاً قبل هذا يذكرها بإسم كركوك.

كما يذكر عباس العزاوي في الجزء الثالث من كتابه (العراق بن إحتلالين) ص٦٢٦ وهو يثبتها بالإسم الذي نعرفه لها اليوم، ويذكر أنها مع منطقتها كانت (أولكه أي اقطاعية) للأمير إسكندر ابن قره يوسف وأن هذا الامير قُتل بعد حروب سجال بيد أخيه.

ويتفق المؤرخون الذين كتبوا عن هذه الفترة على أن الشاه (طهماسب الصفوي) الذي افتتحها في العام ١٥٢٩م منح براءتها أي التصرف بأمورها لصوفية الكلهور الكُرد، وأنه رغم تقلب ايدي العثمانيين والفرس عليها فقد بقيت بتصرفهم حتى ضُمت نهائياً الى أملاك الدولة العثمانية على عهد السلطان مراد الرابع. ويقول تفصيلاً أنه في العام ١٥٥٥م دخلت كركوك ضمن أملاك العثمانيين رسمياً. إلا أن القزلباشية الإيرانيين عادوا لإحتلالها موقتاً مرتين أولاها بين (١٦٣٠م) وثانيتها على عهد نادر شاه (١٧٤٣م–١٧٤٦م) الذي ألقى الحصار ثمانية أيام عليها وفتحها، وبقيت بيد العثمانيين حتى نهاية الحرب العالمية الأولى. وفي القرن الثامن عشر كانت مركز (أيالة) شهرزور، ويدخل فيها محافظات كركوك واربيل والسليمانية الحالية تقريباً ويحكمها (متسلم) يعينه والي بغداد. إلا أن (مدحت پاشا) والي بغداد أطلق إسم سنجق (متصرفية) كركوك على ما يطابق محافظتي أربيل وكركوك الحاليتين، في حين إرتبطت شهرزور التاريخية بسنجق السليمانية المستحدث، وضُم الجميع الى ولاية الموصل المستحدثة في العام ١٨٧٩م.

***

والتاريخ منذ أن شرع رواده في تدوينه على الصخر أو الطين، أو الرق كان يميل دائماً الى تسجيل المعارك التي يخوضها الملوك وإثبات الصفقات الدبلوماسية التي يعقدونها. فهذان تقريباً كانا مجال مؤرخي القرون السابقة لعصر النهضة الأوروبية الحديثة. وقد لازمتا الى وقت متأخر جداً مؤرخي بلدان الشرق الأوسط. كانت الأسر الحاكمة والملوك يكلفون موظفيهم أو كُتّابهم، ملتمسي الحظوة عندهم في العادة، تسجيل ما يحسن في عينهم تسجيله – فهم بين قارع طبل ونافخ في بوق، وكان علينا أن نرهف السمع وننعم النظر ونتلمس السبيل بين الركام الهائل من قصص البطولات ووقائع الحروب لنصل الى مادة التاريخ الإجتماعي الأساسية، وهي قبلة المؤرخ العصري، وهدفه. والتكوين الطبقي والعنصري لمجتمع ما هو ركن أساس من هذا التاريخ. والمجتمع الذي نقصده هنا

هو مدينة كركوك وقد باتتْ مَعرفةُ تركيبتها السكّانية والعنصرية أمراً من الخطورة بمكان إثر بيان آذار ١٩٧٠.

لم يكن هناك أي إشكال في هوية كركوك الإثنوغرافية قبل قيام ضباط الرابع عشر من تموز بإنقلابهم أو بثورتهم إن شئت. فكركوك مثل غيرها من مدن بلاد الرافدين العريقة في الحضارة والقدم، سكنتها أقوام يتعذر إحصاؤها وجرت على أديمها حروب ومعارك وتداولتها أيدي الفاتحين وخلّف كل فاتح وغازٍ منهم بصماته أو نطفته فيها، وقد يكون من قبيل التكرار الممل أن نستعرض أسماء تلك الأقوام التي سكنت المدينة على التوالي، فما أوردته من مختصر لتاريخها يكفي ويغني.

لكن، علينا أن نذكر بأن كركوك إعتبرت نفسها خارج حدود المملكة العراقية منذ عام ١٩١٨، فلم يرتفع العلم العراقي على ساريات بناياتها طوال خمس سنين. واللغتان الدارجتان فيها هما الكُردية والتركية والسكان هم كُرد وتركمان وأقلية مسيحية ويهودية.

ولم تتبدل الحال طوال تسعة قرون، الى حين بدأت عملية الحكام البعثيين المبرمجة لتعريب المدينة منذ العام ١٩٦٣ فصاعداً.

ذكر المؤرخ التركي العلامة الشهير شمس الدين السامي راجع موسوعته (قاموس الأعلام) مادة كركوك طبع إستنبول١٨٩٠م:

«مدينة كركوك هي مركز الإقليم المعروف بشهرزور وهو من تبعة ولاية الموصل في كُردستان. ثلاثة أرباع سكانها من الكُرد وربعها الآخر من الأتراك وبعض العرب والأقليات الأخرى».

وقال إدموندز عنها في كتاب كُرد وترك وعرب الصحائف ٢٣٢-٢٤٣ وكان ذلك في العام ١٩٢٢ عندما نُصب ضابطاً سياسياً- وينبغي مراجعة ترجمتنا لكتابه الشهير (كُرد وترك وعرب) سياسة ورحلات وبحوث عن الشمال الشرقي من العراق ١٩١٩-١٩٢٥ ومن طبع بغداد ١٩٧٠- مكث (إدموندز) فيها زهاء سنتين ينسق وينظم علاقات اللواء الإدارية مع المندوب السامي البريطاني في بغداد ويوجه سياسته المحلية لاسيما إزاء ثورات الشيخ محمود الحفيد. قال إدموندز:

«يبلغ عدد سكانها زمن كتابة هذه السطور خمسة وعشرين الفاً. وربعهم من الكُرد والبقية تركمان وعرب ونصارى ويهود».

وأثبت إحصاء العام ١٩٤٧ السكاني العام عدد قاطنيها بما لايزيد عن تسعة وستين الفاً. وقد تضاعف هذا العدد في العام ١٩٦٧ بنتيجة إحصاء سكاني ثان.

ويقدر عدد أهالي كركوك في يومنا هذا بما يزيد عن أربعمائة الف أغلبيتهم عرب. وما تزال عملية التغيير السكاني والتهجير التركماني - الكُردي قائمة. ومع أن المدينة تقع ضمن حدود كُردستان الطبيعية، فإن اصالة تواجد التركمان فيها مما لايمكن إنكاره مطلقاً.

لايسعنا هنا إلا أن نخالف (إدموندز) فيما إفترضه تاريخياً لأول نزوح للقبائل التركمانية الى المدينة وما جاروها من القرى والقصبات حيث يقول ما نصه:

«ناقشت مع المؤرخين العراقيين مسألة مجيء التركمان اليها- أي الى كركوك- وكانوا على خلاف في الرأي وهم يترددون بين فروض خمسة، أولها: جاء بهم السلاجقة العظام من الأناضول، وثانيها: انهم أحفاد أسرى الحرب المائة الف الذين وقعوا بيد (تيمورلنگ) فأعتَقَ رقابهم بتوسط (خواجه علي) شيخ أردبيل منشيء الطريقة الصوفية الشيعية، أي أن إستقرارهم كان في حدود ١٣٩٢-١٤٠٢ وثالثها: أن السلطانين سليم الأول (ياوز) وسليمان القانوني (في حدود ١٥١٢-١٦٦٦) نقلاهم الى تلك الأنحاء ليقوموا بحماية الطريق السلطانية، ورابعها: أنهم أحفاد الآذريين من مراغة الذين حشدهم الشاه اسماعيل الصفوي (١٥٠٢-١٥٢٤) ليكونوا بمثابة حاميات عسكرية آذرية (الأذربايجانية) التي أقامها نادر شاه (١٧٣٠-١٧٤٧) في ذلك الإقليم (يقصد بالطريق السلطانية خط مسيرة الجيش العثماني في كُردستان العراقية الذي ينتهي ببغداد مبتدئاً بتلعفر وسائراً بمحاذاة دجلة خلال قرى تركمانية عدّة حتى أربيل وآلتون كوپرو وكركوك وتازه خورماتو وداقوق (طاووق) وطوزخورماتو وقرەتپه... حتى بغداد».

مثل هذه الهجرة ذات الطابع الإستقراري لايمكن أن تكون سبباً واحداً من الأسباب التي ذكرها. وقد يصح أن تكون كلها مجتمعة. فالمعلوم عند متتبعي تاريخ كنيسة المشرق السريانية النسطورية، التي كانت كركوك واحدة من مراكزها الهامة، أن العشائر التركمانية في آذربيجان وشرق بحر قزوين وأواسط آسيا (تركستان الحالية)، كان عدد كبير منها قد إعتنق الديانة المسيحية وأن كثيراً من أساقفتها وكهنتها كانوا يمثلونها في المجامع الكنيسة العامة المقامة في تلك المدينة أو في سلوقية قطسيفون وأن الهجرة العامة نحو الغرب أي شمال شرق بلاد الرافدين (كُردستان) من أواسط آسيا، إبتدأت قبل الفتوح العربية بأكثر من قرن من الزمن وكركوك تقع على خط الهجرة وهي السبيل الوحيدة والمقصد، فالآذريون وغيرهم من التركمان بلغوا هذه البقاع قبل أن تطأها قدم عربية بالزمن الذي حددناه.

لا نزاع في أن تركمان بلاد الرافدين كانوا أقلية عنصرية ذات خطورة وشأن عندما أقدم الخليفة المعتصم بالله (٨٣٣-٨٤٢) على انشاء جيش تركي القوام في محاولة منه لكسر النفوذ العسكري والسياسي الفارسي أو لإحلال معادلة بينهما على الأقل. ولايمكن القطع بأي قدر من اليقين أو الإحتمال، أن هذا الخليفة عمد الى إستيراد جنده هؤلاء من آذربيجان وتركستان خصيصاً؛ وما من شك في أن تواجدهم في شمال شرق بلاد الرافدين كان أسبق من تواجدهم في بغداد. ألا فلنتأمل هذه الفترة من (مروج الذهب) وكذلك الطبري في (تاريخ الأمم والملوك، ج٧، ص٢٣٣) وكلاهما كان يعزو سبب ترك المعتصم بغداد وبناء سامراء الى تذمر سكان العاصمة من وجود الأتراك وأسرهم بكثرة. وتؤكد عبارة المسعودي بأنهم كانوا أقلية كبيرة في بغداد مكّنت الخليفة من تجنيد (٤٠٠٠) منهم بسهولة.

وكتاب المسعودي طبع بيروت، ج٣، ص١٧٩ وإبن الأثير طبع بيروت، ج٦، ص٤٥٢، وقد إتفقا على هذه الرواية. بهذه العبارة كان المعتصم قد أكثر من الغلمان الأتراك الخ. يقول المسعودي:

«كان المعتصم يحب جمع التراك وشراءهم من أيدي مواليهم. فإجتمع له منهم (٤٠٠٠) فألبسهم الديباج... وأبانهم بالزي عن سائر جنود جيشه وكانت الأتراك تؤذي العوام بمدينة السلام (بغداد) بجريها الخيول في الأسواق... وما ينال الضعفاء والصبيان منها».

وعلى هذا تُطبِق كتب المؤرخين العرب والإسلام. مؤكدة وجود حاميات عسكرية تركية وضعها المعتصم وخلفاؤه بصورة مستديمة في شمال شرق عراق اليوم إعتباراً من القرن التاسع.

***

مثلما كان عامل النفط وغنى منطقة كركوك السبب في القضاء على آمال الكُرد في دولة مستقلة في الأعوام ١٩١٨ – ١٩٢٥، كذلك كان عاملاً لقيام سلطات البعث برسم مخطط طويل الأمد لتعريب مدينة كركوك. وللتعريب الذي نقصده وضع البعث الحاكم خطة ذات أوجه ثلاثة يتم تطبيقها في آن واحد. أولها إفراغ المدينة التام من الأغلبية الكُردية والتركمان بالقدر الذي يجعل من هؤلاء أقلية لايُعتد بها، بجملة من الإجراءات القسرية التي اشتُهر بها هذا النظام لاتقف حتى عند إزهاق الروح، وأشكال شتى من الإغراءات المالية، والمنح العقارية والمناصب الرسمية للعرب الراغبين في تبديل محلات سكناهم. ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الباب أنه وفي أوائل القرن العشرين عبرت أفخاذ من قبيلة (العبيد) العربية دجلة لتجد لنفسها مراعي ومستوطنات في حافة سهوب (الحويجة)، والعبيد قبيلة اشتهرت بتربية الجمال فحسب ولم يعرف عنها إمتهان الزراعة قط فهي بدوية ذات خيام. وفي العهد الملكي بُدِء بتنفيذ مشروع الحويجة الإروائي من أجل تشجيع هذه العشيرة على الإستقرار والزراعة. وكانت كركوك سوق هؤلاء التي يرتادونها للإستبضاع ولم تعمد حكومة ذلك العهد الى تشجيعهم على الإنتقال إليها والسكن فيها ولم يفعلوا هم أيضاً.

تمادى البعث على تغيير المعالم الحضارية والتراثية للمدينة بتغيير الأسماء الكُردية والتركمانية الى أخرى عربية. مبتدئاً بإسم المحافظة نفسها فإخترع لها الإسم السخيف العجيب «التأميم».

بقي للنظام البعثي أن غيّر أسماء مدن ومحافظات في بلاد الرافدين متخذاً لها اسماء تاريخية تذكر بماضيها كمحافظة نينوى وبابل وذي قار وميسان والقادسية. إن كركوك إسم التاريخي لا غبار عليه، وللإقليم كله إسمه التاريخي الذي عرفه المؤرخون العرب والمسلمون وهو (باجرمي) أو (كرميك) إلاّ أن التعريب كان يقضي أن يكون لهذا الإقليم غير العربي إسم عربي، فوجب ذلك.

أُبدلت أسماء الشوارع والأحياء. وبنيت أحياء جديدة للعرب النازحين بأسماء عربية، بل جرى التغيير على أسماء المساجد والبنايات المشهورة والأماكن أيضاً. وقد ذكروا لي، ولم أحمله محمل جد حتى أكّد القول مَن أثق به، أن محافظاً بعثياً للمحافظة شديد الغيرة على عروبته، إنشغل حيناً من

الزمن في البحث عن تسمية بديلة للنار الغازية الدائمة المسماة (باباگورگور) وهذا الإسم هو كُردي ومعناه (الأب النوراني) واصله، كما ذهب بعضهم (عباس العزاوي مثلاً) لشيخ مشهور من شيوخ بكتاشية كركوك إسمه (باباگورگور) ولد في المدينة في القرن السادس عشر وعاش في بغداد وله مسجد بإسمه هناك.

وأذكر بهذه المناسبة في ناوپردان، حيث كانت الجولة الأولى من مفاوضات ١٩٧٠، دار البحث حول المنطقة التي سيشملها الحكم الذاتي وحدودها. فانبرى الوزير عبدالله سلوم السامرائي قائلاً:

– إن كركوك عربية.

فإبتدره ملا مصطفى منفعلاً:

– مَن أنت لتقول إن كركوك عربية؟

ونهض البارزاني وهمَّ بالخروج وهو يقول لايضمني مجلس به هذا الشخص، وتشبث فيه الحاضرون راجين مستشفعين ولم يعد إلاّ بعد اصراره على خروج السامرائي من قاعة الإجتماع، فتم له ذلك ثم جرت المصالحة وسكت المجتمعون عن كركوك.

غير أن المادة ١٤ من إتفاق آذار نصت على توحيد المحافظات الكُردية مع الوحدات الإدارية الأخرى التي ستدخل حدود الحكم الذاتي على أساس الأكثرية العددية بنتيجة الإحصاء الذي سيتم. كما إتفق الجانبان على عدم الإعتراف بأي تواجد سكاني حصل في المناطق المذكورة بعد إحصاء العام ١٩٥٧ السكاني العام، والقصد الأساسي تحديد هوية كركوك دون ذكرها بالإسم.

لم يكن تأخر إجراء الإحصاء السكاني بعد إعلان إتفاق اذار بسبب إعتراض البارزاني ولكن لما كانت الأكثرية الكُردية والتركمانية واضحة، ولما لم يكن هناك شبهة في واقعها التاريخي والجغرافي فضلاً عن الإثنوغرافي، لذلك كان الترحيب بالإحصاء طبيعياً. ورغم المجهودات التي بذلتها السلطة المركزية في العام ١٩٦٣، طوال فترة حكمها القصيرة وإستئناف ذلك في ١٩٦٨ حتى العام ١٩٧٠ وكلها كانت معروفة.

في ذلك الحين كانت السلطة تتكتم كثيراً في اخفاء نواياها بكركوك. فمن سورية وبعض الدوائر العربية إنطلقت شائعات حول الثروة النفطية التي ستضيع على الوطن العربي بإعلان كركوك جزءً من كُردستان ذات الحكم الذاتي الذي سيمهد حتماً للإنفصال، ومن دون أن تدري تلك الجهات ما يدبره البعث في الخفاء. ففي التاسع عشر من آذار ١٩٧٠ ولم يمض غير أسبوع على إعلان الإتفاق نشرت وزارة الثقافة والإعلام ببغداد كتيباً تضمن حديثاً لمراسل جريدة الأهرام المصرية مع نائب رئيس مجلس قيادة الثورة تطرق فيه هذا الى موضوع كركوك وكان جوابه على سؤال المراسل: «خلال المفاوضات التي جرت لم يكن هناك وجه لإثارة أي خلافات حول مصير كركوك. إن وضع كركوك وأثره في الحكم الذاتي ينبغي أن لايثير مخاوف (يقصد مخاوف العروبيين في سورية ومصر) فالإحصاء العام الذي سيجري في العراق هو الذي سيكشف ما إذا كان للأكراد غالبية السكان في كركوك أم لا. وإذا كانت كركوك ضمن المناطق التي يتمتع فيها الأكراد بأغلبية سكانية فليس لدينا ما

يمنع من أن تنضم الى دائرة المنطقة الكُردية التي ستتمتع بالحكم الذاتي». وكان كما يبدو مطمئناً جداً من النتيجة.

تابعت عملية التعريب بكل مظاهرها البشعة وأنا بعيد عن الوطن طوال أكثر من ربع قرن. وإليك خلاصة ما وقفت عليه. وبعضه موثق بكتب رسمية لديَّ أصولها وصور منها في مملكة السويد حيث أقمت ولي أن أقول لم يجف حبر إتفاق آذار حتى كانت عملية التعريب وتغيير الواقع السكاني تطل على صانعي تلك الوثيقة بإبتسامة مكشرة. وإليك ما تم إنجازه في هذا السبيل:

تم بالأول نقل كل موظفي الأحوال المدنية وجيء بغيرهم وقد زودوا بتعليمات معينة حول العبث بسجلات النفوس وتزويرها.

وخلافاً لما نصت عليه الإتفاقية بوجوب نقل أفراد الشرطة الكُرد المعادين الى الخدمة – وتثبيتهم في مراكز عملهم السابقة في المدينة، تم تنسيبهم الى محافظات أخرى رغم أنهم من سكان المحافظة. ومن بين مئات العمال الكُرد الذين كانوا مستخدمين في شركة النفط بكركوك فأعيدوا الى الخدمة لم يعد إليها غير خمسين. وكانوا قد طردوا بسبب نشاطهم السياسي أي (إنتمائهم الى الپارتي) وفي حين كان مشروعا استخراج الكبريت ومصنع إنتاح الكوكا كولا اللذان بُديء بإنشائهما، بحاجة الى مئات من العمال فاستخدم لهما عمال من العرب جيء بهم من خارج المنطقة رغم تفشي البطالة في المدينة. وتم على عجل نقل مئات الأسر العربية الى المدينة من أنحاء أخرى، بعد أن بُني لها على عجل وبسرعة فائقة أحياء سكنية جديدة كاملة وزود أفرادها بدفاتر نفوس قُلِّب تثبت بأنهم من سكنة المدينة قبل إحصاء النفوس العام للسنة ١٩٥٧ كانت هذه الدفاتر تُصدَر رأساً للسيل الدفاّق المستمر من النازحين العرب.

هذه الأسر النازحة الى كركوك كانت تجد أرضاً معدة لها لتبني فوقها منزلاً ومبلغاً كبيراً يُمنح لها لتدارك النفقات، وقد تواصلت هذه العملية على ما يبدو وذكر قادمون من المدينة أن الأسر العربية كانت تنصب إنصباباً في المدينة حتى العام ١٩٩٠ وقد لقبوا محلياً بـ(جماعة العشرة آلاف) إشارة الى المبلغ الذي كانت السلطة تزودهم به لقاء نزوحهم. وبخلاف هذا فانها بدأت تشتري أو تحتل منازل المجموعات التي أجلَتها السلطة عنها قسراً وساقتهم الى مناطق الجنوب. سواء في الأمر أهُم من الكُرد أو التركمان.

ونقل عدد كبير من الكُرد العاملين في شركة النفط في مختلف فروعها الى مناطق أخرى خارج المدينة. وشُجّع الإقطاعيون والقبائليون العرب بالمال والأراضي للإستيطان في المدينة. كما زودوا بالأموال لإغراء أصحاب العقارات الكُرد والتركمان ببيع عقاراتهم تماماً مثلما كانت المنظمات الصهيونية في اوروپا تزود يهودهم في فلسطين بالمال الكثير ليبتاعوا أراضي الفلسطينيين العرب الأمر الذي كان يستتبع عادة إخراج شاغليها. وقد اتُّبعت هذه الخطة بصورة خاصة في مناطق سكنى عشائر الداوده والكاكائية واستُخدم التهديد بالإعتقال والسجن لمن يأبى التنازل. ومن بين القرى التي شملتها هذه العمليات (حەشیشە) و(دەلسی گەورە) و(دەلسی بچووک) و(گەراگرە)

و(كەريميە) و(شێ محمد) و(دلباوە) و(گومبز) و(گرد رابيعە) و(سێكانى) و(عەتشانە) و(تل مغار) و(مەغوون) و(سيد محمد) وغيرها.

وإستمرت عملية هدم البيوت داخل المدينة. وكانت قد بدأت في العام ١٩٦٣، لتشمل أحياء برمتها في محلة الشورجة وآزادي سويت بالأرض بالبلدوزات وشُرِّدَ سكانها بحجة تنفيذ سياسة إعادة تخطيط المدينة وإقامة مشاريع معينة ولم تكن في الواقع غير إنشاء أحياء سكنية جديدة للقادمين العرب، من ذلك إنشاء حي جديد بإسم (حي الكرامة) يضم (٦٠٠) منزل معد لسكنى ثلاثة آلاف نفس تقريباً ويقع في الشمال الشرقي من المدينة مقابل محلة (إسكان) الجديدة وعلى الطريق الرئيسي المؤدي الى السليمانية. وانشيء أيضاً حي آخر بإسم (حي المثنى) يضم (٥٠٠) دار. جرى ذلك في العام ١٩٧٢. وفي خلال العامين ١٩٨٠ و١٩٨١ وزعت السلطات مجاناً ما يزيد عن (٣٠٠) قطعة أرض سكنية في هذين الحيين على أسر (شهداء) قادسية صدام من العرب وتم بناء منازل فيها.

كما أنشيء حي آخر لعمال الكوكا كولا المستوردين من المناطق العربية، بمقابل محلة (رحيم آوا) التي استُبدل إسمها الكُردي وباتت تعرف اليوم بـ(حي الأندلس).

وفي منطقة شركة النفط بوشر بمشروعي اسكان كبيرين. عرف أولهما بمشروع (٢٠٠٠) دار وثانيها بمشروع (٤٠٠٠) دار، لإستيعاب أسر العمال الأغراب عن المدينة. وبنيت (١٠٠٠) دار أخرى عرفت بدور (العمل الشعبي) على الطريق الرئيسة بين كركوك وقصبة (الدبس) لسكنى عمال شركة الغاز الطبيعي والكبريت ومصفى النفط، الذين إحتلوا مكان العمال الكُرد والتركمان المطرودين والمنقولين.

تتسع المدينة بشكل غير طبيعي، وخلافاً لقانون الهجرة من الريف الى المدينة ، ويُحظر على أي كُردي أو تركماني من الجوار السكنى الدائمية فيها. ويتم السماح والمنع بإرادة السلطة ووفق تعليمات واضحة محددة، في حين راحت حركة البناء وإستحداث الأحياء السكنية الجديدة للقادمين العرب، تتقدم بخطوات جنونية. وإليك مثالاً:

ففي منطقة شركة النفط وقد نوهنا بحركة البناء فيها، تم إنشاء حي جديد باسم (حي الضباط) أمام مقر الفرقة، على شكل قوسي يمتد حتى محطة القطار وبين مقر الفرقة والمحطة أنشئت مساكن أخرى بلغت منطقة (تسعين) القديمة وأول الطريق الى (تكريت) حتى طريق كركوك – بغداد ومحطة التلفزيون وعلى الشكل التالي:

نحو من (٨٠٠) منزل في حي (تسعين) القديم أطلقت عليه السلطة إسم (حي البعث). وخصصته للعرب المستعمرين القادمين.

ما يزيد عن (١٥٠٠) دار بين طريق بغداد وطريق تكريت حتى محطة التلفزيون أطلقت عليها السلطة إسم (حي الواسطي). وعلى إمتداد يسير لطريق بغداد أنشيء أكثر من (١٠٠) دار، لحي جديد أطلقت عليه السلطة إسم (حي الإشتراكية).

وعلى الضفة اليسرى من نهر (خاصة) والساعد الأيسر لطريق كركوك بغداد أنشيء حي آخر

بإسم (حي غرناطة) شيدت فيه حوالي (١٦٠٠) دار.

وعلى الضفة الأخرى من النهر بإمتداد طريق (ليلان) وشورجة أنشئت أحياء جديدة، منها (حي الحجاج) ويضم أكثر من (١٠٠٠) دار، وبين هذا الحي والمجزرة الجديدة أنشيء حي آخر بإسم (حي العروبة) والى شمال حي الحجاج أقيمت منطقة سكنية أخرى بإسم (حي الوحدة)، وبمقابل حي الوحدة هذا أنشئت منطقة سكنية أخرى بإسم (حي الحرية). وإستحدث لرجال الأمن والمخابرات حي جديد تألف من حوالي (٢٢٠) داراً وغرف بـ(دور الأمن). والى جانبه منطقة سكنية أخرى بـ(١٠٠) دار عرفت بإسم (دور ضباط الصف) وبمقابل هاتين المجموعتين إستحدث حي آخر يضم (٧٥٠) منزلاً وأطلق عليه إسم (حي قتيبة) (نسبة الى القائد العربي، قتيبة بن مسلم) والى جانب هذا الحي وعلى إمتداده بنيت (١٠٠٠) دار وأطلقت على حيها إسم (حي الشرطة).

في العام ١٩٨١ وزعت أكثر من (٨٠٠٠) قطعة أرض سكنية خلف نقطة سيطرة (ليلان) على الأسر العربية التي رُسم لها أن تستوطن المدينة ومنحت السلطة كل أسرة مبلغ عشرة آلاف دينار، كما ذكرنا فضلاً عن تسعة آلاف دينار بقيمة الدينار الأولي طبعاً وقبل الإنهيار النقدي قرضاً من المصرف العقاري بفائدة رمزية لغرض تشييد دورها عليها.

ثم وزعت السلطة في الوجبة الثانية (٢٥٠٠٠) قطعة على إمتداد الطريق من كركوك الى ناحية ليلان وبطول ١٨ كيلومتراً وهي المسافة التي تمتد بين كركوك وبين ناحية ليلان.

وتم في قلب المدينة توزيع (٤٠٠) قطعة سكنية على الأسر العربية وفي عين الوقت شرعت السلطة في إزالة أحياء قديمة برمتها وتسوية ابنيتها بالأرض بحجة توسيع شوارع المدينة ودروبها وعمل ساحات تجميلية فيها. إلا انها لم تكن تمنح أصحاب الدور المستملكة قطع أراض في الأحياء الجديدة التي خلقتها ولا إعانات مالية كالتي كانت تغري بها العرب للسكنى فيها.

وهذا ما وقفنا عليه مما وقع لكركوك.

***

بطبيعة الحال وفي خلال فترة السنوات الأربع التي حددها بيان الحادي عشر آذار بدأت عملية التغيير السكاني في كركوك، مكشوفة، واضحة من الأول. لاسيما بعدما إضطر مقر الفرع الثالث للحزب الديمقراطي الكُردستاني الى مغادرة المدينة وتعدد حوادث العنف والشغب التي كانت أجهزة السلطة الأمنية والحزبية والقمعية تفتعلها لتنظيف كركوك من عناصر الپارتي النشطة والوجوه الوطنية المعروفة.

وفي العام ١٩٧٢ كان كل شيء واضحاً لملا مصطفى رحمة الله عليه.

إلتفت الى زائره وزير الخارجية البعثي (مرتضى الحديثي أو عبدالباقي) وقال له متهكماً:

– إن تغيير مدينة كركوك قد تمّ، فلا حاجة بعد تدعو الى إحصاء لأن نتيجته ستكون دليلاً إضافياً على أننا جانبنا الحقيقة.

وقبل أن أدفع هذا البحث الى الناشر ضمن بقية الكتاب وصلتني معلومات أخرى موثقة بكتب رسمية. فقمت بإضافة هذه الفقرة الى متن الكتاب.

مازالت عملية التهجير متواصلة على مايبدو وبشكل همجي منظم، تذكر النشرة الاخبارية التي يصدرها الحزب الشيوعي العراقي (أخبار العراق) في عدد آذار ١٩٩٨ أن عملية الترحيل مازالت تتواصل وبمعدل عشر عوائل أسبوعياً وكما يشير الكتاب الرسمي الذي تجد صورته، يتم حجز أحد أفراد الأسرة أثناء الترحيل في مركز الشرطة لحين وصول عائلته الى نقطة السيطرة الحكومية الأخيرة بمحاذاة المنطقة الآمنة التي تسيطر عليها القوات الكُردية وهناك تقوم النقطة بإبلاغ مركز الشرطة بإنجاز عملية الترحيل. ويذكر هذا المصدر أيضاً أن عملية ترحيل أخرى بدأت في تشرين الثاني (نوڤمبر) ١٩٩٧، وقد وصلت في حينه بلدة چمچمال.

واليك نص الكتاب:

جمهورية العراق العدد: ٣٠١٤٣٣

محافظة التأميم: التاريخ: ١٩٩٨/١/١٢

(ديوان المحافظة)

بناء على كتاب ديوان الرئاسة الصادر بيومه وتاريخه حول التنسيبات الجغرافية للمحافظات وقطاعاتها وتطبيق قوانين السكن في محافظة التأميم ولظروفها الأمنية البالغة الأهمية وموقعها الجغرافي، يرجى تطبيق الكتاب بفقراته كاملة عن غرض إتباع نظام الأمن فيه.

١- يتبع التعليمات الاتية:

أ- يحجز شخص من كل عائلة كُردية مرحَّلة الى المناطق الشمالية.

ب- حجز دور التمليك للمرحلين.

ج- حجز البطاقة التموينية.

د- حجز قسائم الإشتراكات في الدوائر الحكومية.

٢- إعلام كل من:

أ- مسؤول أمن المنطقة.

ب- مسؤول الحزب للقطاع المشمول.

ج- مختار المنطقة. (بكتب رسمية وإتباع النظام المخصص).

نسخة منه الى:

المحافظة. مسؤول أمن المنطقة، مسؤول الحزب للقطاع المشمول.

الوجبة (١٤٦٨) شخصاً التاريخ من ١٩٩٨/٦/١٥.

يرحَّل من القواطع التالية:

* حي العسكري (٥٢) عائلة.

* طريق بغداد (١٢).
* إسكان (١٥٠).
* الحرية (٢٣٤) عائلة.
* المصلى (٢) عائلتان.
* القورية (٣١) عائلة.
* شورجة (٣٢١) عائلة.
* الأندلس (٤٠١) عائلة.
* إمام قاسم ١/ (٧٤) عائلة.
* إمام قاسم ٢/(٦٦) عائلة.
* اخي حسين/ عائلة واحدة.
* صاري كهية (٣٢) عائلة.
* حي الخضراء/ عائلة واحدة.
* حي العسكري/ ست عوائل.

كركوك وثورة أيلول المجيدة

حبيب محمد كريم

هذا الجهد المتواضع الذي أقدمه لحضراتكم ليس بحثاً أو دراسة أكاديمية إنما هو عرض لواقع الوضع السياسي والعسكري في لواء (محافظة) كركوك خلال ثورة أيلول الواقعة ضمن الفترة الزمنية بين أيلول عام ١٩٦١ وآذار عام ١٩٧٥. وإذا تطلب سياق البحث تجاوز هذه الفترة فسيكون ذلك بإختصار شديد وعلى أضيق نطاق ممكن، وقد قمتُ بإعداده بناءً على طلب من الأستاذ الأخ عارف طيفور وبتوجيه من الرئيس مسعود البارزاني. وسوف لا أتطرق الى الجذور التاريخية لمشكلة كركوك ولا الى أهميتها الستراتيجية والنفطية ولا الى التعريب، لأن الأساتذة والأخوان المشاركين في هذا الكونفرانس قد أشبعوها بحثاً وتمحيصاً من خلال الدراسات والبحوث القيمة التي أعدوها لهذا الغرض. سوف نتناول في هذا البحث الوضع العسكري في تلك الفترة ثم الوضع السياسي مع الإشارة الى المفاوضات التي جرت بين قيادة الثورة الكُردية وبين الحكومة العراقية، خاصة بعد عام ١٩٦٨ والى (عقدة كركوك) التي كانت العقبة الكأداء بين أي تفاهم بيننا وبينهم.

أولاً- الوضع العسكري:

كانت قوتنا العسكرية في تلك المنطقة تتكون من هيز رزگاري وهيز قرەداغ وقوة عسكرية صغيرة أخرى تسمى (پێشمەرگەی ناو شار) أي البيشمرگه داخل المدينة وكانت بإمرة الفرع الثالث للحزب مهمتها تنفيذ بعض الواجبات الخاصة داخل مدينة كركوك أو في أطرافها وبالإشتراك والتنسيق مع الهيزين المذكورين في بعض الأحيان. وكان المجموع الكلي لكل هذه القوات حوالي (٤٠٠٠) أربعة آلاف مسلح وكالآتي:

أ- هيز رزگاري: مع أوائل عام ١٩٦٢ تكونت قوة مسلحة من الملتحقين بالثورة سُميت في حينه (كەرتی یەک) وكان مقرها في (چەمی ڕێزان) ويقودها جلال الطالباني وبعد الإنشقاق الذي حدث في الحزب عام ١٩٦٤ تولى قيادة المنطقة وبأمر من البارزاني الخالد الملازم رشيد سندي وسميت القوة آنذاك بهيز رزگاري. وتتكون رقعتها الجغرافية من يسار الطريق العام بين مدينة كركوك وبإتجاه السليمانية والى القرب من منطقة طاسلوجة ومن هناك الطريق العام المتجه الى دوكان، ويعتبر نهر الزاب الصغير الحد الفاصل بين هيز رزگاري وهيز دەشتي هەولير ويتكون الهيز من أربعة بتاليونات:

- بَتاليون (يەک شوان) وتنتشر قوته في منطقة شوان وشيخ بزيني، وكان مسؤوله الملازم طارق أحمد لفترة من الوقت ثم حمه سور حسين، الذي بقي مسؤولاً عن البتاليون لفترة طويلة.
- بتاليون (دووى ئاخجەلەر) وتسمى كذلك (قەلاسيوكه) وكان مسؤوله حاجي شيخ قادر.
- بتاليون (سێ) ومقره في سورداش ومسؤوله الرئيس عبدالله صديق.
- بتاليون (چوار) ومقره في ناحية (مەرگه) ومسؤوله عريف درويش.
- قوة في مقر الهيز الكائن في قرية (هەڵەدن).

لقد تعاقب على قيادة هذا الهيز الملازم رشيد سندي ثم العقيد عبدالرحمن القاضي ثم رشيد سندي للمرة الثانية وأخيراً الرئيس عبدالله صديق ولغاية النكسة عام ١٩٧٥.

ب- هيز قرەداغ: تم تكوين هذا الهيز ما بين عامي ١٩٦٢-١٩٦٣. كانت حدوده تبدأ من يمين الطريق العام ما بين كركوك وبإتجاه مدينة السليمانية وتنتهي بالقرب من طاسلوجة وتنحرف يميناً على طول سلسلة جبل قرەداغ الى مدينة دربنديخان ثم جنوباً بإتجاه كفري وطوزخورماتو الى أطراف مدينة كركوك .وعليه فإن الطريق العام بين كركوك والسليمانية يعتبر الحد الفاصل بين هيزي رزگاري وقرەداغ. وكان مقر الهيز يقع في قرية جعفران الكائنة ضمن ناحية قرەداغ. وتتكون قوة الهيز من أربعة بتاليونات أيضاً:

- بتاليون پێنج جباري: ويقوده عريف حميد برواري وتم تبديل إسم ورقم البتاليون الى بتاليون يەكى دووز فيما بعد وكان مسؤوله عبدالله محمدأمين آغا.
- بتاليون دووى كفري: ومسؤوله الملازم علي مصطفى.
- بتاليون سێ قرەداغ: ومسؤوله عزيز قاضي ثم الملازم عبدالرحمن پيداوي.
- بتاليون چوار: ويقع مقره بالقرب من مقر قيادة الهيز.

كان أول آمر لهذا الهيز الملازم كمال مفتي وبعد إنشقاق عام ١٩٦٤ حلّ محله المقدم نوري ملا حكيم ثم العقيد نوري ملا معروف ثم الملازم طاهر علي والي فترة قصيرة قبيل النكسة.

لقد كانت قوات هذين الهيزين مصدر إزعاج شديد للحكومات العراقية المتوالية وقواتها المسلحة بالنظر لقربها من مدينة كركوك ومنشآتها النفطية ومن منطقة جمبور النفطية أيضاً وكثرة تعرضها لهذه المنشآت من جهة وكثرة الكمائن الناجحة التي كانوا يقيمونها على الطريق العام بين كركوك والسليمانية خاصة في منعطفات شيوه سوور وعلى الطريق العام بين كركوك وطقطق من جهة أخرى.

وكان من أخطر هذه الهجمات ضرب منشآت النفط في كركوك في آذار عام ١٩٦٩ وإلحاق أضرار جسيمة بها في العملية التي قادها الأخ سامي عبدالرحمن وشارك فيها قوة من هيز دەشتي هەولير وبتاليون يەك شوان بمشاركة فعلية من فارس باوه وحمه سور حسين وآخرين.

ولهذا السبب كانت القوات الحكومية تركزّ هجماتها وبكثافة على الپيشمرگه فيها في بداية كل مراحل القتال عام ١٩٦٣ و١٩٦٥ و١٩٦٩ و١٩٧٤ لإخراج قوات هذين الهيزين من المنطقة وكان

يحالفها الإخفاق حيناً والنجاح النسبي في أحيان أخرى، إلاّ أن الپيشمركه كانوا يعودون الى الإنتشار فيها بعد كل إنسحاب وبسرعة.

ثانياً- الوضع السياسي:

من أبرز القوى التي كانت تتحكمّ في الواقع السياسي في محافظة كركوك ولازالت لحدّ الآن تقريباً: حكومة بغداد وما تمتلكه من إمكانيات سياسية وعسكرية وإدارية وإقتصادية وإعلامية وإستخدامها لهذه القدرات للإخلال بالتوازن السكاني في المحافظة، وتليها حكومة أنقرة والتركمان لأن معظم التركمان يدينون بالولاء لتركيا ويعتقدون بأنهم مرتبطون بها مصيرياً، ثم ألاعيب ودسائس شركات النفط، وأخيراً الحركة التحررية للشعب الكُردي المتمثلة بالحزب الديمقراطي الكُردستاني وأداته السياسية في المحافظة وهو الفرع الثالث للحزب. وتعتبر حكومات بغداد وقيادة الحزب الديمقراطي الكُردستاني من أهم العوامل المؤثرة في الوضع السياسي فيها.

تتألف القيادات المحلية لهذا الفرع من اللجان المحلية التالية وعددها سبعة:

١- اللجنة المحلية في مدينة كركوك.

٢- اللجنة المحلية في مدينة چمچمال.

٣- اللجنة المحلية في مدينة شوان.

٤- اللجنة المحلية في مدينة طوزخورماتو.

٥- اللجنة المحلية في مدينة كفري.

٦- اللجنة المحلية في مدينة كلار.

٧- اللجنة المحلية في مدينة دربنديخان.

أما مقر قيادة الفرع فكان في مدينة كركوك وبشكل علني بعد إتفاقية آذار ولفترة قصيرة وإضطر الفرع وبعد ضغط السلطات الحكومية الى نقل مقره الى خارج المدينة وكان الأمر هكذا أيضاً قبل إتفاقية آذار، وكان مقر الفرع يتواجد في قرية (ئۆمەرەگەدە) حيناً وقرية قيتول أحياناً أخرى.

وكان وضع اللجان المحلية لايختلف كثيراً عن معاناة الفرع، فقد كانت معرضة الى الإرهاب والإضطهاد الشديد في ظروف الإقتتال والى المضايقات المستمرة في ظروف السلم لأن السلطات الحكومية كانت تتمنى دائماً إخراج الحزب ونفوذه من المحافظة، وتعرضت هذه المنظمات الى إضطهاد إضافي شرس خلال الفترة من عام ١٩٦٥ الى ١٩٧٠ على أيدي أنصار المكتب السياسي السابق الذي إنشق عام ١٩٦٤.

من الصعب تحديد عدد موثوق به عن أعضاء الحزب وأنصاره في المحافظة لأنه كان في مدّ وجزر وصعود وهبوط في ظروف السلم التي كانت متوترة دائماً تقريباً وبين ظروف الإقتتال التي كانت شديدة الوطأة على الحزب وعلى الكُرد بوجه عام. إلا أننا نستطيع التأكيد على أن أعضاء الحزب وجماهيره كانوا في تصاعد مستمر سنة بعد أخرى لا في هذا الفرع فقط، بل في كل فروع الحزب.

وكنا نلاحظ هذه المؤشرات خلال الأعمال التحضيرية لمؤتمرات الحزب: السابع عام ١٩٦٧، والثامن عام ١٩٧٠ والمدّ السياسي الواسع الذي غمر الحزب بأكمله خلال السنوات الأربعة التي أعقبت إتفاقية ١١ آذار.

كان هذا الفرع كغيره من الفروع يمدّ المكتب السياسي بالمال شهرياً، حيث كانت نفقات المكتب السياسي تأتي من الفروع، أما مصاريف الپيشمرگه فكان يتولى دفعها مكتب السيد البارزاني وعلى ضوء الإمكانيات المتيسرة.

لقد تولّى قيادة هذا الفرع بالتعاقب كل من عبدالرحمن زبيحي وعمر شريف ثم شوكت عقراوي الذي كانت مدته قصيرة جداً وتلاه صديق أفندي وأخيراً علي سنجاري، الذي كان مسؤولاً عن الفرع ومشرفاً على هيز قرەداغ في الوقت نفسه. ولعل من سوء الصدف أن كلّ هؤلاء المسؤولين قتلوا على أيدي الأجهزة الأمنية الحكومية أو من قبل الإرهابيين وأعداء الثورة الكُردية بإستثناء الأخ علي سنجاري.

لقد تعمدت درج الكثير من أسماء مسؤولي الحزب وقادة الپيشمرگه في هذا البحث لأنهم كغيرهم من الحزبيين والعسكريين في المحافظات الأخرى صمدوا بشجاعة أمام الشدائد والملمّات وبذل الكثيرون منهم دماءهم وأوراحهم دفاعاً عن شعبهم ووطنهم. ومن الضروري أن لايُسدل الستار على تضحياتهم السخية ولايطويهم الإهمال والنسيان.

ومن الضروري الإشارة كذلك الى أنني ذكرت الأسماء والرتب العسكرية لهؤلاء كما كانت في تلك الفترة ولم أتطرق الى أسماء بعض المسؤولين إما لأنهم قضوا فترات قصيرة جداً في مراكزهم أو لأن بعضهم –وعددهم لايتجاوز أصابع اليد الواحدة– أساؤا التصرف وانتقلوا الى الجانب المعادي للثورة.

كركوك وسير المفاوضات بين قيادة الثورة الكُردية والحكومات العراقية:

وردت الإشارة الى محافظة كركوك وكونها جزءً من كُردستان العراق ولأول مرة وبصورة واضحة في مؤتمر كويه الوطني الذي إنعقد في أعقاب إتفاقية إيقاف إطلاق النار بيننا وبين القيادة الجديدة للحكومة العراقية، التي إستولت على السلطة في ٨ شباط عام ١٩٦٣ بعد الإطاحة بحكومة عبدالكريم قاسم. وقد إنعقد هذا المؤتمر الهام بناءً على توجيه من البارزاني الخالد ليتولى تحديد مطاليب الشعب الكُردي وتحديد أسماء وفدنا المفاوض. وخوّل المؤتمر هذا الوفد صلاحية تقديمها الى الحكومة العراقية، وجاء في الفقرة سادساً من هذه المطاليب التي سميت في حينه (بمشروع الأكراد المعدّل) (تشمل منطقة كُردستان، ألوية السليمانية وكركوك وأربيل والأقضية والنواحي التي تسكنها كثرة كُردية في لوائي الموصل وديالى).

بدأت المفاوضات بين الجانبين في آذار عام ١٩٦٣ في بغداد وبالنظر لكون المطاليب الكُردية كانت تنطوي على بعض المغالاة بالإضافة الى ضيق أفق الجانب الحكومي، فقد تعثرت هذه المفاوضات

بعض الوقت وساهمت الإستعدادات التي كانت جارية في حينه بين حكومات مصر وسورية والعراق للدخول في مفاوضات بينهم من أجل إقامة وحدة عربية ثلاثية بين هذه الدول في تعقيد مفاوضاتنا مع الجانب الحكومي، حيث دخل عنصر جديد في مجمل الوضع السياسي كله قائم على التساؤل عن وضع الشعب الكُردي في حالة قيام هذه الوحدة. هل يكون الحكم الذاتي أم الإتحاد الفدرالي ضمن دولة الوحدة الجديدة؟ وقد بدأت الأمور كذلك بالتوتر بيننا على أثر وقوع بعض المناوشات العسكرية بين البيشمركه والقوات الحكومية وبدأ الطرفان يستعدان في الخفاء لمجابهة إحتمالات نشوب الحرب مرة ثانية، حيث كان البعثيون يعتقدون بأن عبدالكريم قاسم لم يكن جاداً في قتاله مع الكُرد وفي أوائل حزيران من السنة نفسها أصدر ما كان يسمى بمجلس قيادة الثورة بياناً من جانب واحد أقرّ بموجبه للشعب الكُردي بحقوقه على أساس اللامركزية، الذي لم يكن يتضمن في الحقيقة أي محتوىً قومي. وكان هذا البيان بمثابة رفض قاطع لمطالبنا وإعلان للحرب في الوقت نفسه.

لم تتضمن إتفاقية إيقاف إطلاق النار الثانية التي عقدت بين قيادة الثورة الكُردية وحكومة عبدالسلام عارف في ١٠ شباط ١٩٦٤– بعد أن طرد عبدالسلام حلفاءه البعثيين من السلطة– أي بند يشير الى محافظة كركوك، وكان الطرفان الحكومي والكُردي يسعيان الى هذه الهدنة بسبب الإنهاك والخسائر الجسمية في الأوراح والأموال التي تكبدها الطرفان في فترة الإقتتال السابقة. أما إتفاقية ٢٩ حزيران عام ١٩٦٦، التي تمت بيننا وبين حكومة عبدالرحمن عارف، بعد مقتل أخيه عبدالسلام عارف، فهي الأخرى لم تتحدث عن محافظة كركوك على وجه التحديد، بل وردت فيها عبارات عامة عن إعتراف الحكومة بالقومية الكُردية ضمن الوطن العراقي الواحد الذي يضمّ قوميتين رئيسيتين هما العرب والأكراد وتمتعهما بحقوق وواجبات متساوية والى آخره... وإحتلت كركوك موقع الصدارة في مطاليب الثورة الكُردية بعد مجيء البعث للسلطة مرة ثانية في تموز عام ١٩٦٨ وجعلت سياسة التعريب في المنطقة الكُردية هدفاً ثابتاً لها وبصورة خاصة إستهدافها محافظة كركوك، التي أصبحت المسرح الرئيس والمركزي لهذه السياسة الحمقاء.

خلال المفاوضات التي جرت بيننا وبين الحكومة العراقية قبيل الإعلان عن إتفاقية آذار عام ١٩٧٠ حدث الكثير من النقاش والجدل الحاد بين الطرفين حول كُردية محافظة كركوك وتدخل البارزاني شخصياً وأكثر من مرة في هذه المناقشات وله مواقف تاريخية مشهودة في ذلك. كان جوهر الإتفاقية بعد الإعلان عنها يتضمن الموافقة على توحيد المحافظات الكُردية في منطقة إدارية واحدة وإجراء التعداد السكاني في المناطق المختلفة في كركوك وخانقين ومندلي وسنجار وبعد مرور سنة على الإتفاقية لتحديد طابعها القومي وإلحاق الأجزاء التي غالبية سكانها من الكُرد بالمنطقة الإدارية الموحدة وتحديد ميزانية خاصة بها لغرض تطويرها تمهيداً لممارستها حقها في الحكم الذاتي بعد أربع سنوات أي في آذار ١٩٧٤.

لقد تضمن إتفاق الحادي عشر من آذار بنداً سرياً يقضي بإجراء تعداد سكاني عام في العراق خلال مدة أقصاها سنة واحدة من تاريخ إبرام الإتفاقية لغرض تحديد المنطقة التي تسكنها غالبية

كُردية وإعتماد الإحصاء العام الذي جرى عام ١٩٥٧ أساساً لذلك. غير أن الحكومة العراقية، ظلت تماطل وتسوّف في هذا الموضوع بقصد التأخير أو التنصّل من ذلك بالنظر لمعرفتها المسبقة بأن النتائج سوف لاتكون في صالحها، مما دفعها الى تشديد ممارساتها العنصرية في الفترة اللاحقة وبأسلوب وأشكال مختلفة. لقد كان الخلاف على تحديد المنطقة الكُردية وسياسة التعريب الحكومية خلال المفاوضات التي تلت بيان آذار والتي تحطمت عليها تلك المفاوضات عام ١٩٧٤، أدتْ الى إندلاع القتال بين شعبنا بقيادة الپارتي وبين حزب البعث العربي الإشتراكي آنذاك.

لقد حذّر البارزاني رحمه الله حزب البعث أكثر من مرة من مغبة الإستمرار على هذه السياسة المدمرة. لقد فضلت الحكومة العراقية بعد أن أنهكتها تلك الحرب اللجوء الى الأجنبي والتنازل له عن أجزاء من الأراضي العراقية في إتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥ والتآمر معه على ضرب الثورة الكُردية بدلاً من الإعتراف بالواقع التاريخي والجغرافي والسكاني لمحافظة كركوك وضمن وحدة الأرض العراقية ووحدة شعبها. لقد أعاد التاريخ نفسه خلال المفاوضات التي جرت بين الحكومة العراقية وقيادة الجبهة الكُردستانية عام ١٩٩٠، حيث واصل الجانب البعثي التمسك بسياسته القديمة وتطرف أكثر من السابق بموقفه من كركوك، حيث كانت هذه المنطقة في المفاوضات السابقة تعتبر من المناطق المختلف عليها أما خلال الحوار الأخير فقد أصرّ الوفد الحكومي وبشكل قاطع على إعتبارها منطقة عربية وخارج منطقة الحكم الذاتي رغم علمه التام والمسبق بممارساته العنصرية فيها طوال ما يقرب من ربع قرن من الزمان. إن الإصرار على التمسك بهذه المواقف قد جرّ الكثير من الويلات والمحن على الشعب العراقي في الماضي ويحمل في طيّاته المزيد من الكوارث وسفك الدماء، مع ما قد ينطوي عليه ذلك من تاريخ للأحقاد بين الأجيال المقبلة أيضاً. إن الحرص على الوحدة الوطنية والأخوة العربية الكُردية وتجارب الماضي القريب والبعيد تفرض على حزب البعث الإمتثال لحكم العقل والمنطق والمصالح العليا للشعب والوطن بالإقلاع نهائياً عن هذا النهج البغيض وإزالة آثاره المقيتة.

دور مياه الكُرد في تعريب محافظة كركوك

محمد عبدالله عمر
قسم الجغرافية/ كلية الآداب

المقدمة

أصبحت المياه في وقتنا الراهن ثروة لايمكن التقليل من أهميتها، لاسيما اذا أخذنا بنظر الاعتبار محدودية المياه بالاخص العذبة منها والتي تستخدم بشكل مباشر في تلبية حاجات الإنسان اليومية، إضافة الى إحتياجات الزراعة وكذلك تربية الحيوان. وعلى مدى وفرة هذه المياه يتوقف النشاط الزراعي ومدى الإنتاج، وهناك أيضاً حاجة الصناعة للمياه والتي تختلف من صناعة لأخرى. ومع نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحالي بدأت تظهر في الأفق مشاكل المياه وكيفية إقتسامها وإستغلالها كسلاح ستراتيجي لخدمة مصالح الدول، وكُردستان واحدة من هذه المناطق التي تحتوي ثروة مائية كبيرة لم تُستغل من قبل الشعب الكُردي نفسه، بل من قبل الدول المسيطرة على أراضيه. ولم تكلف الحكومات المركزية نفسها بانشاء أية مشاريع لخدمة مصالح أبناء الوطن الواحد، لاسيما في العراق، إذ نجد المياه الكُردية في كُردستان العراق لم تُستغل في خدمة اقتصاد كُردستان وابنائها، بل أن هذه المياه تعبر أراضي كُردستان فقط. بل أنها استغلت في تعريب المناطق الكُردية وفي مقدمتها مناطق كركوك. وقد ظلت المنطقة حتى فترة الستينات من القرن الماضي لاتحوي على سدود أو مشاريع سيطرة وخزن عدا خزاني دوكان ودربنديخان، وقد كان الهدف منهما هو تقليل أخطار الفيضان شتاء وتحويل المياه صيفاً الى الاراضي الزراعية في وسط وجنوب العراق. ثم أستُخدمت المياه الكُردية فيما بعد لخدمة مشاريع الصناعة التي أقامتها الحكومات العراقية المتعاقبة في وسط وجنوب العراق.

إن المياه الكُردية أخذت تُستخدم فيما بعد لتوطين العرب ضمن الاراضي الكُردية بشكل عام وضمن محافظة كركوك بشكل خاص، اخذت سياسة ترحيل الكُرد من أراضي آبائهم واجدادهم واحلال العرب بدلاً منهم في كركوك تأخذ طابعاً شمولياً واسعاً. وتستهدف بالتالي ايجاد عمق ستراتيجي للعرب في العراق على حساب الوجود القومي الكُردي. وبالفعل فقد تم ايصال المياه الكُردية الى تلك الاراضي التي استولى عليها الحكام العرب وتم توزيعها على المهاجرين لغرض تغيير الطابع القومي لهذه المحافظة الكُردية، كما استغلت هذه المياه الكُردية في مشاريع النفط التي اقيمت في محافظة كركوك حيث استنزفت موارد كُردية بأخرى كُردية، وهنا يجب أن لايغرب عن بالنا ما

لمياه الأمطار من دور في خلق بيئة طبيعية ساعدت على تخلخل السكن الكُردي في كركوك، لاسيما جهاتها الغربية والجنوبية، اضافة الى ايجاد نوع من النبات الطبيعي يلائم طبيعة الإقتصاد الرعوي بالدرجة الأولى. ولما كان سكان مناطق غرب نهر دجلة هم من الرعاة أصلاً، فقد إستفادوا من غياب الوجود البشري الكُردي في تلك المناطق واستغلوا ذلك لصالحهم، وبمرور الوقت أقاموا المشاريع لخدمة مصالحهم ونواياهم على الأراضي الكُردية في محافظة كركوك. واخيراً لابد من استغلال المياه الكُردية في خدمة ابناء كُردستان واقتصادهم الوطني وايجاد سياسة مائية من اجل ذلك.

انواع المياه في كركوك

تقع محافظة كركوك قبل تقطيع اوصالها بين دائرتي عرض (-٤٨ و٣٤ْ ـ -٥٤٩ ـ ٣٥)[١] شمالاً، وخطي طول (-٢٧ و٤٣ْ ـ -٤٠ و٤٥ْ) شرقاً، وتبلغ مسافة المحافظة (١٩٥٤٣)كم٢[٢]. تقع المحافظة بهذه المساحة وهذا الموقع ضمن المناطق الكُردية المعروفة باسم (گەرمیان) أي المناطق الحارة كما انها لاتحوي على مرتفعات كالموجودة في باقي مناطق كُردستان بحيث تؤثر على تعديل درجات الحرارة أو على كمية الامطار الساقطة على الإقليم، وعليه نجد أن امطار كركوك اصبحت في بعض الجهات حتى غير كافية لزراعة الحنطة شتاءً، كما سنلاحظ ذلك لاحقاً. وبناء على ذلك يمكن تقسيم موارد المياه في المحافظة كالآتي:

١- مياه الأمطار

تسقط أمطار كركوك في موسم الشتاء كما هو الحال في بقية مناطق كُردستان الاخرى، وتسبب سقوط الامطار المنخفضات الجوية القادمة من البحر المتوسط، وتقع المحافظة عند الطرف الجنوبي لمرور المنخفضات الجوية لذلك تباينت الامطار من سنة لأخرى ومن مكان لآخر ضمن المحافظة بين شمالها وجنوبها وغربها وشرقها، إذ تزداد كمية الامطار من الجنوب باتجاه الشمال ومن الغرب باتجاه الشرق بسبب إزدياد ارتفاع سطح الارض. فمثلاً ان مناطق غرب المحافظة تقع ضمن ارتفاع حوالي (٣٠٥م)[٣] فوق مستوى سطح البحر، بينما كركوك الواقعة شرقاً بالنسبة للحويجة يصل ارتفاعها الى (٣٣١م)، في حين يقترب إرتفاع مناطقها الشمالية من الألف متر. ان كمية الامطار الساقطة في المحافظة يمكن ملاحظتها من خلال الجدول (١):

يتضح من خلال الجدول المذكور اعلاه انه باستثناء محطة چمچال فان باقي المحطات تعاني من عجز مائي بالنسبة للزراعة الشتوية والتي يأتي في مقدمتها محصول الحنطة الذي يعتبر من

(١) خارطة العراق الطبيعية (المظللة)، وزارة الري، المنشأة العامة للمساحة، المقياس ١:٢٠٠٠٠٠٠، بغداد ١٩٨٥.
(٢) وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، جدول ١١، المجموعة الإحصائية لسنة ١٩٧١، ص١٨ - ٣١.
(٣) المناخ الزراعي في الوطن العربي، المجموعة الإحصائية - العراق، المنظمة العربية للتنمية الزراعية، جامعة الدول العربية، الخرطوم ١٩٧٧، ص١٣.

جدول (١) كمية الامطار الساقطة في المحافظة للفترة (١٩٤١ ـ ١٩٨٠)[٤] ملم

المحطة	أيلول	ت١	ت٢	ك١	ك٢	شباط	آذار	نيسان	مايس	حزيران	المجموع
كركوك	٠,١	٥,٥	٣٦,٢	٦٠,٢	٦١,٢	٦٤,	٧٦	٥٠,٨	٢٠	٠,٣	٣٧٤,٢
چمچمال	–	٤,٢	٤٨,٦	٩٦,٥	١٢٠,٥	٩٧,١	١٠٩	٦٩,٦	٣٦,٩	٣	٥٥٨,٤
الحويجة	–	٤,٢	٢٧,٤	٤٤,٩	٤١,٤	٤٢,٩	٤٦,٨	٤٢,٥	١٤,١	٠,٢	٢٦٤,٤
طوزخورماتو	–	٣,٩	٤١,٩	٤٦,٣	٣٨,٩	٣٥,٩	٤٢,٢	٣٧,٨	١٢,٤	–	٢٥٩,٣

المحاصيل الأساسية في الإقتصاد الزراعي سواء كان ذلك في كُردستان أو العراق، وفي حالة اعتبار خط المطر (٤٠٠ ملم)[٥] خطاً جنوبياً لإنتاج الحنطة إعتماداً على الأمطار، ففي هذه الحالة سوف يتم اخراج مناطق واسعة من المحافظة خارج نطاق زراعة الحنطة المضمونة، لاسيما المناطق الواقعة ضمن سهل كركوك (حمرين) كما هو مبين في الجدول (٢):

جدول (٢) الموازنة المائية بين الاستهلاك المائي لمحصول الحنطة وكمية الامطار الساقطة (بالملم)[٦]

المحطة	ت٢	ك١	ك٢	شباط	آذار	نيسان	المجموع
الحويجة	٣–	٩,٩–	٥–	١٣,٨–	٤٠,١–	١٥,٥–	٦٧,٥–
كركوك	٠,٣+	٢٠,٦+	١٢,٧+	٣,٧+	١٤,٨+	٢١,٨+	٠,٧+

يتضح من الجدول اعلاه ان كمية الامطار الساقطة في الحويجة تعاني عجزاً كبيراً يصل الى حوالي (٧١٪) من المجموع الكلي للحاجة المائية بالنسبة لمحصول الحنطة على سبيل المثال، اما في محطة كركوك فهناك فائض نسبي ضئيل، اي ان المحطة تقع ضمن المناطق المضمونة الامطار بالنسبة لزراعة الحنطة التي تقل حاجتها للمياه في محطة كركوك. وكلما اتجهنا نحو الشمال الشرقي

(٤) وزارة المواصلات، هيئة الأنواء الجوية، شعبة المناخ، إحصائيات الأمطار في محطات كركوك من (١٩٤١ – ١٩٨٠)، بيانات غير منشورة.
(٥) نافع ناصر القصاب، أقاليم الزراعة المطرية لمحصولي الحنطة والشعير في العراق في ظل المعابير المناخية، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، مجلد ١٦، ١٩٨٥، ص٩.
(٦) نافع ناصر القصاب، المصدر نفسه، ص٢٦.

يساعد في قلة هذه الحاجة انخفاض درجات الحرارة شتاء وقلة التبخر وارتفاع الرطوبة النسبية في الجو وبقاء التربة رطبة لفترة زمنية طويلة اضافة الى عوامل أخرى، في حين أن التبخر يبلغ ذروته في الطرف الجنوبي الشرقي من المحافظة، حيث تزادد كمية الامطار (٢٠٠ ملم) لتصل الى (٦٠٠ ملم) عند حافة المناطق الجبلية، وتبعاً لذلك فإن النبات الطبيعي يأخذ هو الآخر بالتباين ويزداد كثافة كلما زادت كمية الامطار الساقطة، انظر خارطة (١).

إن هذه الحالة ساعدت على خلق بيئة مخلخلة سكانياً مما اتاح للآخرين من غير الكُرد التوغل في عمق اراضيهم يساعدهم في ذلك ضعف الكُرد في المنطقة ودعم الحكومات العراقية المتعاقبة للوافدين.

خارطة رقم (١) أشكال التبخر من اليابس والسطح المائي (سد حمرين)

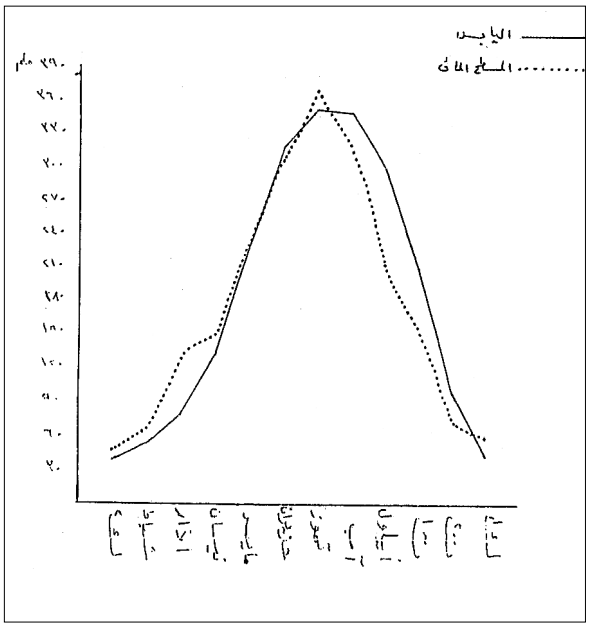

٢ــ المياه السطحية

وتتمثل بمياه الانهار الدائمة الجريان إضافة الى الوديان الفصلية التي تجري فيها المياه اثناء موسم سقوط الأمطار. إن المياه الجارية (الأنهار) تقع على أطراف المحافظة حيث كل حدودها الإدارية في مناطق واسعة، وأهم الأنهار هي:

أ ــ نهر سيروان (دولت أباد)

يقع حوض نهر ديالى بين دائرتي عرض (-٣٣ و٣٣ ــ -٥٠ و٣٥)[٧] شمالاً، وبين خطي طول (-٣٠ و٤٤ ــ -٥٠ و٤٧) شرقاً، ويبلغ إجمالي مساحة حوض نهر دولت أباد (٣١٨٩٦) كم٢[٨]، منها (٥٧,١٧٪) داخل ايران و(٨٣ و٤٢٪) داخل العراق، وعند المنابع فإن حوض النهر لايرتفع إلاّ قليلاً عن (٢٠٠٠م) فوق مستوى سطح البحر في

(٧) كاظم موسى محمد، الموارد المائية في حوض نهر ديالى في العراق وإستثماراتها، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب جامعة بغداد ١٩٨٦، ص١٠.

(٨) ئازاد جلال شەریف، سەرچاوە و دەرامەتی ئاو، جیۆگرافیای هەریمی کوردستانی عێراق، کۆمەڵێک مامۆستای زانکو، چاپی یەکەم،١٩٨٨، ل ١٢٢.

خارطة رقم (١) خطوط الأمطار المتساوية في حوض العظيم للسنوات ١٩٥٠-١٩٨١.

المصدر: الجمهورية العراقية، وزارة الزراعة والإصلاح الزراعي، الهيئة العامة للبحوث الزراعية التطبيقية، قسم الأنواء الزراعية، بغداد ١٩٨١. «غير منشورة»

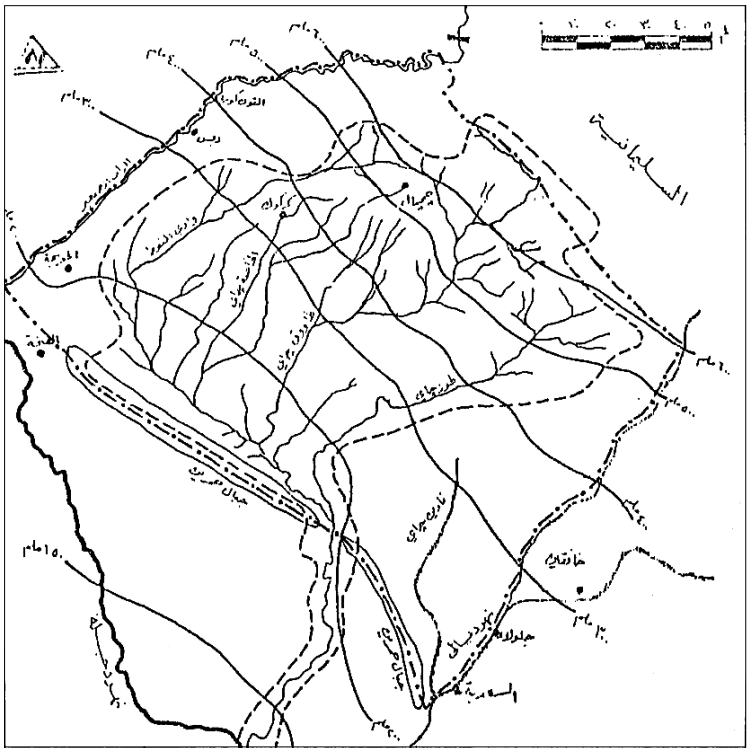

بعض المناطق، لذلك فإن الثلوج لاتتراكم على المرتفعات المحيطة بحوض النهر، والأمطار الساقطة شتاء هي مصدر التمويل الرئيس لمياه هذا النهر، أما طول هذا النهر فيبلغ ٣٨٦ كم[٩] من منبعه حتى مصبه الواقع على بعد ٣١ كم جنوب مدينة بغداد. وعند دخول النهر كُردستان العراق تصب فيه عدة روافد صغيرة منها رافد ألوند إضافة الى مجموعة روافد أخرى. أما الوارد السنوي لمياه هذا النهر فهو (٥,٧) مليار م٣[١٠]، منها (٢,٩) مليار م٣ تاتي من كُردستان ايران و(٢,٨) مليار م٣ من كُردستان العراق. وقد تم إنشاء سد حمرين على هذا النهر عند نقطة عبور النهر لتلال حمرين إضافة الى سد دربندیخان الأقدم.

(٩) مياه كردستان وآفاق المستقبل، مكتب الدراسات والبحوث المركزي، دراسة (٩)، ١٩٩٦، ص١٢.

(١٠) نجيب خروفه وآخرون، الري والبزل في العراق والوطن العربي، مطابع المنشأة العامة للمساحة بغداد ١٩٨٤ ص٢٢.

ب- نهر الزاب الصغير

تقع منابع هذا النهر الى الشرق من جبل قنديل البالغ إرتفاعه (٣٠٦٠م) فوق مستوى سطح البحر، وتمتد منابعة نحو أراضي كُردستان الشرقية، ويصب في دجلة جنوب مدينة الشرقاط، وتبلغ مساحة حوض النهر ٢٢٢٥٠ كم٢[١١] منها ١٧٦٦٠ كم٢ تقع في أراضي كُردستان العراق والبقية في كُردستان ايران، ويبلغ معدل تصريفه السنوي (٩٩، ٦) مليار م٣[١٢]، وهذا النهر يشكل ولمسافة طويلة الحدود الإدارية لمحافظة كركوك وعلى مياهه إرتكزت عملية التعريب في محافظة كركوك، كما أصبح هذا النهر وبمرور الوقت أشبه بالحاجز السياسي بين المحافظة وباقي المناطق الكُردية، أما بالنسبة لنهر دجلة فإنه يحادد المحافظة بشقة صغيرة ولكن يمكن الإستفادة من هذه الشقة ونقل المياه الى داخل اراضي كركوك.

٢- الوديان الفصلية

نهر روخانه (العظيم): يبلغ طول هذا النهر الفصلي الجريان حوالي ٢٣٠ كم[١٣] من منبعه حتى مصبه جنوب مدينة بَلَد على بعد ١٥ كم منها، وتبلغ مساحة حوض هذا النهر قرابة ١٠٩٨٨ كم٢[١٤] ومجمل الحوض يقع ضمن محافظة كركوك ويشغل معظم مساحة المحافظة، يتكون هذا النهر من جملة روافد أهمها (خاصه: وتقع عليه مدينة كركوك، وتاووق وآوَسپي: وتقع عليه مدينة طوزخورماتو). إن هذه الروافد الثلاثة تجري ضمن مناطق هضبة كركوك التي يتراوح إرتفاعها بين (٦٠٠ – ١٠٠٠)م فوق مستوى سطح البحر، وقد قُطعت الهضبة بواسطة هذه الروافد ومما سهّل عملية التقطيع أنها مكونة من صخور لينة مثل (الطَفَل والحجر الرملي)[١٥] وكذلك شدة إنحدارها وإفتقارها للنبات الطبيعي. الأمطار هي المصدر الأساسي لتغذية هذا النهر وروافده أما الثلوج فإنها ضئيلة جداً ولا قيمة لها. يخترق النهر مع روافده المختلفة سهل حمرين الواسع ذي الأهمية الستراتيجية والبالغ طوله (٧٥) كم وعرضه (٣٢) كم والذي أصبح فيما بعد القاعدة العريضة لعمليات التعريب في المحافظة نظراً لسعته وخلوه من القرى الكُردية في بعض جهاته بسبب قلة المياه وسهولة ترحيل القرى الكُردية الأخرى من المنطقة.

ا- السياسات المائية الحكومية تجاه المياه الكُردية

لما كانت كُردستان خاضعة لحكومات بغداد المركزية منذ عام ١٩٢٠، أي بعد تأسيس الدولة

(١١) عباس فاضل السعدي، الزاب الصغير وإمكانية إستثمار مياهه، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، المجلد ٩، مطبعة سلمان الأعظمي، بغداد ١٩٧١، ص٢٣٤.
(١٢) ئازاد جەلال شەریف، المصدر السابق، ص١١.
(١٣) جاسم محمد الخلف، جغرافية العراق، ط٣، دار المعرفة، القاهرة ١٩٦٥، ص١٨٢.
(١٤) مياه كردستان وآفاق المستقبل، المصدر السابق، ص١١.
(١٥) جاسم محمد الخلف، المصدر السابق، ص٧٣.

العراقية لذلك نجد أن جميع ثرواتها كانت خاضعة لتخطيط الدوائر المركزية في كيفية إستغلال تلك الموارد ومنها المياه. وعند النظر الى سياسة حكومات بغداد نجد انه لم ينفذ أي مشروع لخدمة الكُرد حتى نهاية العهد الملكي في العراق عام ١٩٥٨، وعندما بدأ التخطيط لإستغلال الموارد المائية ورسم سياسة مائية خاصة بالعراق نجد أن الحكومات المتعاقبة أخرجت كُردستان من حساباتها، رغم وجود العديد من الدراسات حول كيفية السيطرة على مياه كُردستان. إن الحكومات لم تكلف نفسها بإقامة أي مشروع إروائي لخدمة كُردستان رغم ان واردات النفط الكُردية إستُغلت في بناء العديد من المشاريع في مختلف مناطق وسط وجنوب العراق. ولما كانت تلك المناطق تعاني من قلة المياه الشتوية (الأمطارالساقطة) والزراعة الصيفية فيها تعتمد (١٠٠٪) على الري، لذلك نجد أن الحكومات المتعاقبة أخذت تفكر في إستغلال مياه كُردستان لصالحها دون النظر الى مصلحة الفلاح الكُردي، وهو ما يمكن ملاحظته على سبيل المثال في مياه نهر دولت آباد (ديالى) حيث لم يُنشأ سد دربنديخان لخدمة إقتصاد كُردستان الزراعي بل لخدمة فلاحي منطقة جنوب تلال حمرين. ومن أهم مشاريع السيطرة والخزن التي أثرّت على تغيير الطابع القومي لمحافظة كركوك ما يلي:

١- سد دوكان

بدأ العمل في هذا الخزان عام ١٩٥٤ وتم الإنتهاء منه عام ١٩٥٨ ويقع ضمن المنطقة الجبلية، وكان المفروض أن تغذي مياه هذا السد أراضي اربيل وكركوك وديالى ولكن شيئاً من هذا القبيل لم يحصل حيث إستُخدمت المياه لأغراض سياسية فيما بعد. السد من النوع الخرساني المقوس، وفيما يلي بعض المعلومات الفنية عنه:

جدول (٣) معلومات عن سد دوكان[١٦]

	بالمتر	المساحة كم٢	مليار م٣
أوطأ قعر	٤٠١	--	
الخزن الميت	٤٦٩	٦٠	١,٥٠
الخزن التصميمي	٥١١	٢٧٠	٦,٨٠
أقصى خزين	٥١٣,٥	--	٧,٧٠
الخزين الميت	--	--	٦,١
الضائعات	--	--	٠,٤

(١٦) نجيب خروفه وآخرون، المصدر السابق، ص٢١١.

من خلال الجدول يمكن ملاحظة أن الخزن الحي يعادل (٦,١) مليار م٣ بينما قُدرت كمية الضائعات المائية بحوالي (٠,٤) مليار م٣، وبذلك تكون كمية المياه الصافية الممكن إعادتها الى الزاب الصغير حوالي (٥,٧) مليار م٣ لايستفيد منها أي فلاح كُردي.

٣- سد دوبز (دبس):

الهدف منه رفع مستوى الماء في نهر الزاب الصغير وتحويله الى مشروع كركوك، وقد إكتمل العمل فيه عام ١٩٦٥، والسد من الخرسانة ومن الحصى الإملائي ويبلغ طوله (٦٥٠م)[١٧] وإرتفاعه (٢٢م) ويمكن من خلاله الإستفادة من (٨) ملايين م٣ من المياه. أما عرض السد من الأسفل فيصل الى (١٤٠م) وإرتفاعه الى (٢٢م) وعرضه من الأعلى يبلغ (٨) أمتار. يقع السد على بعد (٨) كم جنوب مدينة پردي، أما محطة دوبز الكهربائية فإنها تقع على بعد (٨) كم جنوب السد. ويتصل بالسد من جهة اليسار النهر الناظم الرئيسي لتغذية قناة مشروع ري كركوك.

٤- سد حمرين:

رغم أن السد يعتبر ضمن محافظة ديالى حالياً، إلاّ أنه في الحقيقة يقع ضمن محافظة كركوك في جزء منه، قبل تقسيمها إدارياً. يبعد السد حوالي (١٠) كم عن موقع سد ديالى الثابت، ويبعد عن بغداد بـ(١٢٠) كم بإتجاه الشمال الشرقي. إن أهمية المشروع تكمن في توفير المياه لحوالي (١,٢) مليون دونم، وتخفيف ذروة الفيضان في نهر دولت آباد من (١٤٠٠٠) م٣ الى حوالي (٤٠٠٠) م٣. وفيما يلي بعض المواصفات الفنية لهذا السد:

جدول (٤) مواصفات سد حمرين[١٨]

	بالمتر	المساحة كم٢	مليار م٣
أوطأ قعر	٩٢	--	
الخزن الميت	٩٧,٥	--	١,٥٠
الخزن التصميمي	١٠٤	٣٧٠	٣,٩٥
أقصى خزين	١٠٧,٥	٤٤٠	--
الخزين الميت	--	--	٢,٤٥
الضائعات	--	--	٠,٦

(١٧) نجيب خروفة وآخرون، المصدر نفسه، ص ٢١٥.
(١٨) نجيب خروفه وآخرون، المصدر نفسه، ص ٢١٧.

إستخدام المياه الكُردية ضد الكُرد

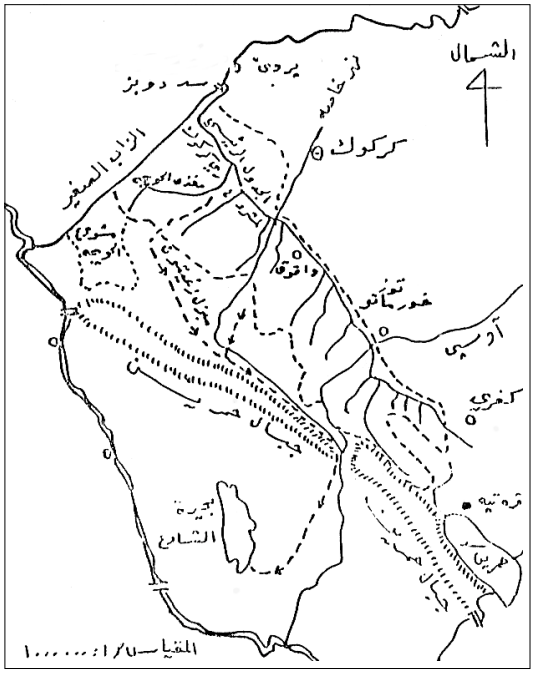

لقد بدأت ساسية إستخدام المياه ضد الكُرد منذ عام ١٩٣٦ حيث بدأ العمل بإنشاء ترعة الحويجة في كركوك وعلى بعد (٧٠) كم الى الغرب من مدينة كركوك، والهدف منها كان توفير المياه لمساحة زراعية قدرها (٢٣٧٠٠٠٠) دونم[١٩]، وقد تم تقسيم أراضي المشروع الى وحدات زراعية صغيرة لتوزيعها على العرب الذين تم جلبهم من مناطق أخرى. إن إستخدام المياه ضد الكُرد يمكن حصره بالجوانب التالية:

١- الزراعة

إن محافظة كركوك لاتختلف عن باقي المناطق الكُردية الأخرى حيث أقام أجدادنا العديد من مشاريع الري لإرواء أراضيها الزراعية، ومن جملة هذه المشاريع إنشاء سد على نهر روخانه (العظيم) عند إجتيازه لتلال حمرين. وكان السد يتغذى بالمياه عن طريق جدولي الغيل والعباسي، حيث كانا يأخذان مياههما من الزاب الصغير، وكان الجدولان يسقيان في الوقت نفسه أراضي سهل حمرين، إضافة الى وجود قناتين كانتا تأخذان المياه من جانبي السد هما (بت وروذان)[٢٠] لتزويد أراضي روخانه أسفل حمرين بالمياه اللازمة الزراعة. أما أهم هذه المشاريع في مجال التعريب فهو مشروع (ري كركوك) والذي يسمى أيضاً مشروع (ري صدام) وهو من أكبر المشاريع الإستيطانية، حيث لايقتصر على محافظة كركوك بل يمتد الى محافظتي ديالى وصلاح الدين أسفل أو جنوب تلال حمرين بالإعتماد على المياه الكُردية. ومن أهم نقاط هذا المشروع إنشاء القرى كبداية لتنفيذ خطة إستيطان منظمة ضمن محافظة كركوك لتغيير طابعها القومي. تبلغ مساحة هذا المشروع (مليون) دونم[٢١] ويعتمد المشروع على مياه نهر الزاب، أنظر خارطة (٢). يبلغ طول القناة المائية من سد (دوبز) وحتى رافد

(١٩) نوري خليل البَرازي، نظام الري في العراق وأثره في الزراعة، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، المجلد ٣، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٥، ص٢٩.
(٢٠) أحمد سوسه، تطور الري في العراق، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٤٦، ص١٤٨.
(٢١) المنشأة العامة لمشروع ري صدام، الدائرة الزراعية، تقرير عن مشروع ري صدام مسحوب بالرونيو ١٩٨٣، ص٢.

(نارين) حوالي (١٦٦) كم، وقد تم وضع خطة زراعية مقترحة لإرواء ٧٥٪[٢٢] من الأراضي الشتوية و(٤٠٪) مزروعات صيفية، أي بخطة تكثيف زراعي تصل الى (١١٥٪) وهي بحاجة الى كميات المياه التالية:

جدول (٥) نسب المساحات المقترح زراعتها في مشروع ري كركوك- المحاصيل الشتوية

المحصول	٪	المساحة- دونم	المقنن المائي م٣/هكتار	كمية المياه المطلوبة- كم٢
الحنطة والشعير	٥٥	٥٥٠٠٠٠		٠,٥٦٤
البرسيم والبقوليات	٨	٨٠٠٠٠	٤١٠٠[٢٣]	٠,٠٨٢
البطاطا والخضر	٤	٤٠٠٠٠		٠,٠٤١
البنجر السكري	٣	٣٠٠٠٠		٠,٠٣٠
المجموع	٧٠	٧٠٠٠٠٠		٠,٧١٧

يتضح من الجدول أعلاه ما يلي:

١- إن المساحة المخصصة للزراعية كبيرة نسبياً حيث تصل الى (١١٥٠٠٠٠) دونماً إذا كانت نسبة التكثيف الزراعي المراد تنفيذها هي (١١٥٪)، وهي مساحة مزروعة بمحاصيل منوعة تحتاج الى كمية مياه تصل الى (١,٧١٥) كم٣.

٢- رغم صغر مساحة المحاصيل المزروعة صيفاً، حيث لاتزيد نسبتها عن ٣٠٪ من المساحة الكلية فإنها تحتاج الى حوالي (٠,٧٩٩) كم٣ من المياه، وهذه الكمية لابد من توفيرها عن طريق نهر الزاب الصغير بالدرجة الأولى لأن المنطقة أمطارها فصلية وتسقط شتاءً فقط، ونسبة المياه للمحاصيل الصيفية تصل الى ٤٦,٨٥٪ من مجموع المحاصيل المزروعة.

٣- اما المحاصيل الشتوية، فرغم مساحتها الواسعة والتي تصل حوالي ٧٠٪ من المساحة الكلية للمشروع، إلاّ أن حاجتها للمياه تكون أقل من المحاصيل الصيفية وذلك يعود الى إنخفاض درجات الحرارة وقلة التبخر، النتح من النباتات، وهذه العوامل تعتبر مشجعة على زيادة المساحة المزروعة. إن أمطار المنطقة لاتسد حاجة النبات لذلك لابد من إستخدام الري التكميلي لإنجاح الموسم الزراعي وبالطبع فإن المياه الإضافية لابد من الحصول عليها من نهر الزاب أو دجلة.

٤- المحاصيل الدائمة هي الأقل حاجة للمياه بسبب صغر مساحتها التي لاتتجاوز ١٥٪ من مساحة

(٢٢) نجيب خروفه وآخرون، المصدر السابق، ص٣١٩.

(٢٣) مهدي الصحاف، الموارد المائية في العراق وصيانتها من التلوث، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٦، ص١٤٧.

المشروع الكلية، وتصل حاجتها للمياه الى حوالي (١٩٩, ٠) كم٣ بنسبة تصل (١١,٦٠٪) من الحاجة الكلية للمياه بالنسبة للمشروع، ومصادر مياه هذه المحاصيل تتراوح بين الأمطار الشتاء والمياه السطحية أو الجوفية صيفاً.

جدول (٦) نسب المساحات المقترح زراعتها في مشروع ري كركوك – المحاصيل الصيفية

المحصول	٪	المسافة- دونم	القنن المائي م٣/هكتار	كمية المياه المطلوبة- كم٣
القطن	١٥	١٥٠٠٠٠	١١١٣٠	٠,٤١٧
الذرة	٧	٧٠٠٠٠	٥٢٩٢	٠,٠٩٣
البطاطا والخضر	٦	٦٠٠٠٠	١١٣٢٠	٠,١٧٠
الرز	٢	٢٠٠٠٠		٠,١١٩
المجموع	٣٠	٧٠٠٠٠٠		٠,٧٩٩
البساتين	٥	٥٠٠٠٠		
الجت	٥	٥٠٠٠٠	٥٢٩٢	٠,١٩٩
الغابات	٥	٥٠٠٠٠٠		
المجموع الكلي	١٥	٦٠٠٠٠٠		١,٧١٥

٢- الثروة الحيوانية

تعتبر الثروة الحيوانية الجزء المتمم لزراعة المحاصيل النباتية، وهي توفر البروتين الحيواني الضروري للإنسان، علماً أن الدول المتقدمة تتميز عن الفقيرة بإرتفاع نسبة إستهلاك البروتين الحيواني. وضمن مشروع ري كركوك، فإن تربية الحيوانات تعتبر نشاطاً مهماً بالنسبة للفلاحين العرب القادمين من مناطق أخرى للإستيطان ضمن أراضي كركوك بشكل عام والمشروع بشكل خاص. اما أعداد الحيوانات المرباة ضمن المشروع فهي غير معلومة، ولكن إذا أخذنا مساحة المشروع البالغة (١٠٠٠٠٠٠) دونم وفي حالة إعتبار مساحة كل حقل (٢٥) دونماً ستكون هناك

(٤٠٠٠٠) وحدة إنتاجية أي (٤٠٠٠٠) فلاح، فإذا قام كل فلاح بتربية (١٥) رأس من الغنم و(١٠) رؤوس من الماعز و(٢) رأسان من البقر، فإن الإحتياجات المائية ستكون كالآتي:

جدول (٦) جدول تخمين كمية المياه اللازمة للحيوانات

نوع الحيوان	العدد	الإستهلاك المائي للرأس الواحد سنوياً (م)٢ [٢٤]	الإحتياجات السنوية من المياه م٣
الأغنام	٦٠٠٠٠٠	٢	١٢٠٠٠٠٠
الأبقار	٨٠٠٠٠	٨	٦٤٠٠٠٠
الماعز	٤٠٠٠٠٠	٢،٥	١٠٠٠٠٠٠
المجموع	١٨٠٠٠٠٠	١٢،٥	٢٨٤٠٠٠٠

يلاحظ من الجدول أعلاه ان كمية المياه المطلوبة لتربية هذا العدد من الحيوانات ضمن مشروع ري كركوك فقط كمية لايُستهان بها، أما إذا أخذنا جميع مناطق كركوك بنظر الإعتبار فستزداد الكمية بالتأكيد، وكذلك الحال عند الأخذ بنظر الإعتبار زيادة أعداد الحيوانات.

٣- الإستهلاك البشري

إن المستوطنين العرب في محافظة كركوك يحتاجون بالتأكيد الى المياه الصالحة للإستعمال البشري وبشكل يومي ومستمر، حيث تُسحب من نهر الزاب الصغير أو دجلة حسب موقع المدينة أو القرية وفي حالة الإبتعاد عن مصادر المياه السطحية فإن المياه الجوفية تكون البديل لذلك وهذا ما يمكن ملاحظته في القرى البعيدة عن مصادر المياه السطحية. والملاحظ هنا أن كمية المياه المستهلكة من قبل الإنسان تتزايد تبعاً لإرتفاع أعداده سواء كان ذلك عن طريق زيادة الولادات أو عن طريق الهجرة الى منطقة معينة كما هو حاصل في كركوك، كما أن إرتفاع المستوى العلمي والثقافي يزيد من إستهلاك المياه. إن كمية المياه المطلوبة في مناطق كركوك الخاضعة للتعريب بالنسبة للفرد الواحد هي (٦٦) م٣[٢٥] سنوياً، وأن كمية المياه اللازمة للإستهلاك البشري يمكن حسابها كالآتي:

(٢٤) مهدي الصحاف، المصدر نفسه، ص١٥٥.
(٢٥) سعيد الجزائري، الموارد المائية والتخطيط لها، مجلة الثقافة الجديدة، العدد ٥٦، مطبعة الرواد، بغداد ١٩٧٤، ص٣٣.

جدول (٧) كمية المياه اللازمة للإستهلاك البشري في مناطق كركوك الخاضعة للتعريب

القضاء	عدد سكان الريف[٢٦]	كمية المياه المطلوبة	عدد سكان الحضر	كمية المياه المطلوبة سنوياً م٣	مجموع المياه سنوياً م٣
كركوك	٥٤٩٥٥	١٨١٣٥١٥	٤١١٠٠١	٢٧١٢٦٠٦٦	٢٨٩٣٩٥٨١
الحويجة	٦٦٢١٠	٢١٨٤٩٣٠	١٩٩٣٩	١٣٥٩٧٤	٣٥٠٠٩٠٤
دوبز	١٢٤٢١	٤٠٩٥٦٩	١٧٤١٦	١١٤٩٤٥٦	١٥٥٩٠٥٢
طوزخورماتو	٣٤٧٦٨	١١٤٧٣٤٤	١٤٨٥	٣٣٩٨٠١٠	٤٥٤٥٣٥٤
كفري	١٨٥٠٨	٦١٠٧٦٤	٢٨٥٦	١٨٥٨٢٩٦	٢٤٦٩٠٦٠
المجموع	١٨٦٨٦٢	٦١٦٦١٤٩	٤٥٢٦٩٧	٣٤٨٤٧٨٠٢	٤١٠١٣٩٥١

يتضح من الجدول أعلاه مايلي:

١- إن أكبر كمية من المياه المستهلكة كانت من حصة سكان الحضر وبنسبة تصل الى حوالي ٨٥٪، في حين كانت النسبة المتبقية من حصة سكان الريف، وهي مسألة طبيعية نسبة للفوارق الموجودة بين سكان الريف والمدن.

٢- جاء قضاء كركوك في مركز الصدارة من حيث نسبة كمية إستهلاك المياه حيث كانت النسبة ٧٠,٥٪ من المجموع الكلي، بينما إحتل قضاء طوزخورماتو المرتبة الثانية بنسبة بلغت ١١,١٪، في حين إحتل قضاء الحويجة المرتبة الثالثة بنسبة بلغت ٨,٥٪. إن تباين هذه النسب يعكس التباين في أهمية عملية التعريب، حيث نجد قضاء كركوك النفطي يأتي في المقدمة بسبب أهميته في إنتاج النفط ووقوع مدينة كركوك ضمنه وهي مركز المحافظة الإداري وأحد أهم أهداف عملية التعريب، وقد بُنيت عدة أحياء عربية فيها وتم توزيع الأراضي الكُردية على الوافدين بغير حساب لتغيير طابعها القومي.

٣- أكبر كمية مياه مستهلكة بالنسبة لسكان الحضر كانت من حصة سكان قضاء كركوك بنسبة ٧٧,٨٪ وهي نسبة عالية تعكس مدى إهتمام الحكام العرب بتغيير طابع المدن الكُردية.

٤- أكبر كمية مياه مستهلكة من قبل سكان الريف كانت ضمن قضاء الحويجة بنسبة بلغت ٥٣,٤٪، أي أكثر من ثلث الكمية المستهلكة من قبل كافة الأقضية الأخرى، وهذا يعكس مدى إهتمام الحكام بتغيير الطابع الريفي للمناطق الكُردية في كركوك.

(٢٦) نتائج التعدادالعام للسكان لسنة ١٩٨٧المحافظات كركوك (التأميم) وصلاح الدين وديالى، الجداول (٢٢).

٤- الصناعة

تعتبر الصناعة قطاعاً كبيراً لإستهلاك المياه، وتختلف كمية ونوعية المياه المستهلكة من صناعة لأخرى. وفي محافظة كركوك فإن الصناعات محدودة ويأتي في مقدمتها صناعة إستخراج النفط من أراضي كركوك وتوليد الكهرباء. أما الصناعات الأخرى فإن إستهلاكها للمياه غير معلوم، حيث لاتوجد إحصاءات في هذا الباب، علماً أن أغلب الصناعات القائمة في المحافظة تعتمد في نشاطها على مياه الزاب الصغير كما هو الحال مع معمل إستخلاص الكبريت قرب مدينة كركوك. أما أهم مجالات إستخدام المياه الكُردية في الصناعة فهي:

١- النفط

تُستخدم المياه الكُردية في عمليات إستغلال نفط الكُرد في محافظة كركوك، فبعد أن إنخفض الضغط في حقل كركوك بمقدار (٢٧٠)[٢٧] برميل يومياً وبواسطة سبع مضخات عمودية مقامة على نهر الزاب الصغير، ولهذا الغرض فقد تم حفر (١١) بئراً اعماقها تصل الى (٣٠٠٠) قدم، ويبعد كل بئر عن الآخر حوالي (٥) كم عن المحافظة لتوزيع المياه بشكل متساوي داخل الحقل.

٢- الكبريت

نظراً لكون نسب الكبريت عالية في نفط كركوك والتي تتراوح بين (١٠-١٤٪) لذلك تم إنشاء معمل لإستخلاصه في ناحية دوبز، والمشروع يستفيد من كهرباء محطة دوبز أيضاً، أما المياه فتنقل له من الزاب الصغير بأنبوب قطره (١٢) إنجاً وبطول يصل الى (٣٢) كم[٢٨]، ويعمل في المشروع حوالي (٥٠٠) شخص بين عامل وفني ومهندس.

٣- توليد الكهرباء

تعتبر محطة دوبز (دبس) البخارية أهم محطة كهربائية موجودة في المحافظة، وقد تم إقامتها في مدينة دوبز الواقعة على نهر الزاب الصغير بدلاً من مدينة كركوك مركز المحافظة بسبب وجود الماء. لإنتاج كيلوواط/ ساعة من الطاقة الكهربائية نحتاج مابين (٠,١٤ - ٣٠٦م٣) من المياه، وتوجد ضمن المشروع أربع مضخات منصوبة على النهر تضخ (٤٦٠٠)[٢٩] طن/ ساعة من المياه تستخدم لأغراض شتى منها الشرب وإستخراج الماء المقطر من المراجل وتبريد قسم من أجهزة المحطة.

يتضح لنا من خلال كل ذلك الدور الكبير الذي لعبته ولازالت المياه الكُردية في عمليات تعريب محافظة كركوك، علماً أن الصناعة تعيل وتشغل أعداداً كبيرة من السكان ضمن منطقة صغيرة كما

(٢٧) عبد خليل فضيل وأحمد حبيب رسول، جغرافية العراق الصناعية، مطابع جامعة الموصل، ١٩٨٤، ص١٠٤.
(٢٨) عبد خليل فضيل، المصدر نفسه، ص٢٢٤.
(٢٩) عباس فاضل السعدي، المصدر السابق، ص٢٦٣.

هو الحال مع معمل إستخلاص الكبريت حيث حجزت الحكومة مساحة (٩٠٠٠٠) دونم من الأراضي الكُردية وهجّرت سكانها بحجة إقامة المشروع، وبهذه الطرق وبإستغلال المياه الكُردية تتم زيادة أعداد الوافدين العرب في المحافظة على حساب سكانها الكُرد.

الخلاصة

أدت المياه الكُردية دوراً سلبياً تجاه الأمة الكُردية والشعب الكُردي في العراق وهو نفس الدور السلبي الذي لعبه النفط تجاههما، وقد إستفادت الحكومات العراقية المتعاقبة من مياه الكُرد في تعميق عمليات تعريب الكثير من المناطق الكُردية في مقدمتها مناطق كركوك، حيث تم إستغلال مياه الأمطار الساقطة في مناطق كركوك ولاسيما السهلية منها، حيث تعرض سهل كركوك (حمرين) الى أولى أعمال التعريب لأن الأمطار الساقطة التي تتراوح كميتها بين (٢٦٠-٣٧٠) ملم سنوياً خلقت بيئة كُردية مخلخلة سكانياً سهُلَ إختراقها وتوطين العرب فيها. أما المياه السطحية والمتمثلة بالأنهار فقد تم إستغلال مياه نهر دولت آباد (ديالى) في تعريب الأراضي الكُردية في محافظة دولت آباد (ديالى) إضافة الى التوسع في الزراعة جنوب جبال حمرين. أما مياه الزاب الصغير فقد استغلت على نطاق واسع في تعريب محافظة كركوك وقد خدم سياسة حكومات بغداد في هذا المجال سد دوكان وكذلك دوبز. فالأول الهدف منه السيطرة وخزن المياه، اما الثاني فإنه يحجز المياه ويحولها الى أراضي كركوك عن طريق مشروع ري كركوك، والذي نُفذ جزء منه عام ١٩٣٦ بإسم ترعة الحويجة حيث بدأت عمليات الإستيطان المنظم في الأراضي الكُردية. وقد استخدمت المياه الكُردية في أربعة محاور تعريبية هي الزراعة: حيث تم توزيع الأراضي الزراعية على الوافدين لاسيما ضمن مشروع ري كركوك الذي يحوي على قناة مائية طولها (١٦٦) كم إضافة الى العشرات من القنوات الفرعية التي تنقل المياه لمشاريع التعريب، حيث وضعت خطط إستغلال زراعية بتكثيف يصل الى ١١٥٪. أما المحور الآخر فهو إستغلال المياه الكُردية في تربية الحيوانات لصالح العرب الوافدين. والدور الثالث هو الإستهلاك البشري والذي بلغ حوالي (٤١) مليون م٣ حسب تعداد عام ١٩٨٧ للسكان، علماً أن المناطق الكُردية الأخرى تعاني من شحة المياه. إضافة الى هذه المحاور فإن محور الصناعة قد إستفاد من المياه الكُردية في تشغيل مفاصله المختلفة وتوظيف أكبر عدد ممكن من العرب الوافدين واسكانهم علي أراضي الكُرد كما هو الحال في صناعة النفط والكبريت وغيرها من الصناعات. والسؤال المهم هنا هو هل سيكون بإمكان الكُرد خدمة قضاياهم عن طريق إستغلال ثرواتهم الوطنية؟

أصالة التنوع الإثني وستراتيجية الموقع الجغرافي

في كُردستان العراق

الإهداء

الى كل العيون التي تفجرت خيراً وبركة وإهتدى إليها العاشقون... لوهادها وجبالها والسهول وتكحلت بمرأى كركوك.. والى كل العيون التي تسيل وتحترق لتنير دروب الآخرين وتتيه في عتمة ظلام الظالمين.. والى كل العيون التي فاضت دموعها شوقاً وتحرقاً لأيامك ولياليك يا أم المرحّلين قسراً... والمشردين ظلماً والصابرين... والى اللهب الخالد الذي قدّس وكائنه أبد الآبدين... إليك يا كركوك يا أم التآخي والوئام...

وليد شرِكة

المقدمة

«الشعوب لاتختار جيرانها»

لاشك في أن دراسةً تعتمد الأسلوب العلمي منهجاً لابد لها أن تعتمد تشخيصاً موضوعياً لجوانب ذات أهمية إستثنائية ولذا نرى في البحث المعد هذا وقد وضع الموقع الجغرافي الستراتيجي الذي شكل الأساس الطبيعي الأهمية لموضوعه الثاني وهو التنوع الإثني «القومي».

لقد حظيت كُردستان بهذه الأهمية منذ القدم حتى تهافت الإستعمار الإنكليزي وإستولى على قسمها الجنوبي بقوة الحراب وضمها الى دولته التي هي جزء من إمبراطوريته الكبرى وقد أكدوا ذلك من خلال تصريحاتهم وما سُجل تأريخياً بهذا الخصوص:

«لقد حقق الإنكليز بإستيلائهم على الموصل هدفين: الحصول على النفط أولاً وتأمين الفوائد الستراتيجية الضرورية للدفاع عن إمبراطوريتهم الإستعمارية ثانياً»[1].

كما أكد ذلك كرزن في مؤتمر الحلفاء حول النفط قائلاً:

«إن الحلفاء سبحوا الى النصر على موجات من النفط»[2].

فإذا كان آخر أهداف البحث هو التعريف بهوية كركوك الكُردستانية وعمق واصالة التنوع فيها

(١) العراق في سنوات الإنتداب البريطاني، كاشفيلي، ترجمة الدكتور هاشم صالح التكريتي، ص٢٥٠.
(٢) تاريخ مشاهير الألوية العراقية، عبدالمجيد فهمي، الجزء الأول، بغداد ١٩٤٦، ص ٩٦.

وهو نابع في الأساس من تاريخية الوجود وأهمية الموقع الجغرافي، وهكذا يشكل الموضوعان أساساً متيناً لتوكيد المنحى العلمي لهذه الدراسة في أهميتها الستراتيجية وفي الإنحياز للإنسان في هذه الموضوعية بغض النظر عن إنتمائه القومي والديني يشكل بعداً إنسانياً كبيراً يساهم في إنماء وتطوير التعددية الثقافية والقومية الديمقراطية على أساس من حقوق الإنسان لضمانها في بلده ومع أبناء شعبه كافة بدون تمييز أو عنصرية ممقوتة. لقد شكّل التنوع القومي تعددية ثقافية أصيلة وبرز كسمة أساسية من سمات الكركوكي. فهو الناطق بثلاث لغات والمتفاعل مع الآخر بدون حساسية وقد شكل دوره البارز في كافة التحولات السياسية والإجتماعية في كُردستان والعراق. فضلاً عن أنه إعتاد التنوع في بيئته الإجتماعية، فالكُردي الذي يعيش في بيئة تركمانية منذ الطفولة ويعتاد على عاداتهم ويتكلم لغتهم وتدافع أمه التركمانية عن وجودهم، لاشك في أن من حقه أن يكون له موقف يشابه التركماني الذي يعيش في بيئة كُردية منذ الطفولة ويعتاد على عادات الكُرد ويتكلم لغتهم وتدافع أمه الكُردية عن وجودهم، لقد نشأ تأريخ مختلط وممتزج ومتميز للثقافات الحضارية في هذه المدينة التي أنبتت ثقافة عصرية ذات أهمية جديرة بالتفهم والتطوير.

إن الشعوب وإختلاطها لم يكن من إختيارها ولاتوجد في العصر الحديث شعوبٌ نقية سوى تلك التي تعيش في منأى عن الحضارة والتطور وتغطُّ في سبات التخلف والإنعزال وهي قليلة الوجود على وجه كوكبنا، فالإختلاط والتجانس سمة عصرية تنهي عهود الظلام والعنصرية وتفتح آفاقاً جدية للتعايش الإنساني والحضاري السلمي.

منهج البحث

يُطلق على طريقة تناولنا كافة الأوجه الحضارية والتاريخية ودورها التأثيري في المجتمع الذي سنعتمده لتبيان الدور التأريخي لمدينة كركوك وأهمية موقعها الجغرافي في كُردستان العراق وفي المنطقة بإعتبارها مركزاً حضارياً وثقافياً مهماً بل إنها (حاضرة المدن)، يُطلق عليها المنهج الكلي الذي يبحث في مجالات متعددة وبشمولية، حيث يتناول تأريخياً ما أدته العوامل الجغرافية والسياسية الزراعية والصناعية والتجارية من دور في حياة المدن وتطورها الستراتيجي وأسباب تراجع البنى التحتية فيها والدور الإقتصادي وأهميته كأدوات بحث في التحليل والتركيب والتي إعتمدناها، وهي بأي حال لاتشكل أساساً ثابتاً كاملاً، بل طريقة جديدة لفهم شامل للتطور التأريخي وآثاره على الفرد والمجتمع في سياق محدد وموضوع يبيِّن الدور الهام للموقع الجغرافي وآثاره في إيجاد تنوع إثني (قومي) ذي أساس تأريخي. وسنتبين الموقع الجغرافي وفعله التأثيري أيضاً بحكم الدور الهام الذي أدته هذه المدينة والتي كانت قد نهضت وتنهض به. يمكن أن نطلق على بحثنا أيضاً الدراسة (الجيو – تاريخية) وفيها سنتعرف على الدور الإقتصادي والسياسي العام الذي قامت وستقوم به هذه المدينة الخالدة، وعلاقتها بطبيعة المجتمع الكركوكي الذي هو جزء أساسي في المجتمع الكُردستاني الناهض. كما سنركز على الميكانيزم أو الآلية الداخلية لهذا المجتمع والكيفية التي تتطور وتنمو فيها

علائق من نوع خاص[٣]، وبهذا سنكون قد ساهمنا في إبراز الدور الحضاري الرائد لمدينة كركوك تأريخياً وطبيعة التنوع القومي ودوره الأساس في ذلك.

مدخل البحث

يبدو للوهلة الأولى أن تناول موضوع خطير وذي إبعاد تأثيرية حادة على كافة المستويات السياسية والإجتماعية والإقتصادية في كُردستان، يتطلب عناية خاصة من حيث إعتماد المصادر ذات الصلة والدقة في حياديتها على الأقل من الناحية التاريخية والسياسية لأن موضوع بحثنا لاقى عسفاً منقطع النظير لأسباب سياسية تداخلت، لتعرف الحقائق التاريخية وتمزق الجغرافية الطبيعية وقد لعبت الحروب دوراً حاسماً لصالح طرفٍ دون آخر، وفي هذه بالذات وجدنا ضرورة إعادة قراءة معظم المصادر قراءة نقدية معتمدين المنهج العلمي لإظهار الحقيقة واشهارها ما أمكن. كما وجدنا ضرورة إيضاح رؤيتنا هذه على أساس منطقي وعلمي وهو الإنحياز للإنسان بإعتباره صاحب الشأن وللمجتمع لتعزيز تماسكه وإتحاده المبني على التعايش السلمي بين كافة مكوناته العرقية والدينية واللغوية والدعوة لذلك منطلقين من عدم الإنحياز لفئة دون أخرى، وذلك بإعتماد المصادر ذات العلاقة –المحلية والأجنبية– التي تقود الى إبراز الحقائق بشكل دقيق في المجال التاريخي لتأكيد اصالة التنوع الإثني وعراقته الحضارية. كما أننا سنتعهد بإبراز الموقع الستراتيجي الجغرافي لمدينة كركوك ودورها التاريخي كنموذج لكُردستان الجنوبية التي استُهدفت إستعمارياً؛ فخضعت تارة لسيطرة الدولة الصفوية وأخرى للدولة العثمانية وأخرى للإستعمار الإنگليزي الذي شكّل منها– أي من أقليم كُردستان وإقليم العراق – (دولة العراق الحديثة). إننا نرى العلاقة الوطيدة بين الموقع الجغرافي الستراتيجي والتحكم الخارجي بميكانيزم العلاقات الداخلية في المجتمع، وإرتباطه بنشوء وتطور البنى التحتية الإقتصادية للمدينة والمنطقة ومن ثم الإقليم والدولة علاقة كل منهم بالآخر وبالمحيط الإقليمي وعلاقته بموضوعي الحرب والسلام.

قد يساور البعض شك في الترابط العضوي بين ما تقدم من موضوعات مع الموقف الثقافي العام وتطوره التأريخي وما إتسم به من ميزات على مستوى الإبداع والتقليد وما رافقه في ظروف موضوعية وذاتية. إن إزالة الشك هو مقصدنا من خلال هذا البحث وذلك فيما يخص الموقف الثقافي العام في كركوك نشوءً وتطوراً وإبراز دور الريادة فيه.

إن تقدير العلاقة بين أهمية الموقع الجغرافي تاريخياً ودوره الفاصل في التطور الحاصل على كافة الأصعدة والمستويات الإقتصادية والإجتماعية السياسية ينبيء جدياً بضرورة التصدي لكل المحاولات التي تُحاك في السر والعلن لإلغاء أو تهميش دور (حاضرة المدن كركوك) والذي يتسبب بخسارة كبرى وحقيقية لاتعوض لشعبنا الكُردستاني بكافة مكوناته القومية. إن بعضاً من هذه المحاولات (سياسية التعريب) و(التغريب) و(التتريك) و(الترحيل) من جهة، والإدعاءات المغرضة والشوفينية لدى

(٣) كُردستان مستعمرة دولية – إسماعيل بيشكچي، ص ٥.

بعض القوى التي تحاول تخريب التآخي الوطني القائم في مدينة التآخي وبالتالي إلغاء كُردستانيتها من جهة أخرى. إن مدينة كركوك التي تمثل بحق بموقعها الجغرافي بوابة حضارية لشعب كُردستان قد لعبت كافة مكوناتها القومية والدينية دوراً تأسيسياً فيها لايمكن التنكر له أو تناسيه.

١- خصائص الموقع الجغرافي

في ضوء الموقع الجغرافي تتحدد جملة من السمات والخصائص المؤثرة على نوعية وطبيعية التطور بشكل عام، وآثار الموقع الجغرافي تبقى شاخصة في نوعية وطبيعة هذه العلاقات الإجتماعية والإقتصادية والسياسية تاريخياً. فقد شكّل الدور الستراتيجي للموقع الجغرافي لمدينة كركوك بعداً حضارياً متقدماً جعل من المدينة محط الأنظار. تقع مدينة كركوك في نهاية سفح جبل (قره حسن) وتشرف على سهل واسع يمتد الى نهر الزاب الأسفل شمالاً والى جبل حمرين جنوباً[٤]، كان قد أنشأها قبل (٢٧) سبع وعشرين قرناً ملك الآشوريين (سردنابال). تجدر الإشارة هنا الى أن الموقع الجغرافي للمدينة له الدور الكبير فهي تقع على الحدود بين الميديين والآشوريين، وتمرد قائد الميديين (آرباق) فيها على الآشوريين أدرك الملك (سردنابال) ذلك فعزل (آرباق) وعين رجلاً آخر إسمه (كرمي) على المدينة، التي كانت تسمى آنذاك (كوره باجرمي) غير أن (كرمي) هذا ما لبث أن تمرد هو أيضاً وإستقل بالولاية بعد حين وأصبح الحاكم المطلق على هاتيك الديار[٥].

وتؤكد المصادر أن هذه المدينة المهمة مالبثت أن إسترجعت مكانتها بعد مدة من الزمن نظراً لموقعها الجغرافي الستراتيجي ووقوعها بين أكبر ثلاث إمبراطوريات تاريخية الآشورية والبابلية ومعاصرتهما الميدية وكذلك البرثيين، الذين إستولوا على المدينة سنة ٢٥٦ ق.م بعد نهاية إحتلال الإسكندر المقدوني أي بعد إنتهاء سلطة أحد قواده الثلاثة الذين تقاسموا ملكه العظيم. فقد كانت المدينة من حصة القائد (سلوكس) الذي أقام فيها سوراً فخماً جعل له (٦٥) برجاً وصارت منذ ذلك الحين تدعى المدينة بإسمه (كرخه سلوك)، وهي كلمة منحوتة من الآرامية (كرخا بيث سلوك) أي (مدينة سلوك) وقد سماها بطليموس (كوركورا)[٦]. ونتيجة للصراع بين الروم والدولة السلوقية اليونانية ثار الفرس على البرثيين تحت قيادة زعيمهم (أردشير بن بابك) الذي قضى على دولة البرثيين بعد أن حكموا خمسة قرون وكان ذلك سنة ٢٢٧م، فأصبحت كركوك من ضمن الأملاك الساسانية[٧].

إن الموقع الجغرافي الستراتيجي الهام لمدينة كركوك جعلها عرضة لما يلي:

١- الموجات البشرية:

هذه الموجات القبلية التي تنطوي معظم الأخبار الخاصة بأسباب ودواعي هجراتها الى منطقة

(٤) كتاب مشاهير الألوية العراقية، عبدالمجيد فهمي، الجزء الأول، بغداد ١٩٤٦، ص٤٧.
(٥) المصدر نفسه - ص ٩١.
(٦) المصدر نفسه - ص ٩٢.
(٧) المصدر نفسه - ص ٩٢.

كركوك على الجاذبية الخاصة المتمثلة بالموقع الجغرافي المشرف على المراعي الواسعة بالإضافة الى وفرة المياه وغزارتها والإستفادة من العلاقات القبلية الموجودة فيها، حيث أن القبائل الرحالة كانت تزود هذه الموجات المهاجرة بمعلومات عن الدعة والأمن والمراعي والمياه والقابلية على التنقل فيها بحكم ان المناخ المساعد فيها جامع لمواصفات مطمئنة للقدرة على الإستفادة القصوى منها.

يؤكد المؤرخون ان من القبائل المهاجرة أو تكاد تكون أولى الموجات من التركمان وقد دخلوا الى ميديا عام ٨٠٠ ق.م[٨]، حيث لم تكن هناك –أي في قلب آسيا الوسطى– دولة واحدة قوية تحميهم بل مجرد علاقات قبلية متعددة لم تستطع حمايتهم كما لم يكن الإنتقال الى ما وراء النهر سهلاً إلا أن النزوح الى المدينة (كركوك) لديهم كان دليلاً على تركهم البداوة والتوطن فيها[٩].

٢- الحروب:

منذ أن عين سرجون ملك آشور القائد الآشوري (نابوبلصر)، وهو من أمهر القواد وأنفذهم رأياً، على بعض بلاد بابل إتحد هذا مع قبائل الميديين في كركوك وأغار معهم على مملكة بابل وحكمها[١٠]. شكّل قيام هذا الحلف العسكري بين الآشوريين والميديين البداية الحقيقية للحروب الستراتيجية التي سبقها عدد من الحروب والغزوات المحلية للإستيلاء على المراعي الطبيعية بين قبائل المنطقة إلا أنه – أي الحلف– لم يكن ذا طبيعة ستراتيجية إذ يبرز من خلال هذا الحلف نوع من التفاهم والتحاور ومن ثم الإتفاق على أسس مشتركة لغزو وإحتلال بلاد مجاورة للميديين من الغرب وللآشوريين من الشمال. كما ان إستمرار هذه الحرب وتطورها على يد (نبوخذنصر) بن (نابوبلصر) الذي فتح سورية وفلسطين وأقام ما عرف بالسبي البابلي وحارب أيخاؤوس ملك مصر وهزمه وكسر الفينيقيين ونهب مدينتهم صور. في هذا العهد بالذات أصبحت كركوك محط أنظار سائر البلدان، فقد هاجمها الفرس والروم والترك والتتار والمغول وكانت هدفاً لحملات الإسكندر المقدوني كما ذكرنا وإحتلها وحكمها أحد قواده المدعو (سلوكس) حتى عام ٢٥٦ ق.م حيث إنتقلت الى أيدي البرثيين الذين تغلبوا على الدولة السلوقية اليونانية. خلاصة القول يمكننا التأكيد على أن الموقع الجغرافي لمدينة كركوك جعلها عرضة للغزوات منذ نشأتها. أما وقد دخلت في نطاق التاريخ الإسلامي فقد تعرضت للغزوات أيضاً والتي يمكن إيجازها بما يلي:

١- كانت مطمح أنظار الأتابكة حيث إستولوا عليها في عهد الناصر أحمد بن المستضيء العباسي في حدود سنة ٥٨٥ هجرية[١١].

(٨) أ- التركمان في عراق الثورة، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٣، ص ٩.
ب- الأدب الشعبي التركماني، ابراهيم الداقوقي، فنون، مطبعة الجمهورية، ص ٧.
(٩) ف. بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، القاهرة ١٩٥٨، ص ١١.
(١٠) العراق الشمالي، ص ١٥٣.
(١١) المصدر نفسه، ص ٢١٥.

٢- في عام ١١٤٦ أرسل السلطان محمود العثماني جيشاً مع الوزير عثمان طوبال پاشا وإتخذ كركوك مقراً لحركاته العسكرية، وبعد معارك بين الجيشين الفارسي والتركي تغلب فيها الوزير على (نادر شاه) وطرد جيشه الذي توغل في كركوك[١٢].

٣- وفي سنة ١١٤٨م عاد (نادر شاه) الصفوي كرة أخرى وهاجم كركوك وقتل عثمان طوبال واباد (قول مصر) الذي كان يقاتل الى جانب الوزير عثمان طوبال پاشا[١٣].

٤- وفي سنة ١١٥٦م زحف نادر پاشا على كركوك فهرب منها (حسين پاشا جمال أوغلو)، الذي كان والياً عليها، ثم إكتسحها المغول وأصبحت تحت حكم التتار فأصابها من الخراب والدمار وأخذت تنتقل من حكم دولة الى أخرى فتارة في أيدي الجلائريين وأخرى في يد تيمورلنگ وثالثة يحتلها الصفويون وأخيراً وقعت في أيدي العثمانيين في أوائل القرن السادس عشر الميلادي[١٤].

٥- وفي سنة ١٦٣٨ إحتل مراد الرابع السلطان العثماني العراق وقسّمه الى ثلاث ولايات (الموصل، بغداد وشهرزور)[١٥]، وضمت ولاية شهرزور السليمانية وكركوك وبعد سنوات قلائل ضمت البصرة الى العراق[١٦].

٢- المناخ في كركوك

كركوك مركز گرميان

أما المناخ في منطقة كركوك فهو مركز إقليم مناخي خاص ومحلي حيث أن كُردستان الجنوبية تتكون من إقليمين مناخيين: الأول: منطقة كويستان أي المنطقة الباردة. والثاني: منطقة گرميان أي المنطقة الحارة. المنطقة الشمالية الشرقية لكركوك تتمتع بصيف معتدل الحرارة نسبياً لإرتفاعها عن سطح البحر وقربها من المناطق الجبلية (كويستان)، أما شتاؤها فقارس البرد لاتسقط فيه الثلوج خلال الشتاء، وتهب الرياح غالباً في كركوك من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي. أما المنطقة المناخية الثانية وهي گرميان (أي الحارة - وهذا المصطلح محلي من اللغة الكُردية) ويمتاز بحرارة عالية بحيث تحول السهول الى مناطق حارة لاهبة وكذلك الصخور الجبلية. أما ربيع المنطقة فلطيف معتدل تزيد في إعتداله كثرة الينابيع والأنهار والأشجار وكذلك خريفه. أما شتاء المنطقة فهو بارد غزير الأمطار تصبح الفيضانات والسيول[١٧] التي تلحق خسارة بالمزروعات وبالبيوت من سماته، وقد إعتاد أهالي گرميان على هذه الأجواء وإستطاعوا أن يصطنعوا المنتجعات الخاصة بهم صيفاً وربيعاً وعملوا على درء السيول الجارفة شتاءً.

(١٢) المصدر نفسه، ص ٢١٥.
(١٣) المصدر نفسه، ص ٢١٥
(١٤) المصدر نفسه، ص ٢١٥.
(١٥) القضية الكردية في العشرينات، د. عزيز الحاج، ص٣٨.
(١٦) المصدر نفسه - ص ٣٨.
(١٧) تاريخ مشاهير الألوية العراقية، ص٩.

٣- الزراعة في كركوك

إن الزراعة في كركوك (على العموم تقوم على الديم)[١٨] ومعظم المحاصيل الشتوية تعتمد على الأمطار عدا في قسم من أراضي (الحويجة) في الفرعين الغربي القديم والشرقي، أما منطقة (قرەتپه) فتُسقى بواسطة الكهاريز. (كانت الأهمية الزراعية في كركوك تحتل المكانة الأول) وتتبوأ مركزها المرموق في البلاد. وتؤكد الدراسات بهذا الخصوص على أن البستنة وجدت في (الحويجة) ومركز كركوك وطوزخورماتو وقرەتپه، وأهم الأشجار التي تنمو وتدرّ حاصلاً جيداً هي الزيتون والعنب والنخل في كفري وطوزخورماتو وكذلك أشجار الحمضيات كالليمون والبرتقال في قرەتپه وقرية كلوجو. (والزراعة في كركوك واسعة متنوعة والأسواق التجارية عامرة وأرضه الغنية بالمعادن الثمينة وصناعاتها في تقدم وإنتعاش) كما (تمتاز كركوك بتربة عظيمة الخصب وقد ساعدت هذه المرافق كلها على إزدهار الحياة في كركوك فإزدحمت المدن والقرى والأرياف بالسكان وعمرت أمهات مدنها وتوفرت فيها وسائل العيش وأسباب الرخاء)[١٩].

إن القسم السهلي الواقع غرب كركوك والقسم المتموج المحاذي للمناطق الجبلية فيها حيث تجري الوديان المتعددة التي تصب في نهر العظيم والقسمين المجاورين لحوض ديالى (سيروان) وحوض الزاب الأسفل والبقاع التي تسقيها مياه الينابيع المتناثرة في شتى أنحاء كركوك، كلها تشكل التربة الخصبة والصالحة للزراعة. وتبلغ مساحة هذه الأرض المزروعة والصالحة للزراعة في كركوك نحو (١٢٥٠٠) كيلومتر مربع أي ما يعادل خمسة ملايين مشارة وهي مساحة تزيد على ثلاثة أرباع مساحة كركوك. (خصوبة التربة العالية وصلاحيتها للزراعة دفعت بكركوك الى مقدمة كافة الألوية التي إشتهرت بالخصب والخير ووفرة الحاصلات الزراعية)[٢٠].

تمتاز تربة كركوك فضلاً عما تقدم بإنخفاض نسبة الأملاح فيها مقارنة بالأراضي الأخرى، فالأملاح تترسب في الأراضي المستوية التي يبقى فيها ماء السقي طويلاً حتى يتبخر، وتزداد هذه الأملاح ترسباً وتراكماً على مر السنين فتقل خصوبة التربة على عكس الأراضي المنحدرة التي لاتتوقف المياه فيها فلا تتسرب أملاحها إليها لأن الإنحدار يسهِّل تصريف المياه الى المنخفضات والوديان قبل أن تترك أملاحها على وجه الأرض. وهذا أهم الأسباب التي جعلت من كركوك أخصب البقاع. أما أهم الحاصلات الزراعية في كركوك فهي الحبوب - إذ تمتاز كركوك (بزراعة الحنطة الكُردية الفاخرة) حيث تُنتج بكميات كبيرة يستهلك السكان بعضها والبعض الآخر يُصدر[٢١].

إخصائيو زراعة الحبوب يقولون بأن أحد أسباب جودة الحنطة الكُردية هو أنها تروى بمياه الأمطار بالإضافة الى نوع التربة وتركيبها الكيمياوي فهي رملية في الغالب تكاد نسبة الأملاح فيها

(١٨) العراق الشمالي، ص ١٨٤
(١٩) تاريخ مشاهير الألوية العراقية، ص١٠.
(٢٠) المصدر نفسه، ص ١١.
(٢١) المصدر نفسه، ص ١٢.

تكون معدومة وهي تربة صالحة جداً لزراعة الحنطة، لاسيما إذا كانت الحنطة من النوع الفاخر وتزرع في الأنحاء السهلية المتموجة من أراضي كركوك خاصة في الأراضي الممتدة من الزاب الأسفل الى طوزخورماتو.

موسم زراعة الحنطة في كركوك يبدأ مع بداية مواسم الأمطار فعندما ينزل أول المطر بين أوائل تشرين الأول وأواخر تشرين الثاني يرطب الأرض ويجعلها صالحة فيحرثها الفلاحون ويبذرونها ويتركونها في ذمة الأمطار. وإذا نضج الزرع يستعد الفلاحون لموسم الحصاد الذي يبدأ من أواسط الربيع وينتهي في أوائل الصيف. أما الشعير الذي هو من المحاصيل المهمة في كركوك فيُبذر في أوائل فصل الخريف بعد نزول أول المطر وهو وافر جداً ويزيد عن حاجة كركوك فيُصدر.

أما الرز فهو محصول صيفي تحتاج زراعته الى كميات كبيرة من الماء ولذلك يزرع في الأراضي الغربية بالقرب من العيون والينابيع حيث توجد المنخفضات التي تتجمع فيها مياه الأمطار وكذلك على شواطيء الأنهر. وأكثر ما يزرع من الرز في قضاء چمچمال ونوعه المختلف عن أنواع الأخرى التي تزرع في الأنحاء الأخرى وهو فاخر من حيث الطعم والنكهة وشكل الحبة وحجمها.

الحبوب الأخرى التي تزرع في كركوك هي الماش والعدس والهرطمان والسمسم والحمص والذرة والدخن والفاصوليا واللوبيا والبزاليا وغيرها.

أما الخضروات والفواكه فيكون نضوجها متأخراً حيث ينبت في معظم أنحاء كركوك أنواع كثيرة من الفواكه والخضروات، كالطماطة والباميا والباذنجان والقرع والسبانخ والرقي والبطيخ، كما ينبت فيها كثير من الحاصلات الجذرية كالجزر والشمندر واللفت والبطاطا والفجل والبصل والثوم وأكثرها يستهلك داخل كركوك إلا أنها ولتأخر نضجها تُصدر في أواسط الصيف وأواخره حين نضوجها.

الأشجار في كركوك التي تكتض بها البساتين وبأنواعها الكثيرة المثمرة كأشجار الرمان، الليمون، البرتقال، والأترنج والتين والخوخ والتفاح والكمثرى والسفرجل والبرقوق والإجاص والكروم كما توجد النخيل في جهات من طوز وكفري وقرەتپه وفي أنحاء كركوك لاسيما الجبلية تنبت أشجار تقتصر زراعتها على كُردستان كأشجار الزيتون والجوز والفستق واللوز والبندق والبلوط (ويعني الأهلون عناية خاصة بأشجار الزيتون) وهناك أشجار غير مثمرة في المناطق الجبلية يستفاد منها كأخشاب لصناعة الأثاث وصناعة الفحم الذي يصدر[٢٢].

كذلك يزرع التبغ بكميات ونوعيات فاخرة يستهلك قسم منه ويصدر القسم الآخر.

٤- المواصلات وموقع مدينة كركوك بالنسبة للمدن المجاورة

شكلت التجارة تاريخياً قناةً للتواصل مع المحيط الإقليمي لمدينة كركوك حيث أنها عُدت مركزاً تجارياً مهما بحكم:

١- وفرة الطرق والمواصلات الصالحة التي أوجدتها المصالح العسكرية.

(٢٢) المصدر نفسه، ص ١٤.

٢- وفرة الإنتاج المحلي الزراعي والحيواني وغيره بسبب الخصوبة العالية للأرض ووفرة المياه وملاءمة المناخ.
٣- الموقع الجغرافي لكركوك ووقوعها بالقرب من الحدود مع السليمانية الى إيران والموصل الى سورية وبغداد وتركيا. (أنظر ملحق رقم (٣) الخارطة).
٤- التنوع الإثني القومي الأصيل في المدينة يسمح بتواجد التجار وزيارتهم للإستيراد أو التصدير ونشاط التجار من أبناء المدينة وقدرتهم الخلاقة على جذب التجار أو المتاجرة لخبرتهم في هذا المجال وهي خبرة تاريخية بلاشك.
٥- العلاقة الوطيدة بين الأرض والزراعة والإنسان والحاجة الى التبادل بين المنتوج المحلي الفائض والمنتوجات التي هم بحاجة اليها. والفلاحون أو الأصول الفلاحية أساس مهم لفهم وتطبيق ما هو مطلوب تجارياً بحكم المهنة.

اما طرق المواصلات التي تضم شبكة واسعة من الطرق التي تربط أجزاء كركوك ببعضها. فقد وجدنا ان هذا الترابط منظم ودقيق وتاريخي بحيث أن المسافات المتقاربة بين أجزاء (كركوك) وكذلك ترابطها بمسافات أخرى مع المناطق المجاورة تشكل شبكة فريدة من نوعها من حيث تنظيمها، فهي تعد لذلك عصباً حيوياً للزراعة والتجارة معاً مع الداخل والخارج (داخل إقليم كُردستان) وباقي الأقاليم في الدول المجاورة. وسنأتي على ذلك في محل آخر من بحثنا.

٥- المراعي والري في كركوك

الري قديم في كركوك وهناك أثر لمشاريع ري قديمة جداً منها ما أقيم على نهر العظيم في المضيق الذي تشكله سلسلة جبال حمرين وذلك لإنشاء سد وخزان لرفع مناسيب المياه لاتزال بقايا هذا السد قائمة الى اليوم. ويعرف بإسم (بند العظيم).

كما وهناك آثار لجدولين قديمين مندرسين كانا يتفرعان من ضفتي الخزان من امام السد يُعرف الأيمن منهما بإسم (نهر البنت) والأيسر بإسم (جدول روزان) وآثار ناظم الجدول الأخير لاتزال باقية على رقبة السد اليسرى. وهناك خزان كان يستمد مياهه من مصدر آخر وهو نهر الزاب الصغير عن طريق جدولي (العباسي) و(الفيل) القديمين[٢٣]. تدل مستويات الأراضي على أن بالإمكان إنشاء خزان يستوعب ما يقارب ثلاثة مليارات متر مكعب من الماء إذا تيسر إنشاء سد الى إرتفاع (١٤٥) متراً فوق سطح البحر.

سنعتمد في بحثنا هذا على ما ورد تاريخياً في شأن الزراعة والري في كركوك المدينة والمنطقة على مصدر تأريخي صدر في أواخر أربعينيات القرن العشرين وهو (تاريخ مشاهير الألوية العراقية) ثم نعود الى كركوك عام ألفين الحاضرة، حيث يكتب السيد عبدالمجيد فهمي في كتابه تاريخ مشاهير

(٢٣) العراق الشمالي، ص ٥.

الألوية العراقية وفي الجزء الأول عن لواء كركوك ما يلي:

«تمتد الأراضي الواسعة التي يتألف منها لواء كركوك بين نهري سيروان – ديالى من جهة والزاب الصغير من جهة أخرى. وتقع بين خط عرض شمالي ٣٥ درجة و٢٨ دقيقة وطولي شرقي ٤١ درجة و٤٥ دقيقة. ويفصل بينه وبين لواء ديالى من ناحية الجنوب الشرقي نهر (ديالى – سيروان) ومن ناحية الجنوب الغربي –أي بينه وبين بغداد– جبل حمرين الحدود الطبيعية لكُردستان».

أما عن مساحته وسكانه فيقول:

«تبلغ مساحة لواء كركوك زهاء ١٦,٥٠٠ كيلومتر مربع أما عدد سكانه فيقدر بنحو ربع مليون عدا القبائل الرحالة والمتوطنة التي يقدر نفوسها تخمينياً بمائة ألف نسمة»[٢٤].

اما وصفها الجغرافي فيقول المؤلف:

«يتألف لواء كركوك من سهل فسيح مترامي الأطراف عظيم الخصب يتدرج في الإرتفاع شيئاً فشيئاً على إمتداد الشمال والشرق، ولهذا كانت أنهاره تجري من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي.»

ويضيف:

«تخترقه من الجهة الشمالية الشرقية سلسلة جبال جرداء متوسطة الإرتفاع تشرف عليها وتحاذيها جبال السليمانية الشاهقة، وتتناثر التلال والروابي في أواسطه هنا وهناك أما قسمه الغربي الممتد الى سفوح جبل حمرين فمنبسط تكثر فيه المراعي والمروج الخضراء[٢٥]. أما مياهه والأنهار فتهطل أمطار غزيرة في معظم أنحاء كركوك طيلة الشتاء والربيع والخريف، وهي عماد الحياة الزراعية فيه، إذ تروي الأراضي التي لايمكن أرواؤها سيحاً وتفجِّر العيون والينابيع وتكوِّن السيول والوديان والأنهار. ولذلك يرتفع مستوى الماء في موسم الأمطار إرتفاعاً عظيماً حتى يكاد يغمر الأراضي الممتدة على ضفاف الأنهار بل يغمرها أحياناً ثم يعود فينخفض في الصيف إنخفاضاً يكاد ينعدم فيه فعلاً وتجفّ مياه الأنهار طيلة موسم الصيف»

ويحدد لنا أنهار كركوك قائلاً ان أهمها نهر خاصه سو، الذي يخترق المدينة من وسطها ونهر داقوق چاي الذي يمر بالقرب من داقوق ونهر آق صو الذي يمر بجوار طوزخورماتو. وهذه الأنهار الثلاثة تتكون من مياه الأمطار والسيول التي تجري من سفوح الجبال الواقعة في الشمال الشرقي لكركوك. وهناك أنهار أخرى منها (كفري سو) في كفري، وهذا النهر يلتقي في قرەتپه بنهر (نارين چاي) الذي يجري الى الجنوب ليصب في نهر (ديالى – سيروان) عند جبل حمرين. وهناك أنهار

(٢٤) تاريخ مشاهير الألوية العراقية، ص ١٥٤.
(٢٥) تاريخ مشاهير الألوية العراقية، ص ٣.

أخرى مثل حاجي لر وصيدلان وكولوجو قبة وكوكوز وستيبان وناد جوان، وهذه الأنهار كلها موسمية أشبه ما تكون بالوديان لأنها في الغالب لاتجري إلا في موسم الأمطار حين تصب فيها السيول الدافقة. وتعتمد الجهات الشمالية من كركوك إعتماداً كبيراً على نهر الزاب الصغير الذي تتدفق مياهه بغزارة طيلة أيام السنة، وتعتمد الجهات الجنوبية من كركوك على نهر سيروان – ديالى والجداول المتفرعة منه. خلاصة القول أن المياه متوفرة في جميع أنحاء كركوك حتى في الأراضي البعيدة عن الأنهار إذ تسقيها الآبار والينابيع المتفجرة من باطن الأرض.

المراعي

في كركوك هناك أراضي واسعة لم تزرع غير أنها ولخصوبتها وتشبعها بالمياه في موسم الأمطار تعدُّ من أحسن المراعي التي ينتفع بها غالباً القبائل الرحالة وأصحاب المواشي، ولولا هذه المراعي لما إشتهرت كركوك بوفرة منتجاتها الحيوانية.

٦- المعادن والصناعة في كركوك

في الواقع أن أرض كركوك لاتخلو من وجود معادن ثمينة مثل الكبريت والنحاس والملح والقير والرصاص. إلا أنهم عثروا على المعدن أو السائل الذي يستطيع أن يدير دولاب الحضارة ويلهب جو السياسة ويوقد نار الحرب ويغير وجهة التأريخ[٢٦]، نعم لقد عثروا على النفط في كركوك.

تشترك كركوك مع سائر المدن الكوردستانية في العراق وفي معظم بلاد كُردستان بخلوها من الصناعات المهمة والثقيلة بالرغم من توفر أسسها فيها وذلك لأن الدول المحتلة لكُردستان تتخوف من نشوء وتطور الصناعة التي قد تؤدي بالتالي الى تطور القوى الإجتماعية والصناعية المنتجة العاملة وبالتالي تطور الفكر الإجتماعي كنتيجة للآلية الداخلية للمجتمع الكُردستاني وبالتالي شروعه بالمطالبة بحقوقه القومية الديمقراطية. وبالرغم من ذلك كله كانت الصناعات المحلية بسيطة إلا أنها مهمة تمثلت بالنجارة والحدادة والحياكة (حياكة الأنسجة الحريرية وحياكة البسط والسجاجيد الصوفية) والصياغة والخياطة والخراطة والسراجة وصناعة الأحذية وتصليح المكائن وطلاء المعادن والسباكة والخراطة وغيرها بالإضافة الى نحت الصخور والبناء. هذه أهم المهن في كركوك[٢٧].

٧- الحرب العالمية الأولى: الحلفاء، الحرب، النفط

صرح اللورد كرزن بعد عقد الهدنة بين الدولة العثمانية المهزومة وألمانيا من جهة والحلفاء: إنكلترا وفرنسا من جهة أخرى في خطبة له قائلاً: «لقد بلغنا ميناء النصر على بحر من نفط». لقد قلب النفط موازين الحرب فيما يبدو وإدعى الحلفاء بعد إنتصارهم في الحرب إكتسابهم حق إستثمار النفط في

(٢٦) تاريخ مشاهير الألوية العراقية، ص٢٢
(٢٧) المصدر نفسه، ص ٢١.

جميع البلاد التي إحتلوها بالقوة وإنتزعوها بحد السلاح. وعلى هذا الأساس بحثت الدول المشتركة في مؤتمر سان ريمو موضوع النفط فقررت أن تحرم ألمانيا منه وتحل محلها فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية. وان تتألف (شركة النفط التركية المحدودة) من الإنكليز والفرنسيين والأمريكيين بعد أن كانت إنكليزية ألمانية.

في ١٤ آذار ١٩٢٥ قامت الشركة بإستثمار النفط في جميع أنحاء (دولة العراق) عدا منطقتي البصرة وخانقين ولمدة ٧٥ عاماً أي الى عام ٢٠٠٠، وكان المفاوض الإنكليزي مع الحكومة العراقية المستر كبلينغ أحد كبار خبراء الإنكليز بالشؤون العراقية[٢٨]. وفي نيسان ١٩٢٧ إفتُتحت أعمال الحفر في جبال بالخانة في كركوك[٢٩].

وفي ١٤ تشرين ١٩٢٧ تدفق النفط من أول بئر في باباگرگر الواقعة على بعد (٧) أميال في الشمال الشرقي لمدينة كركوك[٣٠].

ولعبت شركة نفط العراق التي تأسست على يد الإستعمار الإنكليزي وأخذت دورها في البداية بإسم (شركة النفط التركية المحدودة)، التي تساومت فيها إنكلترا وتركيا. وقد لعبت هذه الشركة دوراً مهماً في الحياة السياسية في كركوك وكُردستان والعراق وشكلت محوراً للقوى الرجعية المتحالفة مع الإستعمار ضد طموحات الشعوب وآمالها في الحرية والديمقراطية والسلام.

فضل النفط

(لقد إقترن إسم كركوك بإسم النفط منذ عرف وجود هذا المعدن في كُردستان العراق)[٣١]. إن موقع كركوك الجغرافي هذا على فوهة بحيرة هي أطول عرق نفطي في العالم يؤكد ستراتيجيتها حديثاً أيضاً، ونظراً لأهمية النفط في ميادين الحرب والصناعة العالمية والحياة السياسية في كُردستان والعراق فسوف نفرد له فصلاً خاصاً من بحثنا هذا.

لمحة تاريخية

في أواخر القرن التاسع عشر إتجهت إنظار الغربيين الى إستثمار منابع النفط الغزيرة في الشرقين الأوسط والأدنى عندما شعر الأخصائيون والخبراء بوفرته في هذه البلدان... لذلك تأسست شركات أوروبية وأمريكية للبحث عن عروقه وبحيراته. وفي سنة ١٨٩١ تكمن السير (وليم دارسي) بعد البحث والتنقيب من العثور عليه في (ميدان تفطون) على بعد ١٢٥ ميلاً شمال شرقي عبادان وفي مسجد سليمان على مسافة ٤٥ ميلاً منها. وقد تالفت لإستخراج النفط شركة إنكليزية – فارسية

(٢٨) المصدر نفسه، ص ٢٨.
(٢٩) المصدر نفسه، ص ٢٩.
(٣٠) المصدر نفسه، ص ٢٣.
(٣١) المصدر نفسه، ص ٢٣.

بإسم (شركة النفط الإنكليزية الفارسية Anglo-Persian Company) وحصلت على إمتياز بإستثمار المنابع النفطية عرف بإمتياز (دارسي)[٣٢]، وباشرت أعمالها سنة ١٩١٢. وقد دفع هذا الأمر الخبراء الى البحث عن منابع أخرى للنفط في مناطق النفوذ العثماني. لاسيما في ولاية الموصل وما كادت أن تصل رائحة النفط والمال هذه أنوف الغربيين حتى شغل رجال الصناعة وإستولى على تفكير رجال الحرب والسياسة وأصبح النفط محور دسائس ومؤمرات وأحابيل ومناورات سياسية وتجارية واسعة النطاق. فتألفت لذلك شركات أجنبية كثيرة أخذ كل منها يساوم على كنوز النفط في كركوك التي تعد من أغنى المنابع وأحسنها جودة في العالم.

ألمانيا والسلطان على سكة الحديد الى النفط:

لقد كان الإستثمار المحلي للنفط في كُردستان معروفاً منذ القدم وكذلك القير[٣٣] فقد إستخدمه الآشوريون كطلاء للمعابد. وكان الإستثمار المحلي للنفط في منطقة خانقين (وهي لم تكن قد ضُمت بعد الى كُردستان العراق حين كانت جزءاً من كُردستان إيران بسبب إكتشاف النفط فيها) وفي كركوك أيضاً. (ولما تنبه السلطان العثماني عبدالحميد الثاني الى وفرة النفط ورأى تكالب الغربيين وتهافتهم عليه وكان يدرك أهميته العظيمة في الحروب والصناعات العصرية أصدر أمراً منع به التنقيب عنه إلاّ بموجب إمتياز خاص)[٣٤].

(حاولت الولايات المتحدة الأمريكية أن تظفر من السلطان بإمتياز إستخراج النفط) فأوفدت لمساومته ثم عززت تلك الوفود بإنتداب الأميرال الأمريكي (شستر) عام ١٨٩٩م، غير أن المساعي الأمريكية باءت بالفشل[٣٥].

وفي عام ١٩٠٢ حصلت شركة (الخطوط الحديدية الأناضولية) وهي شركة ألمانية يساهم فيها البنك الألماني على إمتياز سكة حديد (بغداد – برلين) وكان من شروطها منح الشركة حق إستثمار جميع المعادن في المناطق الواقعة على جانبي هذا الخط الى مسافة عشرين كيلومتراً من كل جانب، ودخل ضمن هذه المناطق جزء كبير من المنطقة النفطية الشمالية الواقعة شرقي وغربي نهر دجلة في ولايتي الموصل وبغداد[٣٦].

في عام ١٩٠٤ بدأت هذه الشركة بدراسة الأراضي الداخلة ضمن حدود إمتيازها وباشرت بمد السكة الحديدية للتمكن من الإنتفاع بحقوقها في إستغلال المناطق المعدنية النفطية على جانبي الخط مما آثار إهتماماً دولياً في أمر إمتيازات النفط هذه وجرت مفاوضات ومداولات مع الدولة العثمانية ومع الشركة الألمانية وتم الإتفاق في عام ١٩١١ على أن تبيع الشركة الألمانية حق إستثمار النفط

(٣٢) المصدر نفسه، ص ٢٤.
(٣٣) العراق الشمالي، ص ١٩٦.
(٣٤) تاريخ مشاهير الألوية العراقية، ص ٢٥.
(٣٥) المصدر نفسه، ص ٢٥.
(٣٦) المصدر نفسه، ص ٢٥.

وحده الى شركتين إنكليزيتين الأولى شركة النفط الإنكليزية الفارسية صاحبة إمتياز نفط إيران والثانية شركة (رويال شل) لقاء ٢٤٠٠٠ سهم من أصل ٨٩٠٠٠. وعلى أثر ذلك تألفت من جميع المساهمين في الشركة الألمانية والشركتين الإنكليزيتين شركة موحدة هي (شركة الإمتيازات الإفريقية والشرقية المحدودة) التي ضمت ملوك النفط الإنكليز والألمان والهولنديين، وقد أعيد تأليف هذه الشركة مرتين خلال مدة قصيرة قبل أن تستقر نهائياً بإسم (شركة النفط التركية المحدودة)، كان ذلك أواخر عام ١٩١٢ وأضافت الى إمتيازها شروطاً أكثر ملائمة لها في إستثمار النفط في ولايتي بغداد والموصل التي تضم كركوك وذلك بفضل مساعي سفيري إنكلترا وألمانيا في الأستانة[٣٧].

القسم الثاني

١- التنوع والتعددية القومية في كركوك

إن للحالة الإجتماعية وإرتباطها بالبيئة والموقع الجغرافي أثر خاص على الفرد والمجتمع معاً وتلعب دوراً أساسياً على الأصعدة الإقتصادية والسياسية كافة[٣٨]. وفي تشخيصنا للحالة الإجتماعية في كركوك إعتمدنا على هذا الإرتباط وأثره في تحديد التشكل والتنوع الإثني الذي شكّل فيما بعد تعددية قومية وثقافية مشتركة النشوء والتطور ترنو الى مستقبل أكثر إشراقاً يحترم الذات والجمع المشترك الذي حدده التاريخ المتجذر والمعبر عن أصالة الجمع والمشتركات.

(تتكون غالبية السكان في كركوك من أبناء المدن والقصبات والقرى... أما الباقون فهم أبناء القبائل الرحالة الذين يتنقلون بمواشيهم بين منابت الكلأ وموارد الماء ومساقط الأمطار في المراعي...)[٣٩] كان هذا ما كُتب عن كركوك عام ١٩٤٦. وتتألف الأكثرية العظمى من سكان كركوك من الطبقة الوسطى ولما كانت كركوك موغلة في القدم وقد مرت بها عصور الماديين والآشوريين وإحتلها الإسكندر وأصبحت من ممتلكات الساسانيين، تأكد لنا ذلك من خلال مواقع الآثار الكثيرة المنتشرة في كركوك ومدنها وما أكتُشف أخيراً في تل جرمو (أول قرية بناها الإنسان)[٤٠أ] إنما يؤكد بكل وضوح أن الظروف الملائمة لقدم وجود الإنسان فيها وتعدد هجراته إليها بحيث أصبحت من أهم المدن التاريخية ذات الأعراق المتعددة، فقد سكنها الى جانب الكُرد التركمانُ والآشوريون والكلدان والعرب واليهود والأرمن والصابئة واليزيديون وآخرون[٤٠ب]...

إن العراقة التاريخية التي تمثلها كركوك منعكسة إيجابياً على الفرد والمجتمع فيها حيث يؤكد كل ذلك على طريقة اصالة وجوده ويثبت لنا حقيقة الأهمية الكبرى للموقع الجغرافي الستراتيجي ودوره

(٣٧) المصدر نفسه، ص ٢٦.
(٣٨) المصدر نفسه.
(٣٩) المصدر نفسه، ص ٥٤.
(٤٠أ) صوت الشعب - ملحق دەنگی میللەت (العربي)، العدد (٤٠).
(٤٠ب) كركوك دراسة سياسية وإجتماعية، وريا جاف، ص ٣٠.

في إيجاد هذا التنوع والتعدد القومي الذي ينتج تعددية ثقافية على أساس أصيل ومنتم للأرض والإنسان. حين تؤكد المصادر على ثبات إسم كركوك الذي تنازع مع (كرخينى، كرخاني، كركيني وكركورا)[٤١] تنازع البقاء، فإنها تؤكد إنتصار إسمها كركوك بعد القرن السابع الهجري أي في عهد السلاجقة التركمان المنتمين الى أرض كُردستان وأهلها...

٢- أصالة التنوع الإثني في كركوك

يمكن استنتاج عدد من الأسس التي تعبر بدقة عن وجود التنوع الإثني الأصيل في مدينة كركوك والذي بدوره أنتج إمتزاجاً نوعياً في التركيب الإجتماعي والحضاري تاريخياً. وبما أن الإثنيات كمصطلح يطلق على المجموعات البشرية التي تمتلك خصوصيات ثقافية لغوية وعرقية وعادات وتقاليد موروثة، إلا أنها تمتاز بمحدودية القواسم المشركة التي تتمفصل مع العموميات وتتطور معها لتصبح الأساس الطبيعي لنشوء القوميات كواقع تأريخي وظاهرة إجتماعية. وأهم الأسس لنشوء هذا التنوع:

١- إنفراد مدينة كركوك كمركز جذب للهجرات البشرية وبسبب موقعها الجغرافي الستراتيجي (المهم) وتمتعها بمواصفات إستثنائية بوضعها الإقتصادي.

أ- وفرة المراعي والزراعة (أراضي صالحة أي تربة خصبة ووفرة المياه وطرق مواصلات ومناخ مناسب لذلك).

ب- مركزها الحضاري التأريخي كنقطة إلتقاء للقبائل النازلة من الجبال والصاعدة من الصحارى والوهاد.

جـ- كونها مركزاً تجارياً وسوقاً مشتركة لعدد من الإمبراطوريات ثم الإمارات المتقاربة جغرافياً.

د- شكلت مركزاً لصراع متعدد الأطراف بين الإمبراطوريات المجاورة.

٢- تعدد أدوار السيادة التأريخية للحكم وأنواعه في المدينة المحاددة للإمبراطوريات (الآشورية، البابلية، غزو الإسكندر، الساسانية، الصفوية ثم العثمانية) مع الوجود الأصيل للسكان الميديين (الكُرد).

٣- الجفاف وإنهيار أسس الحضارات القديمة كنتاج للوهن الإقتصادي وبروز ظواهر الإستبداد والظلم الإجتماعي وهي دوافع أساسية للهجرات البشرية التي تبحث عن مواطيء قدم للإستقرار والعيش في ظروف أفضل.

٤- الآلية الداخلية للمجتمع الكركوكي والحاجة المستمرة لإعادة إنتاج النظام بشمولية ولأنّ القيم الثقافية والمفاهيم الأخلاقية والفنية -الجمالية ليست ظواهر مستقلة عن إحتياجات إعادة إنتاج النظام بشمولية[٤٢]. ولأن العلاقات القائمة ليست أبدية بل ظواهر تأريخية من نتاج البشر)[٤٣]،

(٤١) العراق الشمالي، ص٢١٤.
(٤٢) مواجهة أزمة عصرنا للدكتور سمير امين، ص١٩٣.
(٤٣) المصدر نفسه،ص ١٩٣.

فإن نقد الإستلاب كرؤية مجتمعية ترفض الأمر الواقع وتطرح مشروعاً بديلاً أوجد أسس التفاعل بين مكونات المجتمع فأنتج:

أ- التعددية الإثنية (القومية).

ب- تكريس أصالة الوجود.

ويمكن تحديد تعريفات دقيقة لما ورد من إصطلاحات تخص الموضوع:

١- **التعدد الإثني (القومي)**: يتمثل بالتمايز الثقافي وخصوصيات القواسم المشتركة المكونة للقومية واللغة المختلفة وكذلك تعدد الموجودات القومية المختلفة التي تتشكل منها التعددية الإثنية القومية.

٢- **أصالة الوجود**: يعبر عن تاريخية النشوء والتطور للظواهر الإجتماعية الحقيقية بأدوارها المختلفة للبلوغ وإرتباطاتها بموطن الصميم بغضّ النظر عن حجم وأعداد هذا الوجود، بل الحذر التأريخي وخصوصيته.

٣- **التعددية الثقافية**: تعبر عن إختلاط وتمايز للمنطلق الفكري للمجموعات البشرية كل مجموعة حسب قواسمها المشتركة مع الآخرين في هذا النشوء والتطور التأريخي وبفعالية.

٣- الدين والسياسة في حاضرة المدن كركوك

تؤكد مصادر بحثنا على أن نار باباگرگر الشهيرة والمتقدة منذ ٥٥٠ ق.م كانت مركزاً لعبدتها – المجوس[٤٤] وغيرهم فكانت تحفل بزيارات الملوك وقادة المجوس، وكانت محط أنظار المتبركين والمتبركات، فمعتقدات النساء في زياراتهن لـ(باباگرگر) وطلبهن لمولود ذكر كانت تحظى بقدسية خاصة لديهن. دخل سكان كركوك الدين المسيحي بيسر ولاقى التدين مكانه في نفوسهم دون عقبات تذكر وكذلك كان دخولهم في الدين الإسلامي.

إن حماس أهالي كركوك جعلهم في الميدان السياسي من ذوي الأدوار الرئيسية في حياة المجتمع الكُردستاني بشكل خاص، لذا تجدهم متأثرين بكل ما يصيب بلدهم من مآس وويلات. وقد بدأت حملات الأنفال السيئة الصيت بكركوك وقراها لذلك تراهم مندفعين في صراع لخدمة قضاياهم المصيرية والمشتركة بلا تردد فهم أبناء مدينة التبغ والنرجس والنفط والزيتون، التي ساهمت في صناعة التاريخ الحديث بثبات ولهم الأدوار المتقدمة في ذلك.

٤- الأدب والثقافة في كركوك

مثلما تعرضت معظم أجزاء كُردستان الى الحروب والدمار بسبب موقعها الجغرافي الستراتيجي تعرضت كركوك لكوارث الحروب والدمار وإنعكس ذلك في الأدب والثقافة حيث بقي معظمهما من

(٤٤) العراق الشمالي، ص ١٥٣.

أساطير وحكايات وشعر وآداب أخرى شفاهياً تقريباً بسبب ضعف حالة الإستقرار والأمن لأمد طويل، وهي الشروط الحيوية للتدوين. ويمكننا أن نعرض نموذجاً يعكس الحالة الثقافية الأدبية في فترة زمنية محددة هي الستينات، التي أخذ فيها الأدباء والشعراء دور الريادة بحكم الإستمرار النسبي، وللدور الجماهيري لأهالي كركوك في ثورة ١٤ تموز المجيدة ١٩٥٨ هذا الدور الذي إنعكس فيه التنوع والتعددية الثقافية الرائدة المتمثلة به (جماعة كركوك الأدبية) وكان الإبداع الفني والأدبي مؤثراً في الشارع وفي المقاهي والنوادي وشكل إنطباعاً إنسانياً عالياً.

٥- الأدباء والمثقفون الستينيون "جماعة كركوك الأدبية نموذجاً"

(الستينيون) تشكلت كجماعة أدبية في ١٩٥٩ وإمتازت جماعة كركوك الأدبية بالنشاط والإبداع في مجالات الأدب العضوي، أي الأدب الذي يدافع عن قضايا الإنسان وهمومه. وإهتمت الجماعة بدراسة الآداب العالمية وعرضت لها نقشاً وترجمة ونقداً في معارك أدبية على صفحات المجلات والجرائد التي كانت تصدر في العراق وكُردستان وفي خارج البلاد. كان لهؤلاء حلقات من المثقفين في المقاهي وكنتيجة للنشاط الثقافي والأدبي المتميزين فقد أُنشيء في الخمسينات عدد من المكتبات[٤٥] وصدر عدد من الصحف وتسابقت مدارس كركوك في مجالات القصة والمسرح والشعر وإجتمع الأدباء والفنانون في حلقات أدبية وثقافية. وشرعت جماعة كركوك الأدبية تناقش أشعار حسين مردان وقصص يوسف الحيدري، وكانت المكتبة العصرية تبيع كل ما يصدر في بغداد وبيروت وإستنبول ودمشق. وقد صدرت في كركوك مجلة (الثقافة الجديدة) وكانت أصداء المعارك الثقافية والأدبية تروى على صفحات هذه المجلات، وكان الأدباء يتناقشون في أمور النشر والكتابة... إلاّ أن هجوم الأوباش الذين تسللوا الى سدة الحكم في ١٩٦٣ ودور شركة نفط العراق IPC التخريبي التي ناصبت الثقافة والتعددية الثقافية والمثقفين العداء، إنقض هذا الهجوم على الثقافة وروادها «إذ بعد قيام الإنقلاب في شباط عام ١٩٦٣ أُلقي القبض على عدد من الأدباء والمثقفين من أبناء كركوك نذكر منهم أنور الغساني وجليل القيسي ومؤيد الراوي ولم يطلق سراحهم إلاّ بعد فشل الإنقلاب. وقد إلتحق في صفوف الثورة الكُردستانية حينها الأديب صلاح فايق». ولم يبق حتى عام ١٩٩٢ من جماعة كركوك الأدبية سوى جليل القيسي في كركوك ومحي الدين زنگنه في بعقوبة. لقد وجدنا من الضروري ذكر أسماء بعض الأدباء في مدينة كركوك مثل فضولي وهجري دەده وشيخ رضا الطالباني فإننا سنأتي على وضع عينة من شعراء وأدباء الستينات فيها بتنوعهم القومي وإشتراكهم كرواد لهذه الجماعة منهم: جان دمو، سركون بولص، الأب يوسف، آرام خاچكيان، قحطان الهرمزي، وحيدالدين بهاءالدين، عزالدين عبدي، صلاح يونس، عبدالمجيد لطفي، يوسف الحيدري، زهدي الداودي، عثمان خوشناو، جليل القيسي، فاضل العزاوي، سليم مطر، محي الدين زنگنه، سعاد الهرمزي، نهاد نجيب آوچي، عبدالرحمن قزلاي، أيدن كركوك، مولود طه قياچي، محمد مهدي خليل.

(٤٥) ملحق دەنگی میللەت (صوت الشعب) باللغة العربية، العدد (٤٠).

٦- التركمان والتعددية الثقافية

يتمركز التركمان من أبناء كركوك في وسط المدينة ولهم تأريخ نضالي مجيد، والتركمان قومية مستقلة نشأت في كركوك وكُردستان منذ أمد بعيد حيث يؤكد التاريخ عراقتها وتشير المصادر الى وجودها في كركوك منذ عصور قديمة هذا إذا لم نتحدث عن أولى الموجات البشرية القادمة من آسيا (التي إمتدت الى إيران ومنها الى كُردستان بعد أن عبرت جبال زاگروس وذلك في ٨٠٠ ق.م وإنتشارها على ضفاف دجلة والفرات في ميديا). فهم إذنْ ليسوا من الأقوام الطارئة لأنهم موجودون في كُردستان والعراق قبل وجود العرب الذين شكلوا ثقلاً بعد الفتح الإسلامي للعراق في زمن الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (ر.ض) ٢١ هـ. وتؤكد مصادر التاريخ أن التركمان الذين قدموا من أواسط آسيا لأسباب متعددة أهمها طغيان الأمراء بالرغم من عدم وجود دولة موحدة وقوية لهم مما يستدعي الحروب ثم يأتي الجفاف والوضع الإقتصادي بشكل عام. فكان التوجه لما بين النهرين وعبور جبال زاگروس وإيران والتوطن في موطن الخصب والنماء أهم الدوافع لمعظم الهجرات. وعلى مر العصور أصبحت أدوار التركمان التاريخية ذات أهمية إستثنائية حيث أدوا أدوار الحاكم والمحكوم معاً، وخصوصاً في العصور الإسلامية وكانت لهم دولهم السلجوقية (قره قوينلو، آق قوينلو) ثم الأتابكية. وقد إنقطعت هذه الهجرات في عهد الدولة العثمانية. ويجب أن نحصر فروقاً بين الترك والتركمان منها:

١- التركمان قومية ذات شخصية مستقلة ومن عرق ترك أواسط آسيا.

٢- النسبة الأكبر من أبناء التركمان هم من المسلمين الشيعة.

٣- التركمان ليسوا أتراك الأناضول ولم يأتوا في زمن الدولة العثمانية، بل أنهم تعرضوا فيها الى ما تعرضت له القوميات الأخرى في العراق وكُردستان من تمييز وظلم وسيقوا عنوة الى الحروب.

٤- إختلط بهم الأتراك العثمانيون كما إختلطوا مع بقية الأقوام وقد إنسحب الترك العثمانيون بعد أن إحتل الإنگليز البلاد وتركوا الدولة العراقية التي ضُم إليها جنوب كُردستان (ولاية الموصل). وسمحت لهم الدولة والإستعمار بالعودة الى بلادهم تركيا وفق إتفاقية دولية، في حين أن التركمان هم من سكان البلاد الأصليين لم يأت الإستعمار أو الدولة العراقية الحديثة على ذكرهم. إننا نسمع ونقرأ هنا وهناك عن نزعات تعصبية وعدوانية تحاول المساس بالوجود القومي المستقل للتركمان فمن الطبيعي أن يكون لنا دور في تفنيد هذه الإدعاءات التي يمكن ذكر قسم منها لأهميته. فقد ورد تحت عنوان (المجتمع التركي في العراق) كراس للسيد زياد كوپرلو[٤٦] الذي يصور فيه التركمان جالية تركية وتابعة، وهذا الإدعاء عار عن الصحة، فالتركمان موجودون في كُردستان العراق قبل أن تكون هناك دولة في الأناضول وعلى السيد كوپرلو مراجعة التاريخ جيداً فالخلط بين الأتراك والتركمان تآمر يراد به إضعافهم وتحويلهم الى طابور خامس اتهموا به بعد سقوط حلف

(٤٦) الكيان التركي في العراق، أنقرة ١٩٩٦، ص٣.

بغداد وسبب العداء للتركمان كان شركة IPC في كركوك لأنهم ناصروا ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨.

أما الآخرون الذين نشروا على صفحات الجرائد وإشتركوا في عدم إعتبار التركمان شعباً وأنكروا تاريخهم وقال بأنهم أحفاد المرتزقة[٤٧] في جيوش الفتح الإسلامي، فهي أقوال مغرضة نابعة عن موقف عنصري، فلا أحد يمكنه أن ينكر التاريخ والشعوب ليست أفراداً يمكن معاداتهم والتخلي عنهم. فهل يُنكر ان الكويت شعب وقطر، وهل يساوي مجموعهم التركمان في كُردستان العراق! والمهجر؟ ثم أن التنكر لتاريخ شعب عانى مأساة حقيقية وتجرع الويلات وتنكرت له النظم السياسية في العراق كما تنكروا للشعب الكُردستاني عامة ولدور الكُرد في التاريخ. إن الأساس الطبيعي لهذا التنكر الجديد لا للتركمان وتاريخ التركمان وعراقة وأصالة الشعب التركماني بإعتباره من المكونات الأساسية للشعب الكُردستاني في إقليم كُردستان الفدرالي فحسب، بل هو عداء للشعب الكُردستاني نابع من تخلف وعنصرية بحتة.

٧- نتائج بحث كركوك

تعرضت مدينة كركوك وتوابعها الى أعنف الهجمات التاريخية منذ هجوم المغول. حيث تم تقطيع أوصالها وتوزيع توابعها على المحافظات المجاورة لأغراض معروفة، فلم يبق من كركوك التي كانت سنجقات، ثم أيالة تتبعها أربيل والسليمانية حتى الحدود ورواندوز التي كانت تابعة لها أصبحت الآن حتى أقرب التوابع لها مثل طوزخورماتو مقتطعة منها وتتبع إدارياً محافظة جديدة هي محافظة تكريت (صلاح الدين). إن غرض هذه التقسيمات الإدارية هو إنهاء العمق البشري الجغرافي لمدينة كركوك وتعريبها كما هو جار الآن،فهو تأكيد لحقائق تأريخية هامة تمتد لعصور وهي ان الموقع الجغرافي الهام لمدينة كركوك جعلها مركزاً حضارياً يجتذب الموجات البشرية ومحط أطماع الغزاة والدول والإمبراطوريات. كما أن إمكانياتها الزراعية وثرواتها وطبيعي مناخها وسهولها ومراعيها ووفرة المياه فيها ساهمت مساهمة أساسية في زيادة أهمية المدينة وتحول موقعها الجغرافي الى هدف للجيوش والحملات وموجات الهجرة البشرية، ومن الطبيعي أن يجعل منها وفيها تنوع إثني وقومي ولقدم هذا التنوع تعود الأهمية. ومالبث أن تحولت كركوك لهدف ستراتيجي جديد ولذلك تتعرض لحملات التعريب والترحيل والتقسيم الإداري، فإنها ذات الأسباب يضاف إليها إكتشاف النفط الذي يشكل المقتل الحقيقي لها، حيث انها تقع على أكبر عرق نفطي في العام إكتشف قبيل نهاية الحرب العالمية الأولى. وهنا يأتي دور الوعي الثقافي والسياسي لشبابها وأبنائها وعائديتها التأريخية كجزء لايتجزأ من إقليم كُردستان العراق. ولتدعيم تطور الحركة السياسة وثبات أقدام المفاوض الكُردستاني لمنع سلخها من هويتها الكُردستانية ولأحقية أهالي كركوك بإنتمائهم الأصيل لكُردستان التي تعايش أهلوها على مر العصور في تنوع قومي وإثني بروح التسامح والتعاضد والولاء للوطن الكُردستاني. هذا التعايش الذي لم يختاروه بل كان أساس حياتهم على مر العصور

(٤٧) تەكانى رزگاري، العددان (١٧ و١٨)، أواسط كانون الأول ٢٠٠٠.

والأزمان. وهكذا فإننا نرى ما تتعرض له كركوك اليوم في عام ٢٠٠٠، أي بعد مرور ٧٥ عاماً على تأسيس (شركة النفط التركية المحدودة)- التي لعبت دوراً خطيراً في حياة الكركوكيين - وتصاعد النزعة القومية العنصرية التي بدأ تأثيرها الواضح منذ وزارة ياسين الهاشمي في الدولة العراقية الى يومنا هذا. وبموجب ذلك أُلغيت الكثير من الحقوق القومية القانونية وتحولت المشاريع الصناعية والزراعية الى أدوات للهجوم الشوفيني وقد تمثل بـ:

١- نشاط شركة نفط العراق IPC وإتباعها سياسة فرق تسد الإستعمارية حيث كانت تستقدم العمال والموظفين من خارج المحافظة وتُسكنهم فيها لمعادلة سكان كركوك.

٢- مشروع الحويجة الزراعي الذي شكل بداية عملية لسياسة التعريب.

٣- الهجرة التلقائية بسبب النمو الإقتصادي الذي نتج عن نشاط شركة IPC وأخذ يخلّ بالموازين الديموغرافية والإغراء المادي في النشاط الإقتصادي والتجاري العالي في المدينة دون سائر المدن الأخرى في العراق.

٤- النزوح إليها بسبب التشجيع والحروب والسبب السياسي المؤثر المتمثل في الضغوط التي كانت تواجهها الملكية العراقية من قبل تركيا ومطالبتها بلوائي الموصل وكركوك.

أ- كركوك في العهد الملكي

دبت الحياة في كركوك من جديد بعد نهاية الحرب العالمية الأولى مع بدء إنتاج النفط بشكل تجاري منها فجذبت إليها الأيدي العاملة وبدأ النشاط الزراعي وكذلك التجاري بالتطور وأخذت المشاريع العمرانية والزراعية تتطور شيئاً فشيئاً. ساهمت كركوك بأول وزارة في الحكومة العراقية (عزت پاشا كركوكي) التي تعهدت بموجبها أن العراق بعد قبوله عضواً في عصبة الأمم يتعهد بتنفيذ المادة الخامسة من قانون اللغات والمادة التاسعة في اللائحة[٤٨] التي مصدرها عبدالرزاق الحسني ص ٦ (العراق في دوري الإحتلال والإنتداب) حول التأليف الوزاري في ١٠ أيلول ١٩٢١.

ب- كركوك في العهد الجمهوري

بدأت كركوك تستعيد أنفاسها وتنتعش رغم أنها كانت منهكة وأخذت تنمو من جديد، إلاّ أن الإستعمار وأحابيل شركة النفط IPC وعملائها وبقايا أيتام الملكية والإقطاع الذي تأثر نفوذه بسبب إنتصار ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ومشاركة الشعب فيها، كلها هيأت الأجواء اللازمة لإفتعال المشاكل والفتن في الذكرى الأولى لتأسيس الجمهورية عام ١٩٥٩. إسترخت بعدها كركوك لتجر أنفاسها من جديد، ولكن يدم لها ذلك طويلاً حيث وُئِدت الثورة في عام ١٩٦٣ ووقعت المجازر وإستمرت الفتن. شارك أهالي كركوك في الثورات والإنتفاضات. وفي العهدين العارفيين الأول الذي إنقضى سريعاً، أما الثاني فقد حاولوا فيه من جديد إستعادة نشاطهم. وقد طرحت في الزمن العارفي الثاني

(٤٨) العراق في دوري الإحتلال والإنتداب، عبدالرزاق الحسني، ص٦.

اللامركزية وجرت عدة محاولات ومفاوضات لغرض إستتباب الأمن والسلام، إلاّ أنها إنتهت بنهاية العهد العارفي الثاني وحدوث إنقلاب ١٩٦٨، حيث تم توزيع أشلاء محافظة كركوك وتقسيمها جغرافياً وإدارياً وإلحاقها بمحافظات أخرى مثلاً (أنظر الملحق رقم (٤) حدود كركوك التاريخية):

أ- تم إلحاق قضاء كفري بمحافظة ديالى.

ب- وإلحاق قضاء طوزخورماتو بمحافظة تكريت (صلاح الدين).

ج- وإلحاق آلتون كوپري بمحافظة أربيل.

د- وإلحاق قضاء چمچمال بمحافظة السليمانية.

كما تم تغيير إسم كركوك الى (التأميم) ولم يبق من إسم كركوك سوى مركز المدينة وضواحيها وذلك لإلغاء الوجود التعددي القومي بكامله فيها، كما تم تغيير أسماء كافة الأحياء والشوارع والمدارس.

وجرى تهديم القلعة التاريخية التي كانت تمثل تاريخ كركوك ووجودها، فقد كانت الشخصية المعنوية للمدينة كلها. وجرى الترحيل القسري لسكان كركوك وإقتلاعهم من جذورهم.

٨- العشائر في كركوك

أما بخصوص العشائر التي سكنت منذ القدم مدينة كركوك ومنطقتها (گرميان)، فسنعرض نموذجاً شاملاً منها تعايشت الى جانبها أعراق وطوائف مختلفة، فالى جانب المسلمين نجد المسيحيين والى جانبهم اليهود والأرمن والصابئة كذلك تجد الكُرد (الكاكائيين واليزيديين) وما الى ذلك من تعددية متعايشة بتسامح وتضامن إجتماعي مقاوم للإقتلاع ومناهض للعنصرية. فنجد في هذا النموذج صواب ما ذهبنا اليه.

العشائر التركمانية:

١- علمدار ٢- علاف ٣- آوچي ٤- أرسلان ٥- قەرەباش ٦- چقماقچي ٧- دەباغ ٨- دەمرچي ٩- خفاف ١٠- هرمزلي ١١- قازانچي ١٢- أوتراقچي ١٣- نفتچي ١٤- صاري كهيه ١٥- پاسوان ١٦- صالحي ١٧- ترزي باش ١٨- قصابلر ١٩- سامانچي.

العشائر الكُردية:

١- هماوەند ٢- الجاف ٣- الداوده ٤- الطالباني ٥- الجباري ٦- گل ٧- الكردي ٨- زنگنه ٩- الحيدري ١٠- الشيخان ١١- برزنجه ١٢- صالەيي ١٣- خوشناو ١٤- الوندي ١٥- مفتي ١٦-شوان ١٧- النقشبندي.

* هذا بالإضافة الى الكاكائية وهم طائفة دينية وليسوا عشيرة وكذلك اليزيدية.

الآشوريون:

وأكثرهم من عشائر تياري وباز وجيلو وشمدينان.

٩- القبائل التركمانية

تتعرض كركوك لأبشع عملية تشويه وتخريب بهدف تعريبها وإلغاء طابعها الكُردستاني الأصيل فهي (حاضرة المدن) الكُردستانية تاريخياً إمتازت بطابع التنوع الإثني القومي الذي ولّد تعددية ثقافية أصيلة، ولبيان هذه الأصالة إخترنا القومية التركمانية نموذجاً لإبراز هذه التعددية وعرض بعض مميزاتها تأريخياً.

فالتركمان قومية تتشكل من عدد من القبائل التي تتفرع الى عشائر وأفخاذ وبطون، وقد أورد الكشغري[٤٩] أنها تتكون من ٢٢ قبيلة وقد أوردها الباحث شاكر صابر الضابط* رحمه اللّه على النحو التالي:

١- قنق ٢- قيغ ٣- بايندر ٤- راقا ٥- سلغر ٦- بلكتلي ٧- يزغز ٨- قرابلك ٩- القابلك ١٠- أكدر ١١- اركر ١٢- توترقار ١٣- اولايندلع ١٤- توكر ١٥- بجنك ١٦- جولدر ١٧- جبني ١٨- جرقلغ ١٩- افشار ٢٠- بكدز (بيات) ٢١- آيمر ٢٢- يُركر.

ملحق رقم ١

١- إن أوغوز طائفة من التركمان وهم التركمان وينقسمون الى خمسين [٥٠] قبيلة لكل قبيلة علامة وختم يختمون بها أموالهم وحيواناتهم. وهذه القبائل التركمانية صنف من الترك خرجوا من بلاد تركستان فجاءوا الى خراسان قديماً. والرحَّل منهم أصحاب مواش يرتحلون تارة الى المصيف وأخرى الى المشتى وقد إندمج فيهم كثير من طائفة الغز فأطلق عليهم (التركمان).

(هذا هو شكل ختم قبيلة البيات الذي رسمه الكشغري)

٢- إن التركمان الذين نزحوا في عهد الدولة البويهية إتخذوا المناطق والمدن الستراتيجية وطناً لسكانهم مثل كركوك وأربيل وغيرها.

٣- توافق الحكومة العراقية على أن تكون اللغة الرسمية في الأقضية التي يسود فيها العنصر الكُردي في ألوية الموصل وأربيل وكركوك والسليمانية بجانب اللغة العربية أما في قضائي كفري

(٤٩) موجز تأريخ التركمان في العراق الصادر في بغداد ١٩٦٠، الكاتب شاكر صابر الضابط، ص٥٧.
(٥٠) المصدر نفسه، ص٥٧.

وكركوك من لواء كركوك حيث قسم كبير من السكان هم من العنصر التركماني فاللغة الرسمية بجانب اللغة العربية أما أن تكون الكُردية أو التركمانية...[٥١].

٤- إستمرار التدريس باللغة التركمانية حتى عام ١٩٣٠ - ١٩٣١ في كركوك والغاؤها نهائياً في ١٩٣٧ في وزارة ياسين الهاشمي.

٥- هكذا هي الحال في كركوك كما يصف كاتب عراقي الحال في عموم العراق (يمكن أن يكون العراق الحالة الفريدة التي يجتمع فيها الفقر والنفط)[٥٢].

٦- عندما أعدم النظام قادة التركمان في ١٩٨٠/١/١٦ تذرع وزير الخارجية التركي قائلاً (إن القانون الدولي يمنع تدخل احدى الدول في تنفيذ قانون العقوبات في دولة أخرى) وزير الخارجية التركي هايرنتين اركمن لـ(BBC. Sweden) المصدر تركيا والشرق الأوسط فيليب روبنس ١٩٩٣.

ملحق رقم ٢

ورد في موجز تاريخ التركمان في العراق[٥٣] الجزء الأول منه (وهو من تأليف الباحث شاكر صابر الضابط وتقديم مصطفى جواد) الأسماء التالية:

١- الوزير عبيدالله بن يحيى بن خاقان التركماني.

٢- الأمير صول بن عبدالله ملك جرجان بإيران حيث يقول الباحث (لما وطيء القائد الإسلامي يزيد بن المهلب الأزدي مملكته عام ٨٩هـ وعرض عليه الإسلام أسلم وأيدهم وصار من إتباعهم.

٣- إبراهيم الصولي- شاعر.

٤- الفتح بين خاقان وهو جليس المتوكل ونديمه قُتل مع المتوكل حين ألقى بنفسه عليه ليحميه.

٥- مجيرالدين أبو سعيد طاشكين المستنجد أمير الحج للمسلمين من كافة الأقطار لمدة أربعين عاماً.

٦- بكبرس بن ينقليج أبو الفضائل وأبو شجاع الحنفي الملقب بنجم الدين التركي الأصل الناصري (نسبة الى أنه مولى الامام الناصر لدين اللّه العباسي) وله مختصر في الفقة على مذهب أبي حنيفة كان إسمه من كوبرس فسمي بكبرس توفي أوائل ربيع الأول ٦٥٢هـ.

وقد كتب العلامة مصطفى جواد يقول: «ذكر الفوطي ان نجم الدين كان يعرف بشيخ الزهاد الأتراك وعليه درس الفقه الأمير عماد الدين طغرل المستعصمي». كما يقول «ولما هاجم هولاكو العراق أوائل سنة ٦٥٦ إتفق العرب والكُرد والتركمان على الحرب للدفاع عن العراق وخصوصاً بغداد وقد قتل عدد كبير منهم وعدد كثير من القواد والأمراء التركمانو الأفراد المتطوعين».

هكذا ورد في مقدمة العلامة الدكتور مصطفى جواد في كتاب موجز تاريخ التركمان في العراق. ومن الأمراء التركمان الذين قتلوا على يد هولاكو في واقعة بغداد:

(٥١) العراق في دوري الإحتلال والإنتداب، عبدالرزاق الحسني، ص٢٥٠.
(٥٢) العراق دولة المنظمة السرية، حسن العلوي، ص١١٤.
(٥٣) موجز التاريخ التركمان في العراق، شاكر صابر الضابط، ١٩٦٠، ص ١٧ - ١٨ - ١٩.

١- فلك الدين محمد بن الطيبرس الظاهري.
٢- الأمير شهاب الدين سليمان بن محمود بن برجم أمير التركمان الأيواقية الذين طحنوا جيش خوارزم شاه سنة ٦١٤هـ.
٣- الأمير فلك الدين محمد بن أمير قيران الظاهري حاكم بغداد العسكري حينها.
٤- الأمير بلباس المستنصري.
٥- الأمير مظفر الدين محمد بن الأمير جمال الدين قشتمر الناصري.
٦- الأمير عماد الدين أبو نصر آي تغدي بن عبدالله الناصري.
٧- الأمير عماد الدين أبو الفوارس طغرين عبدالله المستعصمي المعروف بالبقچدار.
٨- الأمير فخرالدين أبو منصور الطون ايه بن عبدالله المستنصري المعروف بالكرزدار.
٩- فلك الدين أبو الفضل منكوبرس بن عبدالله المستنصري، قتل سنة ٦٥٦هـ على يد هولاكو مع من سبقوه.

ملحق رقم (٣)

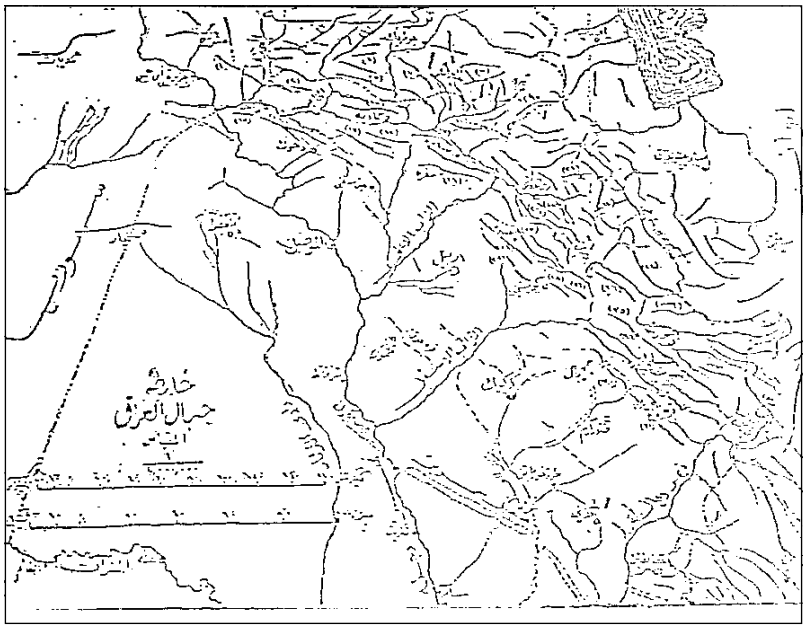

جبال القدمة الشمالية

١- شرناخ داغ ٢٠٠٠م
٢- گويان ٢٠٠٠م
٣- تقي جابلو ؟
٤- دريانو داغ ؟
٥- إفراز داغ ٢٠٠٠م
٦- ماوان سيه ٢٥٠٠م
٧- آلتون داغ ؟
٨- سرساني داغ ٤٢٠٠م
٩- رشك روان ٢٢٠٠م
١٠- جبل متينة ٢٠٩٠م
١١- شيرين داغ ١٩٠٠م

جبال القدمة الجنوبية

١- جبل گاره ١٢١٩م
٢- جبل چاره كو ١٦٠٠م
٣- جبل أبيض ١٢٠٠م
٤- جبل بيخير ١٣٥٢م
٥- جبل تانغ دريا ١٢٨٠م
٦- جبل پيرس ١٩٥٠م
٧- جبل برات ١٦٢٠م
٨- جبل عقرة ٢٠٠٠م

جبل برادوست ٢٠٧٠م

ملحق رقم (٤)

المصدر: مديرية الآثار العامة، أطلس العراق للمواقع الأثرية، للطباعة، بغداد ١٩٧٦.

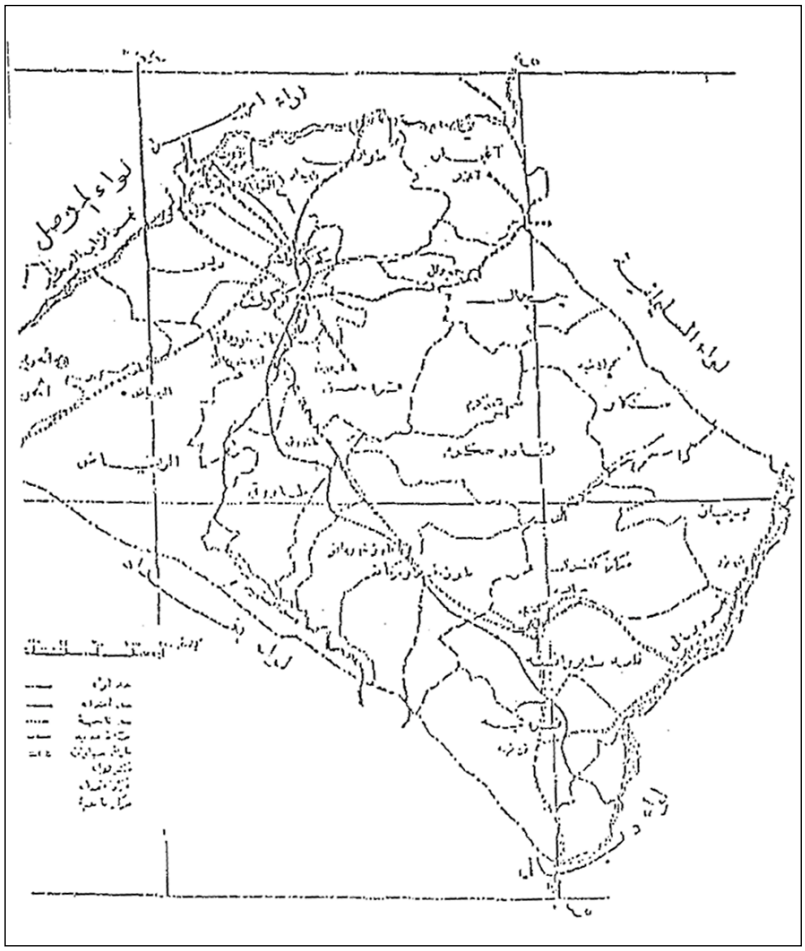

ملحق رقم (٥)

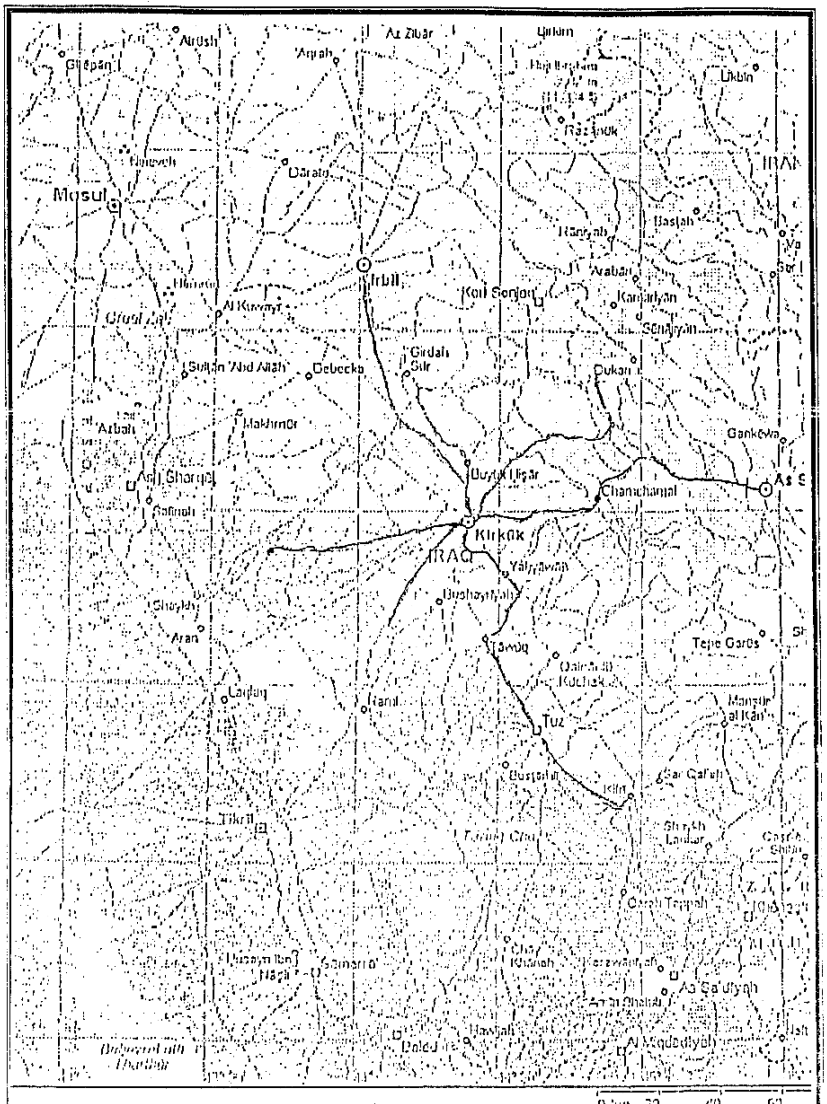

Iraq- kurdstan-kirkuk

المصادر

١- مشكلة الموصل، دار البيان ١٩٦٧ بغداد.(رسالة دكتورا قدمها المؤلف الى جامعة أنديانا في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٢).

٢- التاريخ السياسي لتركمان العراق، عزيز قاد، دار الساقي ١٩٩٩.

٣- تركيا واسرائيل (ملفات تركية)، يوسف إبراهيم الجهماني، ١٩٩٩.

٤- تاريخ مشاهير الألوية العراقية، عبدالمجيد فهمي، مطبعة الزمان ١٩٤٦، الجزء الأول.

٥- حضارة وادي الرافدين ١٩٨٠ الدكتور أحمد سوسه.

٦- القضية الكُردية في العشرينات الدكتور عزيز الحاج.

٧- العراق في دوري الإحتلال والإنتداب - الجزء الثاني السيد عبدالرزاق الحسني ١٩٣٨.

٨- بلاد مابين النهرين بين ولائين ١٩٩٢ الجزءان ٢ و٣، سر آرنولد ويلسن، ترجمة فؤاد جميل.

٩- كُردستان مستعمرة دولية ١٩٩٠، اسماعيل بيشكجي، ترجمة زهير عبدالملك.

١٠- موجز تاريخ التركمان العراق، للباحث شاكر صابر الضابط، ١٩٦٠.

١١- كركوك دراسة سياسية إجتماعية، وريا الجاف ١٩٩٧.

١٢- في مواجهة أزمة عصرنا، للدكتور سمير أمين ١٩٩٧.

١٣- العراق دولة المنظمة السرية...، حسن العلوي ١٩٩٠.

١٤- العراق الشمالي، محمد هادي الدفتر، عبدالله حسن، ١٩٥٥.

١٥- مفصل جغرافياً العراق الشمالي... طه الهاشمي ١٩٣٠.

١٦- تركيا والشرق الأوسط، فيليب روبنس، ١٩٩٣.

أثر نفط كركوك على ترحيل الكُرد من كركوك وتعريبها

البروفيسور الدكتور آزاد نقشبندي

مقدمة:

الهدف الرئيس من هذا البحث هو بلورة دور نفط كركرك وتأثيره على ترحيل كُرد محافظة كركوك وتعريبها. تكمن أهمية البحث في أن كركوك هي إحدى محافظات كُردستان العراق، ومنذ بداية تأسيس الدولة العراقية بعد الحرب العالمية الأولى ١٩٢١، لعب پترول كركوك دوراً فاعلاً في تقرير مصير كُردستان الجنوبية وإلحاقها بالدولة العراقية الحديثة التشكيل[١]. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن لمسألة ترحيل الكُرد عن كركوك وتعريبها أهمية كبيرة، لا لأنها غيرّتْ من طبيعة سكان هذه المنطقة أو المحافظة فحسب، بل لأنها كانت ومازالت احدى العقبات المهمة التي تعترض طريق حل القضية الكُردية في كُردستان العراق.

ولأجل تحقيق البحث لأهدافه ارتأينا توزيعه على محاور، هي:

أولاً – نبذة عن التاريخ الإداري لكركوك.

ثانياً – كُردستانية كركوك.

ثالثاً – نفط كركوك وأهميته.

رابعاً – ترحيل الكُرد من محافظة كركوك وتعريبها.

خامساً – نتائج ترحيل الكُرد من كركوك، وتعريبها.

وفي الختام ننهي البحث بأهم نتائجه.

أولاً – نبذة عن التاريخ الإداري لكركوك

يذكر المؤرخون عن منطقة كركوك ما يلي: «إن منطقة كركوك تضم الأماكن الواقعة بين جبل زاگروس، ونهري الزاب الصغير ودجلة، وسلسلة جبل حمرين، ونهر سيروان – ديالى» وهي نفس المنطقة المعروفة في عهد الساسانيين، بـ(گرمكان) Garmakan أي البلاد الحارة.

أما الانسكلوبيديا الإسلامية فقد أشارت الى الحدود الجغرافية لمنطقة كركوك، كما يلي:

(١) لزيادة المعلومات حول هذا الموضوع أنظر: الحزب الديمقراطي الكُردستاني، المكتب السياسي، المكتب المركزي للدراسات والبحوث، نفط كُردستان العراق، النفط والمصير السياسي للكُرد وكُردستان، القسم الثاني، الدراسة رقم (٣٢)، أربيل ١٩٩٨.

«نهر الزاب من الشمال الغربي، جبل حمرين من الجنوب الغربي، نهر ديالى من الجنوب الشرقي، وجبل زاگروس من الشمال الشرقي»[٢].

أمّا ما يخص الوضع الإداري لكركوك، فتذكر الأنسكلوپيديا الإسلامية قائلة:

«كانت كركوك في القرن الثامن عشر مركزاً لأيالة شهرزور التي كانت تضم الوية كركوك، وأربيل، والسليمانية. ثم أُطلق إسم شهرزور على سنجق كركوك، وأضيف اليه لواء كركوك وأُلحق به في وقت تم فيه فصل شهرزور نفسه (السليمانية) عن هذا السنجق الجديد، في عام ١٨٧٩ تشكلت ولاية الموصل، وبقيت كركوك أيضاً كمدينة عسكرية مهمة».

وتمضي الإنسكلوپيديا الإسلامية فتقول:

«تألفت ولاية الموصل العثمانية من ثلاثة سناجق أو ألوية، وهي كل من: الموصل، كركوك، والسليمانية. وفي عام ١٩١٨ إقتُطعت ثلاثة أقضية في شمال نهر الزاب الصغير من كركوك، وشُكلت منها لواء أربيل – هەولير»[٣].

وعن مدينة كركوك، كتب قاموس الأعلام:

«تقع مدينة كركوك في ولاية الموصل التابعة لكُردستان، وتبعد (١٦٠) كيلومتراً عن الجنوب الشرقي لمدينة الموصل، والمدينة (كركوك) هي مركز سنجق شهرزور»[٤].

بعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها، كانت كركوك تُدار إدارياً مباشرة من قبل الضباط السياسيين البريطانيين، ولم يكن القسم الأعظم من سكانها راضين لتتويج الأمير فيصل ملكاً على العراق. ولذلك لم تصبح كركوك جزءاً من الدولة العراقية الى أن قرر بعد ذلك (مجلس عصبة الأمم) في إجتماعه المرقم (٣٧) في جنيف بتاريخ ١٦ كانون الأول عام ١٩٢٤ إلحاق الأراضي الواقعة جنوب الخط المعروف بخط بروكسل الى الدولة العراقية الجديدة. وهكذا بعد تنفيذ هذا القرار في عام ١٩٢٥ صارت كركوك جزءاً من الدولة العراقية. وبعد إلحاق منطقة كركوك بالعراق من الناحية الإدارية، بقيت كركوك طوال فترة الحكم الملكي في العراق واحداً من الألوية العراقية الـ(١٤) التي تشكلت منها الدولة العراقية، وشملت الوحدات الإدارية التالية:

١– قضاء كركوك، وتألف من: ناحية مركز وقضاء كركوك، ناحية قره حسن (لَيلان). ناحية آلتون كوپري (پردي)، ناحية الحويجة، ناحية شوان (ريدار).

٢– قضاء كفري، وتألف من: ناحية مركز قضاء كفري، ناحية قرةتپة، ناحية شيروان، ناحية پيباز.

٣– قضاء طوزخورماتو، وتألف من: ناحية مركز قضاء طوزخورماتو، ناحية قادر كرم، ناحية داقوق.

٤– قضاء چمچمال، وتألف من: ناحية مركز قضاء چمچمال، ناحية آغجلر، ناحية سنگاو.

(٢) نوري الطالباني، منطقة كركوك ومحاولات تغيير واقعها القومي، لندن ١٩٩٥، ص٧.
(٣) نفس المصدر ص٨.
(٤) نفس المصدر ص٨.

ولهذا فإن كركوك وبموجب هذه التشكيلة التي تمت الإشارة إليها، كانت مساحتها تبلغ (٢٠٣٥٥) كيلومتراً مربعاً، ولها حدودها الإدارية مع ألوية: (أربيل، السليمانية، ديالى، بغداد، الموصل)، أنظر الخريطة رقم (١).

والحدود الإدارية هذه للواء كركوك في العهد الملكي هي نفس الحدود ذات العلاقة ببحثنا حول أثر نفط كركوك على ترحيل الكُرد منها وتعريبها.

ثانياً - كُردستان كركوك

ليس هناك شك من كُردستانية كركوك وكُردية لوائها أرضاً وشعباً تشير كافة الوثائق الجغرافية والتاريخية الى ذلك، وهنا سنتناول بعضها على سبيل المثال:

١- كتبت الإنسكلوپيديا الإسلامية عن منطقة كركوك قائلة:

«إن الحكام الحقيقيين لهذه المنطقة كانوا من رؤساء الكُرد القاطنين في منطقة أردلان، وإستطاعت السلطات العثمانية بعد ذلك وبالإعتماد على نشاطات الأمراء في شهرزور فرض سلطانها على هذه المدينة - مدينة كركوك».

٢- يتناول شمس الدين سامي العلامة والرحالة التركي المعروف، ومؤلف قاموس الأعلام التركي في الصفحة ٣٨٤٦ للمجلد الخامس مدينة كركوك، فيقول:

«كركوك هي احدى مدن كُردستان التابعة لولاية الموصل وثلاثة أرباع سكانها من الكُرد، والباقي من الترك والعرب واليهود والكلدان».

وفي موضع آخر من المجلد نفسه، وفي الصفحة ٣٨٤٠ عندما يتحدث عن الكُرد ووطنهم كُردستان ومدنهم، ويأتي الى ذكر إسم كركوك، فانه يصفها بأنها من أهم المدن الكُردستانية[٥].

٣- لقد كان توزيع نسبة سكان مدينة كركوك من الناحية القومية حسب إحصائية لجنة عصبة الأمم على الشكل التالي: الكُرد ٦٣٪، التركمان ١٩٪، العرب ١٨٪. كما وتؤكد الإحصائيات التابعة للحكومة العراقية هذه الحقيقة من أن النسبة العظمى لسكان مدينة كركوك كانت من الكُرد وكما يلي: الكُرد ٥٩,٩٪، التركمان ٢١٪، العرب ١٩,٥٪[٦].

خمّنت لجنة عصبة الأمم الخاصة بحل قضية أو مشكلة الموصل في عام ١٩٢٤ نسبة الكُرد في لواء كركوك بأكثر من ٤٢,٥٤٪، والعرب بأقل من ٣٢٪، ومعلوم أن نسبة الكُرد في لواء كركوك كانت أكثر مما ذهبت إليه عصبة الأمم، ونسبة العرب كانت أقل من تلك التخمينات، لأن نسبة السكان الكُرد في لواء كركوك بلغت حسب إحصاء عام ١٩٤٧، ٥٣٪ من مجموع سكان اللواء.

٤- الدليل السنوي للدولة العراقية الصادر عام ١٩٣٦ يتطرق في الصفحة (١٤٣) حول الدورة السادسة لإنتخابات مجلس الأمة في ٨ آب عام ١٩٣٥، يتطرق الى أسماء ممثلي الشعب الى

(٥) نفس المصدر ص٨.
(٦) نفس المصدر ص١٥.

المجلس في الألوية العراقية – الذي كان يأخذ بنظر الإعتبار في إنتحاب ممثل أي لواء الطابع القومي والديني والطائفي لسكانه – ودوّن ممثلي لواء كركوك والذين بلغ عددهم (٦) ممثلين منهم (٤) أربعة كُرد، وهم السادة: دارا بگ الداودي، داود الجاف، علي رضا العسكري، فائق الطالباني، وأمّا الممثلين الآخرين فكان أحدهما من العرب والآخر من التركمان[٧]. وهذه الحالة تكررت بعد ذلك في العديد من الدورات الإنتخابية لمجلس الأمة[٨].

٥- يؤكد العديد من الكتاب العرب كُردية (كُردستانية) المناطق النفطية في كركوك، وحَسْبُنا هنا الإشارة الى رأي كاتب قومي عربي وهو هلال ناجي المحامي، إذ يقول:

«المناطق التي يستخرج منها النفط في كركوك، جميعها مناطق كُردية، وما عدا القرى الكُردية وسكانها الكُرد لم يكن فيها غيرهم حتى عام ١٩٦٣ حينما قامت الحكومة العراقية بترحيل المواطنين الكُرد من قراهم على مرأىً من أنظار الرأي العام العالمي وأسكنت مكانهم العشائر العربية»[٩].

٦- يتفق الكتاب الأجانب والكُرد والقسم الأكبر من الكتاب العرب على أن مساحة لواء كركوك عامة جزء لايتجزأ من كُردستان، وذلك عند إشارتهم الى حدود كُردستان بشكل عام، أو حدود إقليم كُردستان العراق بشكل خاص[١٠].

٧- حسب تخمينات مفوضية التحقيق عن مشكلة الموصل الذي أجري عام ١٩٢٤، كانت نسبة الكُرد في لواء كركوك ٤٢,٥٪، ونسبة العرب ٣٢٪[١١]. وبلغت نسبة السكان الكُرد في لواء كركوك حسب إحصائية عام ١٩٤٧، ٥٢٪ ووفق كتاب (الإحصاء في العراق) الصادر عام ١٩٥٤ كانت نسبة سكان الكُرد في هذا اللواء ٥٣٪[١٢]. وإنخفضت هذه النسبة في إحصاء عام ١٩٥٧ الى ٤٨,٣٪. إضافة الى تطبيق عمليات التعريب والتلاعب في الإحصائيات، فقد كانت نسبة الكُرد في قضاء كركوك حسب إحصائية عام ١٩٦٥ أكثر من نسبة العرب والتركمان. (٣٤,٨٪ الكُرد، ٣٠,٦٪ العرب، ٢٤,٢٪ التركمان)[١٣].

(٧) أنظر: أ- هلكوت محمد كريم كركوك واصالة كُرديتها، جريدة الإتحاد العدد ٢٣ في ١٠ نيسان ١٩٩٣ ص١٠. ب- وريا جاف، كركوك دراسة سياسية وإجتماعية، وزارة الثقافة-أربيل ص٢٠.

(٨) ليلى نامق الجاف، كركوك؛ لمحات تاريخية، مطبعة خبات أربيل ١٩٩٢ ص٩.

(٩) هلكوت محمد كريم، المصدر السابق ١٩٩٣ ص١٠.

(١٠) انظر، وريا الجاف نفس المصدر ص١٦٥ - ١٦٧.

(١١) الدكتور نوري الطالباني، من أجل حوار عربي كُردي صريح، جريدة الإتحاد العدد ٣٣ حزيران ١٩٩٣ ص١٩ القسم الأول.

(١٢) أنظر: (أ) الدكتور آزاد النقشبندي حول تحديد حدود كُردستان، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢ السنة (٣) تموز ١٩٩٤. (ب) سليمان عبدالله اسماعيل، التحليل الجغرافي لخصائص الأمطار في إقليم كُردستان العراق، رسالة ماجستير قدمت الى مجلس كلية الآداب في جامعة صلاح الدين ١٩٩٤ ص١١-٢١.

(١٣) فاضل حسين، مشكلة الموصل، دراسة في الدبلوماسية العراقية الإنكليزية التركية وفي الرأي العام، بغداد ١٩٧٧، ص١٢٠.

٨- تشكل العشائر الكُردية غالبية نسب العشائر للواء كركوك، ويذكر الدليل السنوي للدولة العراقية الصادر عام ١٩٣٦ خلال استعراضه لسكان وعشائر لواء كركوك من مجموع ١٣ عشيرة أسماء (٩) عشائر كُردية و(٣) عشائر عربية وعشيرة تركمانية واحدة[١٤].

٩- ان رئاسة بلدية كركوك التي تعتبر منصباً هاماً، كانت تناط بشخص يمثل غالبية سكان اللواء، وقد أُنيط هذا المنصب في العهد العثماني وكذلك في العهد الملكي في العراق بالدرجة الأولى بالكُرد، وفي بعض الأحيان بالتركمان. لم يعين حتى عام ١٩٦٩ أي عربي رئيساً لبلدية كركوك، وكان مظهر التكريتي أول مواطن عربي أُنيط به هذا المنصب في ذلك العام[١٥].

١٠- مع أن غالبية العرب الذين تم إسكانهم اليوم في كركوك من المذهب السنّي، بيد أنه ليس لهم الى اليوم مقبرة خاصة بهم في مدينة كركوك، لأن جلهم تعود جذورهم الى خارج هذه المحافظة.

ثالثاً: نفط كركوك وأهميته:

لقد كان إستخراج النفط في كركوك (باباگوركور) معروفاً منذ (٥) آلاف سنة قبل الميلاد[١٦]. ومنذ أقدم العصور والى الآن ترتفع ألسنة الغازات الطبيعية الى السماء وتشتعل النيران، وكان سكان كركوك يعتقدون أن هذه هي النار الأزلية الواردة في سفر النبي دانيال، والأغرب من كل شيء في باباگرگر هو (لو أنك عبثتَ بالتراب بأصبعك أو بغصن ترى تدفق النيران رأساً، وإذا أردت سدّ منفذها بالتراب فإنها تبرز من مكان آخر، والأرض التي تتدفق منها هذه النار لاتتجاوز مساحتها غير عدة أمتار مربعة، تلتهب منها النيران من عشرات المنافذ والثقوب[١٧].

وقبل ألفين وثلاثمائة عام أشار هيرودوتس الى هذه النار الأزلية الملتهبة قرب مدينة كركوك، هذا عدا عن ظهور النفط في أرض المنطقة يعود الى زمن بنوخذنصر (٦٥٤ - ٥١٦ ق.م)[١٨]. ورغم أن الجيش العثماني في هذه المنطقة بدأ عام ١٦٣٩ وبوسائل بدائية إستخراج النفط لأغراض خاصة. لكن في الحقيقة أن تاريخ إستخراجه في كركوك بشكل منظم وتجاري يعود الى عام ١٩٢٧ عندما تمكنت شركة النفط التركية T.P.C التي تغير إسمها فيما بعد الى شركة نفط العراق (I.P.C) من إستخراج النفط في حقل باباگرگر. ومنذ ذلك التاريخ والى اليوم تعتبر منطقة كركوك من أهم المناطق النفطية في العراق. كما تثبت ذلك العوامل التالية:

١- تعتبر بيئة كركوك من أغنى بيئات الثروات النفطية، وذلك لأنّ إحتياطي نفط كركوك يشكل نسبة

(١٤) جزا توفيق طالب، نفس المصدر السابق، ص١٩٢.

(١٥) أنظر: (أ) الدكتور شاكر خصباك، العراق الشمالي دراسة لنواحيه الطبيعية والبشرية، جامعة بغداد ١٩٧٣، جدول ١٢، ص١٣٥. (ب) الحزب الديمقراطي الكُردستاني - المكتب السياسي، المكتب المركزي للدراسات والبحوث، نفس المصدر السابق ١٩٩٨، الجدول رقم ٢، ص٤٩.

(١٦) هلكوت محمد كريم، نفس المصدر، ص١٠.

(١٧) الدكتور نوري الطالباني، نفس المصدر، ص٢٤ - ٢٥.

(١٨) حكمت سامي سليمان، نفط العراق، دراسة إقتصادية، سياسية، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٧٩ ص٦٠.

عالية قياساً الى مجموع إحتياطي نفط كُردستان والعراق.

الإحصاءات تشير الى أن الإحتياطي الثابت للآبار النفطية في كركوك يشكل ٩٨,٧٨٪ من إحتياطي نفط أقليم كُردستان[١٩]، وأظهرت الدراسات الجديدة أن أكثر من نصف إحتياطي النفط العراقي يوجد في كُردستان العراق، ولاشك أن كركوك تملك حصة الأسد من إحتياطي نفط كُردستان.

٢- أنتجت الحقول النفطية في كركوك بين أعوام ١٩٢٧ - ١٩٧٤ أكثر من ٧٠,٢٪ من نفط العراق[٢٠]، وزاد إنتاج النفط في منطقة كركوك من (٦٢) مليون طن عام ١٩٧٤ الى (١٠٠) مليون طن في عام ١٩٧٩.

لقد كان نفط كركوك يشكل خلال سنوات الحرب العراقية - الإيرانية ١٩٨٠-١٩٨٨ نسبة كبيرة من إنتاج النفط العراقي بسبب بعد الحقول النفطية عن ميادين العمليات العسكرية، وهذه النسبة بلغت (٤٠) مليون طن في عام ١٩٨١ و١٢٦ مليون طن في عام ١٩٨٧[٢١].

وشكل إنتاج النفط في كركوك قياساً، الى مجمل إنتاج النفط العراقي نسبة كبيرة تبلغ ٦٧٪ في عام ١٩٩٧[٢٢]، لأنها كانت من جهة المصدر الرئيسي لصناعة تنقية النفط العراقي، ومن جهة أخرى فان مجلس الأمن الدولي وضمن تنفيذه القرار ٩٨٦ (مذكرة التفاهم بين العراق والأمم المتحدة المعروفة بقرار النفط مقابل الغذاء والدواء) كان مصراً على وجوب تصدير النفط العراقي عن طريق تركيا).

٣- ساهمت الحقول النفطية في كركوك خلال الأعوام ١٩٣١ الى ١٩٩٠ بأكثر من ٦٣٪ من المجموع الكلي لإيرادات النفط العراقي، وازدادت هذه النسبة خلال التسعينات. فعلى سبيل المثال ساهمت حقول نفط كركوك في عام ١٩٩٧ بأكثر من ٦٧,٧٪ من المجموع الكلي لإيرادات النفط في العراق، وعلينا ألاّ ننسى أنه حتى عام ١٩٥٠ كان نفط كركوك هو المصدر الرئيسي للنفط في العراق.

٤- إن نفط كركوك هو المصدر الرئيسي للنفط العراقي المصفّى، فها هي الإحصاءات في عام ١٩٩٧ تشير الى أن الحقول النفطية في كركوك تزود مصافي العراق يومياً بأكثر من (٤٤٥) ألف برميل من النفط من مجموع (٦٠٣) آلاف برميل (أي بأكثر من ٧٣,٧٪ من الإحتياجات النفطية لمصافي العراق المساهمة)[٢٣].

(١٩) عبدالحميد العلوچي، ود. خضر عباس اللامي؛ الأصول التاريخية للنفط العراقي، ج ١، بغداد ١٩٧٣، ص٣٥.

(٢٠) نفس المصدر السابق ص٣٥ كذلك أنظر: جرجيس فتح الله المحامي، النفط قرر مصير كُردستان السياسي، مجلة الثقافة الكُردية، ص١٨.

(٢١) نوري الطالباني، نفس المصدر ١٩٩٥، ص٣٠.

(٢٢) الحزب الديمقراطي الكُردستاني، المكتب السياسي، المكتب المركزي للدراسات والبحوث، نفط كُردستان العراق، دراسة تاريخية جيولوجية وجيوغرافية إقتصادية، القسم الأول، اربيل ١٩٩٧، جدول رقم ٦، ص٦٢.

(٢٣) الدكتور آزاد أمين النقشبندي، أهمية حقول كركوك النفطية، مجلة متين، عدد ٦٦ السنة الثالثة، تموز ١٩٩٧، ص١٠٧.

٥- مجموع كلفة التنقيب وإنتاج البرميل الواحد من النفط في منطقة كركوك أدنى من مجموع كلفة إنتاج النفط في العالم، وذلك بسبب السّمات الجيولوجية والجغرافية المتميزة لهذه الحقول[٢٤].

٦- سعر بيع البرميل الواحد من نفط كركوك أعلى من سعر بيع برميل النفط في جنوب العراق ليس لجودة نوعية النفط في كركوك فحسب؛ بل بسبب حضور نفط كركوك في موانيء البحر المتوسط حيث أن سعر النفط في هذه الموانيء بالمقارنة مع موانيء الخليج والبحر الأحمر كان أعلى بـ(٩٠) سنتاً أمريكياً من سعر النفط من موانيء الخليج[٢٥].

رابعاً: ترحيل الكُرد عن كركوك وتعريبها

إتضح لنا فيما سبق كُردستانية كركوك وأهمية نفطها بدلائل غير قابلة للشك، وسنحاول في هذا المحور تبيان أثر نفط كركوك على تهجير المواطنين الكُرد منها وتعريبها. ولانريد هنا التطرق الى دور نفط كركوك في تقرير مصير الشعب الكُردي في جنوب كُردستان وإلحاقها بالدولة العراقية الحديثة التكوين بعد الحرب العالمية الاولى، ولا كيف كان لنفط كركوك دوره البارز في عدم تأسيس دولة قومية مستقلة للشعب الكُردي بسبب مصالح الدول العظمى وقتئذ، لأن هذه المسألة خارجة عن نطاق هذا البحث الخاص بتحديد دور نفط كركوك في ترحيل الكُرد من كركوك وتعريب منطقة كركوك بعد إلحاقها بالدولة العراقية. وهنا يبرز سؤال وهو هل أن نفط كركوك أثّر على تحسين الأحوال المعيشية للكُرد في كركوك أم العكس هو الصحيح؟

إن الوقائع والأحداث القديمة والجديدة في منطقة كركوك تثبت بالمستمسكات والوثائق أنّ النفط في كركوك لعب دوراً سلبياً في حياة سكانها الكُرد. إن الأرقام والوثائق تثبت أن ترحيل المواطنين الكُرد من كركوك وتعريب منطقتها يعود بالدرجة الأولى الى نفطها، بحيث (يتم ترحيل الكُرد من أية منطقة من كركوك يوجد فيها النفط، وتعريب المناطق النفطية). وقد أصبح هذا شعار ودأب الحكومات العراقية، رغم أن مستوى تنفيذ هذا الشعار وطبيعته قد إختلفا من حكومة لأخرى. وتعتبر الأحداث التالية أمثلة ونماذج لإظهار الدور السلبي لنفط كركوك في الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية لكُرد كركوك:

١- ان العثمانيين كانوا يشجعون التركمان والعوائل التركية للسكن في منطقة كركوك عن طريق تعيينهم في المناصب الحكومية أو منح إمتيازات لهم، مثلاً منح العثمانيون إمتياز إستخراج النفط في باباگرگر الى عائلة (نفطچي زاده) التركمانية ليقوموا ببيعه الى سكان المنطقة[٢٦].

٢- شركة نفط العراق IPC التي حصلت على حق إستخراج النفط من منطقة كركوك كانت قد جلبت

(٢٤) د. آزاد محمدأمين النقشبندي وتغلب جرجيس داود: جغرافية الموارد الطبيعية، جامعة البصرة ١٩٩٠، جدول رقم ٨٥ ، ص٦٣٨.

(٢٥) Arab Petroleum Resarach Center, Arab Oil and Gas Directory, Paris 1997 P: 161.

(٢٦) Ibid P. 163.

عدداً كبيراً من العرب والأقليات الأخرى من خارج منطقة كركوك وعينتهم في الشركة وأسكنتهم في مكان سُمي بـ(عرفة) أو (كركوك الجديدة) وبنت لهم مئات المساكن، وكان معظم سكان هذه الدور من الآشوريين والأرمن والعرب والتركمان.

٣- الحكومات العراقية في العهد الملكي كانت تشجع العوائل العربية على السكن في منطقة كركوك، ومن أحد مظاهر تعريب المناطق النفطية من قبل الحكومة العراقية في العهد الملكي؛ إقامة مشاريع الري، ومن أبرز هذه المشاريع مشروع ري الحويجة الذي تم تنفيذه بالإعتماد على واردات النفط في كركوك. ويمكن إعتبار هذه العملية أول عملية لإسكان العرب في منطقة كركوك. وحسب إحصاء عام ١٩٥٧ بلغ عدد العرب الذين جرى إسكانهم في ناحية الحويجة (٢٧٧٠٥) نسمة[٢٧].

٤- إستمرت عملية تعريب المناطق النفطية في كركوك في العهد الجمهوري أيضاً، ونُفذت بشكل واسع وفق خطط وبرامج وسياسة مدروسة من قبل الدولة، تلك السياسة التي أضحتْ حسب قول أحد المحافظين السابقين لمحافظة كركوك: «جزءاً من سياسة الدولة العليا»[٢٨]. وفيما يلي نماذج للممارسات التي طبقتها الحكومة العراقية طيلة الحكم الجمهوري في منطقة كركوك، أو شجعت على تنفيذها:

أ- بعد حوادث كركوك في تموز عام ١٩٥٩ تم تشكيل عدد من المنظمات السرية في كركرك، وكان الدعم يُقدم لها من قبل الأجهزة المسؤولة في الدولة، وكان الواجب الرئيسي لهذه المنظمات السرية القيام بإرهاب وإغتيال المواطنين الكُرد في كركوك والتجاوز على أموالهم وممتلكاتهم بهدف إرغامهم على مغادرة كركوك.

ب - ان أول عمل قام به ما يسمى بالجيش القومي (الحرس القومي) بالتنسيق مع الأجهزة الأمنية في المدينة وبمشاركة جرافات البلدية في عام ١٩٦٣ هو هدم (الحي الجمهوري) بأكمله في منطقة الشورجة بكركوك، وكان الحي من أحد أكبر الأحياء الكُردية الفقيرة في المدينة[٢٩].

جـ - هدم القرى الكُردية القريبة من الحقول النفطية، وخلال حملة واحدة فقط في عام ١٩٦٣ هدمت الحكومة العراقية (١٣) قرية كُردية. وفي العام نفسه تم ترحيل كافة العوائل الكُردية من قرى منطقة دوبز (دبس)، وأسكنت بدلاً عنها العشائر العربية. وللتعرف على حجم عمليات الهدم والترحيل التي اصابت القرى الكُردية في منطقة كركوك تكفي ملاحظة الأرقام الواردة في الجدول رقم (١).

د- طرد أعداد كبيرة من العمال الكُرد من شركة نفط كركوك ونقلهم الى خارج المحافظة، شملت

(٢٧) أنظر: آزاد محمد امين النقشبندي، المميزات الجغرافية والجيولوجية لحقول كركوك النفطية، مجلة زانكو، العدد الخاص بوقائع المؤتمر العلمي الثالث، الدراسات الإنسانية لجامعة صلاح الدين -أربيل، اربيل ١٩٩٨، ص٤٣ - ٥٦.

(٢٨) د.آزاد محمدامين النقشبندي، أهمية حقول كركوك النفطية، مجلة متين العدد ٦٦، السنة الثالثة تموز ١٩٩٧، ص١٠٩.

(٢٩) د. نوري الطالباني، المصدر السابق ١٩٩٥ ص٢٤.

الجدول رقم (١) عمليات الهدم والترحيل في محافظة كركوك

المصدر: د. نوري الطالباني منطقة كركوك ومحاولات تغيير واقعها القومي لندن ١٩٩٥ ص ٧٧.

إسم القضاء	عدد القرى المهدمة	عدد المدارس المهدمة	عدد الجوامع المهدمة	عدد المراكز الصحية المهدمة	عدد العوائل المرحَّلة	مجموع المرحَّلين
مركز قضاء كركوك وقضاء دوبز/ دبس	٢١٨	١٦٠	١٩٠	٢١	١١٦٩٤	٦١٣٩٤
كفري عدا قره تپه	٨١	٦٠	٥٩	٦	٤٣٤٦	٢٢٨١٧
طوزخورماتو (طوز)	١٣٥	٧٩	١١١	٦	٧٩٤٢	–
چمچمال	١٦٤	١٠٢	١٥٧	٤	٩٨٦٦	٥١٧٩٧
كَلار	١٨١	٩٢	٨١	٣	٣٨٧٨	–
المجموع الكلي	٧٧٩	٤٩٣	٥٩٨	٤٠	٣٧٧٢٦	–

حملات الطرد هذه حتى صغار الموظفين والمعلمين أيضاً حتى إنهم لم يُسمح لهم بعد إحالتهم على التقاعد أو طردهم من أعمالهم بالعودة الى كركوك ليستقروا فيها كمواطنين عاديين.

هـ – جلب الموظفين والعمال العرب ليحلوا محل المواطنين والعمال الكُرد المطرودين ومنحهم أموالاً ووظائف لم يحلموا بها في مناطقهم الأصلية سابقاً.

و– إسكان عشرات الألوف من العوائل العربية ضمن عملية متواصلة في المناطق النفطية من كركوك بعد تأمين الدور السكنية والعمل لأعضائها وتوزيع الأراضي السكنية عليهم، فعلى سبيل المثال تم خلال السبعينات والثمانينات إقامة العديد من الأحياء السكنية للعرب الذين جُلبوا الى مدينة كركوك، (لاحظ الجدول رقم ٢).

ز– في صيف عام ١٩٨١ وكوجبة أولى تم توزيع (٨٠٠٠) قطعة أرض سكنية خلف نقطة سيطرة لَيلان على العوائل العربية التي جُلبت حديثاً ومُنح لهم دعم مالي يقدر بـ(١٩) ألف دينار (لكل عائلة)، وتم خلال الوجبة الثانية توزيع (٢٥٠٠٠) قطعة أرض سكنية أخرى على العوائل العربية شملت مساحة بلغ طولها (١٨) كيلومتراً على إمتداد منطقة لَيلان[٣٠].

ح– إن حملات الترحيل والتهجير لكُرد كركوك وتعريب المدينة متواصلة ولم تتوقف حتى ليوم واحد، ففي آذار عام ١٩٩١ هُدم زهاء (٨٠) داراً سكنية للكُرد والتركمان في محلة ألماس. تم بعدها

(٣٠) نفس المصدر، ص٣٤.

الجدول رقم (٣) النسبة المئوية للسكان الكُرد والعرب في محافظة كركوك

الوحدات الإدارية	القومية	١٩٥٧	١٩٦٥	١٩٧٧
محافظة كركوك	الكُرد	٪٤٨,٣	٪٣٨,٠٨	٪٣٧,٥٣
	العرب	٪٢٨,٢	٪٣٨,٩٦	٪٤٤,٤
مركز قضاء كركوك	الكُرد	٪٤٠,٩	٪٣٨,٤٩	٪٤٠,٥٩
	العرب	٪٢٠,٧	٪٢٢,٠٥	٪٣٨,٤٦

في حزيران من نفس العام هدم عشرات الدور السكنية للمواطنين الكُرد في محلة الشورجة الكُردية، والى اليوم تقوم سلطات المحافظة يومياً بإجبار الكرد في كركوك على الرحيل عن المدينة أو حمل أمتعتهم وأدواتهم المنزلية والتوجه الى جنوب العراق، أو بعد سلب حاجياتهم التوجه الى المناطق المحررة من أقليم كُردستان. واليوم فإن عشرات الألوف من العوائل الكُردية المرحلة عن كركوك تعيش في مدن وقصبات المناطق المحررة من كُردستان العراق.

ط- ولم تغفل عملية التعريب حتى الجانب الثقافي، حيث تواصل السلطات المركزية تغيير الأسماء الكُردية الى أسماء عربية، هذه العملية بدأت من تغيير إسم المحافظة من كركوك الى (التأميم)، كذلك تغيير أسماء القصبات والقرى والأحياء والمدارس والمحال... فمثلاً تم تغيير إسم محلة (رحيماوا) الى محلة (الأندلس)، وإعدادية كُردستان الى إعدادية عبدالملك بن مروان[٣١] .

ي- وبهدف إنجاح عملية تعريب كركوك قامت السلطات المركزية بإجراء عدد من التغييرات الإدارية على محافظة (لواء) كركوك صارت مبعثاً لتغيير الحدود الطبيعية للمحافظة ووحداتها الإدارية الى حدود إصطناعية تكون في خدمة عملية التعريب، وتتلخص هذه التغييرات في:

* فصل قضائي چمچمال وكلار عن محافظة كركوك وإلحاقهما بمحافظة السليمانية.
* فصل قضاء كفري عن محافظة كركوك وإلحاقه بمحافظة ديالى.
* فصل قضاء طوزخورماتو عن محافظة كركوك وإلحاقه بمحافظة صلاح الدين.
* فصل ناحية التون كوپري (پردي) وإلحاقها بمحافظة أربيل.

تغيير مراكز الوحدات الإدارية لمحافظة كركوك، وعلى هذا صارت القرية ناحية، والناحية الى قضاء، وحسب إحتياجات ومتطلبات تعريبها تحولت الأقضية أيضاً الى نواحٍ، والنواحي الى قرى، ولنفس الغرض (أنظر الخريطة رقم ٢).

(٣١) نفس المصدر، ص٤٧.

خامساً: ترحيل كُرد كركوك وتعريبها نجم عنهما مجموعة نتائج خطيرة أهمها:

١- ترحيل مئات الألوف من كُرد كركوك من المناطق النفطية فيها، حيث يتوزعون اليوم في مدن وقصبات أقليم كُردستان، ووسط وجنوب العراق، وحتى في خارج العراق، ويعانون ظروفاً إقتصادية وإجتماعية وسياسية بالغة الصعوبة، ولم تخف السلطات ممارساتها هذه فإن عمليات التهجير والترحيل تجري على قدم وساق امام إنظار الرأي العام العالمي ويتم تطبيقها يومياً. فقد ذكر مسؤول عراقي كبير في إجتماع واسع عقد في جامعة صوفيا في بلغاريا عام ١٩٧٤ فيما إذا كان صحيحاً ان الحكومة العراقية قامت بطرد العمال الكُرد من شركة نفط العراق، ذكر في الجواب قائلاً: بصراحة نحن على إستعداد ومن أجل نفط كركوك ألاّ نقوم بطرد العمال الكُرد من شركة نفط كركوك فحسب، بل طرد كافة الكُرد من كركوك(٣٢).

٢- هدم مئات القرى الكُردية في المناطق النفطية من كركوك، كذلك هدم المئات من الدور السكنية في المدينة حيث أن جرى هدم أقسام كبيرة لعدد من الأحياء الكُردية.

٣- تقليص مساحة محافظة كركوك وتقليص عدد وحداتها الإدارية. حيث أن مساحة محافظة كركوك كانت تبلغ حسب إحصاء عام ١٩٥٧ (٢٠٣٥٥) كيلومتراً مربعاً، تم تقليصها في بداية عام ١٩٩٠ الى ٩٦٧٩ كيلومتراً مربعاً فقط.

وفيما يتعلق بتقليص الوحدات الإدارية لمحافظة كركوك، فإن هناك اليوم فيما عدا قضائي الحويجة الذي تم تعريبه في أواسط الأربعينات- وداقوق (طاووق) الذي جرى تعريبه في بداية السبعينات، هناك قضاء دوبز (دبس) الحديث التشكيل والذي تم تعريبه كذلك، وقضاء مركز كركوك الذي تم تغيير طابعه القومي. وعدا هذه الوحدات الإدارية لم يبق أي قضاء آخر تابع للمحافظة. والمعلوم أن قضاء الحويجة لم يكن في العهد الملكي سوى ناحية تابعة لقضاء مركز كركوك. كذلك كان قضاء داقوق سابقاً ناحية تابعة لقضاء طوزخورماتو، وفيما بعد وحتى عام ١٩٨٧ كانت داقوق تابعة لقضاء مركز كركوك (أنظر الخريطة رقم ٣).

٤- إنخفاض نسبة السكان الكُرد وإرتفاع نسبة السكان العرب في محافظة كركوك والجدول رقم (٣) الخاص بالنسبة القومية للكُرد والعرب في محافظة كركوك ومركز قضاء كركوك دليل قاطع على هذه الحقيقة.

واضح أن انخفاض نسبة السكان الكُرد في محافظة كركوك وإرتفاع نسبة السكان العرب فيها يعود الى سبب واحد فقط هو عملية ترحيل المواطنين الكُرد من المحافظة وتعريبها، لأنه بلا شك فان المعدلات السنوية لعملية النمو الطبيعي للكُرد عالية حتى مقارنة بمثيلاتها للشعوب المجاورة.

٥- إن أحد أهم المخاطر المترتبة على نتائج ترحيل الكُرد من كركوك وتعريبها هو فقدان ثقة الشعب الكُردي بالحكومة المركزية، وهذا بدوره أحدث شرخاً في العلاقات الكُردية العربية. وإبقى القضية

(٣٢) نفس المصدر، ص٤٤.

الكُردية دون حل في العراق بشكل يكون قابلاً للإنفجار في أية لحظة. وتطبيق سياسة الترحيل وتعريب المناطق النفطية من كركوك كان ولا يزال عاملاً رئيسياً في عدم التوصل الى حل جذري للقضية الكُردية في العراق. ولا نغالي إذا قلنا أن هذا العامل هو أحد العوامل الرئيسية لإندلاع الحرب مجدداً بين الثورة الكُردية والحكومة المركزية في عام ١٩٧٤، كما كان بقاء القضية الكُردية دون حل مناسب وعادل عاملاً مهماً لإندلاع حربي الخليج الأولى والثانية.

نتائج البحث

النتائج الرئيسية لهذا البحث عبارة عن:

١- كانت كركوك منذ العهد العثماني مركزاً إدارياً مهماً، ومن ثم بعد تأسيس الدولة العراقية الحديثة، وإستكشاف وإستخراج النفط فيها أصبحت من أحد أهم الألوية العراقية.

٢- إن كافة الوثائق التاريخية والدلائل الجغرافية والسكانية تشهد على كُردستانية كركوك.

٣- تعتبر بيئة كركوك من أحسن وأغنى بيئات الثروات النفطية في كُردستان العراق، للأسباب الآتية:

أ - تملك الحقول النفطية في كركوك حصة الأسد من إحتياطي نفط كُردستان والذي يخمن بـ(٥٠٪) من إحتياطي نفط العراق.

ب- أنتجت الحقول النفطية في كركوك من أعوام ١٩٢٧ - ١٩٧٤ أكثر من ٧٠,٢٪ من نفط العراق، وإنتاج النفط في منطقة كركوك أرتفع من ٦٢ مليون طن عام ١٩٧٤ الى ١٠٠ مليون طن في عام ١٩٧٩، وشكل في الثمانينات والتسعينات نسبة كبيرة من إنتاج النفط العراقي. مثلاً: شكل نفط كركوك عام ١٩٩٧ نسبة ٦٧٪ من المجموع الكلي لإنتاج نفط العراق.

جـ- يؤمن نفط كركوك أكثر من ٧٣,٧٪ من الإحتياجات النفطية لمصافي النفط العراقية.

د- ساهمت الحقول النفطية في كركوك في الأعوام من ١٩٣١ - ١٩٩٠ بأكثر من ٦٣٪ من المجموع الكلي لإيرادات النفط في العراق، هذه النسبة وصلت عام ١٩٩٧ الى ٦٧,٧٪، ويجب الاّ ننسى أن الحقول النفط في كركوك كانت حتى عام ١٩٥٠ المصدر الوحيد لإيرادات النفط في العراق.

هـ- مجموع كلفة وتنقيب وإنتاج البرميل الواحد من النفط في منطقة كركوك أقل من مجموع كلفة النفط في باقي مناطق العالم.

و- سعر بيع البرميل الواحد من نفط كركوك أعلى من سعر بيع برميل نفط جنوب العراق بسبب جودة نوعية النفط فيها من جهة، وتوفره في موانيء البحر المتوسط من جهة أخرى.

٤- لقد لعب نفط كركوك دوراً سلبياً في الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية لكُرد كركوك بشكل خاص وكُرد العراق عامة، لأنه كان عاملاً رئيسياً لترحيل الكُرد من كركوك، وتعريب المحافظة، وبقاء القضية الكُردية في كُردستان العراق دون حل دائم.

٥- إن مسألة ترحيل الكُرد من كركوك وتعريبها عملية بدأت منذ تأسيس الدولة العراقية، وأصبحت

شعار كافة الحكومات المتعاقبة في العراق، رغم أن تنفيذ هذا المشروع وطبيعته يختلف من حكومات لأخرى.

٦- من أخطر النتائج المترتبة على عملية ترحيل كُرد كركوك وتعريبها، فقدان ثقة الكُرد بالحكومة المركزية في العراق، وأحداث الشرخ في العلاقات الكُردية العربية، هذا عدا عن بقاء القضية الكُردية في العراق دون حل يكون الوضع فيه قابلاً للإنفجار في أي وقت.

٧- إن تطبيق سياسة ترحيل الكُرد من كركوك وتعريب المحافظة لم يتلاءم في أي وقت ومصالح الشعوب العراقية كُرداً وعرباً، يشهد على حقيقة توجهنا هذا تاريخ العراق ومنطقة الشرق الأوسط القريب (الحروب الداخلية في العراق وحربي الخليج الأولى والثانية) ومآسي الربع الأخير من القرن العشرين للشعوب العراقية كورداً وعرباً.

الجدول رقم (٢)

الأحياء المبنية للعرب الذين جلبتهم الدولة الى مركز مدينة كركوك حتى نهاية عام ١٩٨٩

الحي	عدد الدور المنشأة لهم
الكرامة	٦٠٠
المثنى	٥٠٠
كركوك الجديدة/ عرفة	٦٠٠٠
دور العمل الشعبي	١٠٠٠
دور الضباط	٥٠٠
البعث	٨٠٠
السكك	٤٥٠
الاشتراكية	١٠٠٠
الحجاج	١٠٠٠
الوحدة	٣٠٠
الحرية	٢٥٠
دور الأمن ودور ضباط الصف	٢٤٠
دور الشقق	٤٠٠
القتيبة	٧٥٠
غرناطة	١٦٠٠
الشرطة	١٠٠٠
الواسطي	١٥٠٠
العروبة	١٥٠٠
شهداء القادسية	٢٠٠
المجموع الكلي	١٨٦٩٠

الجدول من إعداد الباحث بالإعتماد على المصادر الآتية:

١- د. نوري الطالباني، منطقة كركوك ومحاولات تغيير واقعها القومي، لندن ١٩٩٥، ص٥٠ - ٥٢.

٢- د. عبدالله غفور، إثنو - ديموغرافية جنوب كُردستان، السليمانية ٢٠٠٠، ص ٣٨ - ٤١.

المصدر:١- المجموعة الإحصائية للتسجيل عام ١٩٥٧، لواء كركوك جدول رقم ١٦.

٢- شاكر خصباك، العراق الشمالي، بغداد ١٩٧٣، جدول رقم (١)، ص ١٣٥-١٣٨.

٣- فيصل الدباغ، الكُرد والأقليات في إحصائية عام ١٩٧٧، أربيل ١٩٩٣، ص ١٥-١٧.

٤- الدكتور عبدالله غفور، إثنو - ديموغرافية جنوب كُردستان، مركز الدراسات الستراتيجية لكُردستان، السليمانية ٢٠٠٠، ص ٧٣-٨٣.

الكُرد وحكاري وكركوك... أهم حلقة في الإثنوغينيسيا الكُردية

الدكتور رشاد ميران

الإثنوغينيسيا أي المسيرة التاريخية لنشوء الشعوب، مصطلح يوناني قديم، يستخدمه علم الإثنوغرافيا لدراسة كيفية نشوء وإرتقاء الشعوب. وفي الحقيقة أن هذا المجال أي الإثنوغينيسيا من أصعب وأهم المجالات الإثنوغرافية، لأن نشوء الشعوب يتم خلال تاريخ طويل مليء بالعناصر والأحداث، وينبغي وجود السمات والجذور والميزات الخاصة التي تعتمد عليها الإثنوغرافيا لإعتبار المجموعات شعباً (إثنوساً) أم لا. الإثنوغرافيا تعتبر عملية نشوء وتكوين الشعوب ظاهرة كبيرة ومعقدة لها جوانب كثيرة ومتنوعة، ولذلك ينبغي دراستها بتفرغ. ولهذا الهدف فإن الإثنوغرافيا تلجأ الى المستلزمات والمواضيع والفروع الأخرى من علومها مثل: التاريخ، الجغرافية، علم الإجتماع، الأنثروبولوجي، علم النفس، الإقتصاد... الخ.

وعلى هذا فدراسة المسيرة التاريخية لنشوء الشعوب بحاجة الى إختصاصات متعددة، ولهذا أيضاً فإن إثنوغينيسيا كثير من الشعوب لم تتوضح، ومعظمها مازال يتخلله الفراغ والشروخ والعقبات المختلفة، وبحاجة الى معالجة علمية ومنها الإثنوغينيسيا الكُردية، وبحثنا هذا لايتطرق الى دراسة الإثنوغينيسيا، بل هو محاولة لملء فراغ في عملية نشوء الشعب الكُردي الناتجة لعدد من الدراسات العلمية، وإثبات تاريخ أكثر قدماً مما ترسخ الآن في العلم لنشوء الشعب الكُردي كإثنوس على ضوء الأسس والقواعد العلمية للإثنوغرافيا.

وأهمية هذا الموضوع تكمن في أنه عدا كونه كما قلنا عبارة عن ترابط بين مرحلتين في تاريخ الكُرد، هو كذلك بلورة لدور منطقة كركوك وجبل حمرين في هذه العملية، وهو في حد ذاته له أهمية سياسية كبيرة بالنسبة الى ظرفنا الراهن، وماعدا ذلك ستكون هذه أول دراسة تتناول جانباً من عملية الإثنوغينيسيا الكُردية من وجهة نظر علم الإثنوغرافيا باللغة الكُردية.

ولانغالي إذا قلنا أن الشعب الكُردي في هذا الوقت بحاجة الى دراسات وبحوث أكاديمية أكثر من أي شيء آخر ومنها خاصة الإثنوغرافيا لتحديد وترسيخ المسحات والدلائل القومية، للتأكيد على خصائصه والتمسك بها وحفظها من الزوال، وذلك لتصحيح وتثبيت العملية التاريخية لنشوئه وإرتقائه، ولهذا الهدف أيضاً تكونت لدينا فكرة هذه الدراسة متمنين أن تكون مفيدة ونافعة وتملأ فراغاً في هذا المجال.

تاريخ الإنسانية عبارة عن عملية طويلة من الإجتماعات والتجمعات، التنظيم والتقدم، التغيير والحركة... وعلى هذا فالتاريخ يشبه تماماً كائناً حيّاً نقياً – مع أننا نسمع غالباً في أيامنا هذه توجّه أو مصطلح «نهاية التاريخ» أو «مرحلة ما بعد التاريخ». وينبغي حسب الذين يعتبرون التاريخ بشكل مطلق صراعاً أو منافسةً؛ برأي هؤلاء ان نظام التعددية القطبية والصراع يعني إنتهاء التاريخ[١].

خلال هذا العملية اللاإبتدائية والطويلة، أبدعت الإنسانية أعظم وأهم ظاهرة إجتماعية وهي المجتمع، ومن المعلوم أن مجتمعات الكرة الأرضية تتميز عن بعضها بجوانبها القومية قبل أي شيء آخر. ولذلك فإن المجتمع والقومية ملتصقان دوماً ولا ينفصلان. ولهذا فإن علمي الإجتماع والإثنوغرافيا مع أنهما علمان مستقلان، فإنهما أيضاً متقاربان جداً ومشتركان في العديد من المجالات، كذلك بالنسبة للعلاقة بين علمي التاريخ والإثنوغرافيا، ولاسيما في مجال الإثنوغينيسيا فإنها علاقة وثيقة جداً.

الإثنوس Ethnos مصطلح يوناني قديم تستخدمه الإثنوغرافيا بمعنى مجموعة أناس خاصة، ومتميزة عن الأخرى. بعبارة أخرى الإثنوس يعني مجموعة أناس مستقلين ذوي سمات وطوابع خاصة متميزة عن مجموعات أناس آخرين[٢] وتكتسب في المراحل التاريخية الملامح والمؤشرات الإجتماعية المختلفة، [مثل: القبيلة، وحدة القبيلة، الشعب، القومية]. الإثنوس في أية مرحلة تاريخية إجتماعية كانت فإنها نتيجة ونتاج عملية طويلة ومعقدة تاريخية وإجتماعية وثقافية كاملة لمنطقة واسعة، خلال هذه العملية تمتزج العديد من القبائل والشعوب والقوميات، أو حسب مصطلح الإثنوغرافيا يمتزج العديد من الإثنوس ويؤثر على بعضها، بعض منها ينصهر ويصبح أساساً لبروز إثنوس جديد. أو ثمة إثنوس يغّير مكان موطنه نتيجة لعدد من العوامل والأحداث – مثلاً: الإثنوس الهنغاري[٣]؛ أو هناك إثنوس تغيرت لغته أو إسمه القومي، وأحياناً يحدث أن يلعب إثنوس مكان قاصٍ جداً دوراً تاريخياً في تقرير مصير مجموعة من الإثنوسات في المنطقة – كدور فرياج إسكندناڤيا في تقرير مصير الروس، وشعوب منطقة القفقاس، وحتى الشعوب داخل حدود الدولة البيزنطية[٤] – وربما يشمل هذا الإنثوس الكُردي أيضاً، أو السلجوقيين والتركمان القادمين من آسيا الوسطى الى الشرق الأوسط الذين لعبوا دوراً إثنياً وثقافياً وسياسياً في تاريخ هذه المنطقة. وقل نفس الشيء بصدد الإثنوس القدماء لكُردستان اليوم – مثل الگوتي، اللولويي، الكاسي، الماد، المانا... الخ. الذين غدوا من الناحية التاريخية الأساس لنشوء الإثنوس الكُردي، ولم يبقوا هم الآن في الميدان.

(١) على سبيل المثال أنظر لوتزليتهامر (ما بعد التاريخ – هل انتهى التاريخ؟) ترجمة: فاضل جتكر، دار المدى – دمشق ١٩٩٥.

(٢) U. N. BROMLEY, G. E MARKOV ETNOGRAFIA, MOSKOVA, 1982 STR. 5.

(٣) بروميله بودولتي «إثنوس والتاريخ» ترجمة طارق معصراني، دار التقدم ١٩٩٨، ص١٣.

(٤) VSEMIRNAYA ISTORYA T.3 MOSKOVA 1957 STR 198 - 200

إذن إن عملية الإثنوغينيسيا الكُردية تضم عناصر وأجناس كثيرة ومتنوعة ولا يُستثنى أي منها من هذه القاعدة؛ ولهذا فإن الإثنوغرافيا تؤكد دائماً على القول ان كل الإثنوسات والعناصر والأجناس القديمة في بلاد مابين النهرين الأوسط والشمالي وكذلك ايران الغربية، والمعروفة لنا التي لعبت دورها التاريخي الكثير أو القليل في المنطقة، كل هؤلاء لعبوا دوراً في نشوء الإثنوس الكُردي كل حسب مرحلته ومستوى تطوره.

وينبغي هنا القول أن الإثنوس الكُردي بعد نشوئه لعب هو الآخر بنفس الشكل دوره في نشوء إثنوسات المنطقة الأخرى، وربما يلعب الآن أيضاً مثل هذا الدور. إذن فبإستطاعتنا أن نقسم عملية الإثنوغينيسيا الكُردية الى مراحل لعب في كل منها عدد من الإثنوس دوراً بارزاً في المنطقة عامة وفي العملية التي إنتهت نتيجتها بنشوء الإثنوس الكُردي خاصة.

وعن المراحل التاريخية لعملية الإثنوغينيسيا الكُردية فإن تصنيف العلامة الكُردي محمدأمين زكي يعتبر الى الآن من أحسن واصح التصنيفات اللتي اتتزال تحتفظ بأهميتها الخاصة، وبدورنا نحن كذلك نعتمد عليها هنا مثلنا كمثل المستشرقين الكُرد الكبار(٥).

- المرحلة الأولى: في هذه المرحلة لعبت شعوب سلسلة جبال زاگروس في الفترة مابين ١٥٠٠ – ٣٠٠٠ سنة ق.م دورها في بلاد مابين النهرين (الميزوپوتاميا) مثل اللولوئيين، الگوتيين، الكاسيين.
- المرحلة الثانية: هنا نزحت الشعوب الناطقة باللغات الإيرانية نحو غرب آسيا في الفترة مابين ٩٠٠ – ٧٠٠ سنة ق.م، أقبلت ونشرت اللغة والثقافة الإيرانيتين في هذه المنطقة مثل شعوب ماداي (ماد) وپارسوا (پارس).

المرحلة الثالثة: عهد كاردوخ في منطقة حكاري عام ٤٠١ ق.م.

الإسم القومي (إثنونيم):

من وجهة نظر علم الإثنوغرافيا ثمة علائم وجذور ومؤشرات ينبغي أن تظهر في مجموعة أناس ليجوز علمياً إعتبارهم إثنوساً، ومن هذه الموشرات والجذور التي يتفق بشأنها معظم العلماء:

١- الإسم القومي (إثنونيم)
٢- اللغة المشتركة
٣- الأرض المشتركة
٤- التاريخ المشترك
٥- التراث المشترك
٦- السيكولوجيا المشتركة

(٥) او. ل. ڤيلچيڤسكي: (أصل الكُرد – مسيرة نشأة الشعب الكُردي). ترجمة رشاد ميران الى اللغة الكُردية، ستكهولم ١٩٩٣، ص١٨. و محمد أمين زكي (كُرد وكُردستان) المجلد ١-٢-٣، بغداد ١٩٣١، إنتشارات ميديان مهاباد، ص٦٤-٧٨.

وكما هو واضح، فإن للإسم القومي (إثنونيم) أهمية رئيسية، لأنه بشكل عام لايمكن الحديث عن الظاهرة من دون إسم، ولاسيما ظاهرة مثل الـ(إثنوس)[٦]. وفي هذا الصدد يقول العالم الأنثروبولوجي الروسي المعروف ف. أليكسيف: نستطيع فقط أن نعرّف تلك المجموعة من الناس إثنوساً حيث يملك أعضاؤها الهوية القومية والإسم القومي المشتركين[٧]. مع هذا وبينما لانجد هناك إثنوساً بلا إسم، لكن في الوقت ذاته فإن ذكر الإثبات والدلائل لإسم بعض الإثنوسات على الأقل ليس بالعمل السهل ويواجه عدداً من العقبات، ذلك لأنه عدا أنه ليس لإثنونيم الشعوب من الناحيتين اللغوية والايثمولوجية إيضاحات مرضية، كذلك فنحن في هذا المجال تواجهنا مشكلة وجود نوعين من الإثنونيم هما:

الإسم القومي الذاتي (أندو إثنونيم) أي إسم أعضاء الإثنوس الذي يعرفون به أنفسهم. والآخر: الإسم القومي الخارجي (أكزوا إثنونيم) – الذي يستخدمه الآخرون على إثنوس واحد، مثلاً أعضاء الإثنوس الذين يطلقون علي أنفسهم (دويچ)، تطلق عليهم إثنوسات أخرى أسماء أخرى. الإنگليز يطلقون عليهم (الجرمن). الروس يطلقون عليهم (نيميتس)، السويديون يطلقون عليهم (تيسك)، الصرب يطلقون عليهم (شڤاپ)، الطليان يطلقون عليهم (تيديسكو)، الفرنسيون ومعظم الشعوب الأخرى يطلقون عليهم (ألمان). فهنا أن كلمة (دويچ) هي الـ(أندو إثنونيم) إسم ذاتي، وكل الأسماء الأخرى التي تطلق عليهم من قبل الشعوب الأخرى هي الـ(إكزو اثنونيم)[٨].

لذلك فعند دراسة إثنونيم شعب من المهم جداً أن نعرف فيما إذا كان هذا الإسم (أندو) أو (أكزو)، والبت في هذه المسألة يأخذ بعلمنا الى طريق الصواب الى حدّ، وأن هذا الجانب بالنسبة لموضوعنا ذو أهمية كبيرة، لأن لنا نفس مشكلة الإثنونيم الكُردي في عملية الإثنوغينيسيا الكُردية، وحلها يفسح لنا المجال لنصل الى نقطة البداية حول نشوء الإثنوس الكُردي.

وخلال فترة عملية الإثنوغينيسيا الكُردية التي تضم مجمل تاريخ الحياة الإجتماعية والثقافية فوق تلك المساحة التي تسمى كُردستان تظهر للعيان الشعوب والقبائل والفرق والقبائل بأسماء مختلفة وأسماؤها بعيدة جداً عن الـ(إثنونيم) الحالي للكُرد. عاشت هذه الجماعات في مراحل تاريخية مختلفة في كُردستان ولعبت أدواراً ونشاطات متعددة مثل: الگوتيين، اللولو، الكاسي، ماد، مانا، كيرت...الخ، ونحن في هذه الحالة فيما عدا علاقة تاريخية وقرابه (جينيتية) بين هذه الإثنوسات والكُرد لانستطيع إثبات شيء آخر بشكل علمي، وهذا ما يعود غالباً الى عدم وجود إثنونيم كُردي وقتئذ – وفي هذا يكمن دور وأهمية الإثنونيم، لذلك ينبغي قبل كل شيء البحث عن الإثنونيم الكُردي على مساحة تاريخ المنطقة، والبدء من تلك النقطة.

إن ما إتضح لنا الى الآن هو أن أول إستخدام لـ(إثنونيم) الكُرد على الشكل الحالي وجد في

(٦) U. N. BROMLE " OCHERKI" TEORI ETNOSA MOSKOVA 1983/44/88/143.

(٧) P. ALEKSEEV ETNOGNEZIS MOSKOVA 1986/ STR./35.

(٨) U. N. BROMLEY. المصدر السابق ص٤٦.

المصادر التاريخية في سنوات بداية الألفية الميلادية الأولى، وبشكل أدق في عصر الساسانيين، عندما ورد في كتاب كارنامه أردشير بابكان، بأن أردشير مؤسس الدولة الساسانية عاش بين الرعاة الكُرد، ثم حارب ماديك ملك الكُرد(٩).

هذا أول إستخدام لإسم الكُرد بالشكل الحالي ورد في كتابة تاريخية، وذلك في العهد الساساني، القرن الثاني الميلادي. على ضوء هذا نستطيع البحث بثقة عهدئذ عن وجود الإثنوس الكُردي، لأننا نملك دليل الإثنونيم، ونستطيع أن نقرر بنفس الثقة أن هذا الإثنونيم إستُخدم قبل الساسانيين أيضاً، فاذنْ بمستطاعنا إعادة الإثنوس الكُردي الى عهد الهخامنشيين وتاريخه* على الأقل الى بدايات القرن الأول الميلادي.

هذا بالنسبة الى إثنونيم الكُرد بشكله الحالي المكتوب بالفارسية – البهلوية – في المصدر المذكور(كُرد) أو (كُردان). بيد أننا نملك شكلاً آخر من الإثنونيم الكُردي مختلف قليلاً في عهد مبكر جداً، نقصد عام ٤٠١ ق.م، وذلك في مصدر تاريخي بإسم (اناباسيس) الذي ألفه المؤرخ وقائد الجيش اليوناني گزنفون ويتحدث عن عودة (١٠) الآف محارب يوناني من إيران الى بلادهم، ويمرون وهم يحاربون مجبرين أو راغمين بمنطقة هكاري الحالية، ويواجهون قتالاً ومواجهة من قبل شعب يسمى (كاردوخ)، ولهذا الإسم أي (كاردوخ) أهمية تاريخية – إثنوغرافية ولغوية كبيرة جداً لنا – لاسيما إذا عرفنا أن هذا الإسم في الأصل هو (كاردو)، وكما أكد الإختصاصيون أن الحرف (خ) علامة الجمع في اللغة الأرمنية – الأورارتوبية ومن لغتهم وقعت على الإسم، ومن جانب آخرين فإنها أصبحت جزءاً من الإسم(١٠).

هنا إذن معنى الإسم (كاردوخ) يكون (كاردكان). وقرب هذا الإسم من إسم الكُرد، معلوم وواضح للجميع كاردو و(كُرد)، فإذا راعينا أن في اللغات الإيرانية (١) و(و) على الأقل في بعض الحالات تحل محل الأخرى بسهولة، ربما يكون لنا الحق الكامل أن نعتبر هذين الإسمين (كاردو) و(كُرد) إسماً واحداً، هذا إذا إستطعنا أن نؤكد أن لغة الكاردوخيين كانت إيرانية، لأن هناك بعض الآراء تشك في إيرانية لغة الكاردوخيين، كالمستشرق السوفيتي أو. ڤيلچيڤسكي(١١). وكذلك البروفيسور الدكتور جمال رشيد(١٢).

وفي الواقع ليست لدينا أية دلائل ملموسة للقول أن لغة الكاردوخيين لم تكن إيرانية، وگزنفون نفسه لايذكر لنا شيئاً عن لغة الكاردوخيين، يشير فقط بأنهم أثناء تكلّمهم مع الكاردوخيين الأسرى أن

(٩) KITAB KARNAMA II ARDASHERI PAPKAN PREVODNA RUSSKI YAZIK U. M. CHU-NAKOVA.MOSKOVA 1987 STR 72/92.

* ثمة آراء أيضاً تعتبر أردشير والساسانيين عامة من الكُرد، أنظر كارنامه أردشير بابكان، ترجمة ودراسة شاسوار. خ هرشمي، السليمانية ٢٠٠٠، ص٢٣.

(١٠) د. جمال رشيد، دراسات كُردية في بلاد سوبارتو، بغداد ١٩٨٤، ص٧٣.

(١١) او. ل ڤيلچيڤسكي، نفس المصدر، ص١٧٨.

(١٢) د. جمال رشيد، نفس المصدر، ص٨٢.

مترجمهم الوحيد الذي كان يعرف اللغة الفارسية لم يحتاجوا إليه، بل لجأوا الى مترجم آخر، ولانعرف أية لغة كان يتقنها ذلك المترجم الآخر الذي ويحادث بواسطتها الكاردوخيين. وعلى هذ يصل ڤيلچيڤسكي الى نتيجة وهي أن لغة الكاردوخيين لاينبغي أن تكون إيرانية[١٣]. فقط لأن اليونانيين غيروا مترجمهم، ولانعرف السبب في هذا.

وهذه النتيجة برأينا ليس لها أساس قوي، ونحن نعرف تمام المعرفة أن اللغات الإيرانية منذ عهد مجيء الماديين والفرس الى المنطقة في القرن التاسع ق.م حتى عهد الكاردوخيين عام ٤٠١ ق.م أي بعد (٥) قرون كانت قد إنتشرت بشكل واسع. هنا وبسبب من أنّ إسم (الكاردوخ) أو (كُردكان) وصل الينا من اللغة اليونانية، وهذه بدورها من اللغة الأرمنية وغيرها، لذلك يحق لنا القول: إن هذا الإسم إسم قومي أجنبي (اكزو اثنونيم)، وهؤلاء أنفسهم ربما سموا أنفسهم (كُرد)، إذن فإن (كاردو) وقتئذ كانت (أكزو إثنونيم)، و(الكُرد) (اندو اثنونيم)... وثمة دلائل أخرى لإفتراضاتنا هذه.

يتحدث القس ميشيحا زخا صاحب مخطوطة (خرونيكا) آديابينا عن أحداث بلاد (كاردو)، أحد هذه الأحداث أو الحوادث إنتفاضتهم ضد پارفيا في عهد الملك ڤولوگيش (المتوفى ١٤٧م) الذي يهاجم البلاد أي بلاد (كاردو) بالتعاون مع جيش آديابينا.

وكثير من العلماء والمختصين يظنون بأن هذه البلاد هي بلاد (گورديينا) التابعة لبلاد (كاردوخان)[١٤]، ولكن ڤيلچيڤسكي بقراءة دقيقة لنص مشيحا زخا يقرر بأن القصد من المنطقة الجبلية لبلاد كاردو ليس أبداً بلاد كاردوخان، والدليل على هذا هو أن إنتفاضة كاردو أقلقت قبل أي شخص آخر ڤولوگيش ملك پارفيا في قطيسفون (المدائن)، ويطلب ڤولوگيش مراراً من حاكم آديابينا راكتاباكت أن ينجده بجيش، ويتوجه الجيش نحو قطيسفون، ومنها يتوجهان بجيشهما معاً نحو بلاد (كاردو). وإلاّ إذا كان القصد بلاد (كاردوخان) لكان راكتاباكت قلقاً من آديابينا قبل ڤولوگيش لأن بلاد كاردوخان قريبة من آديابينا، ولم يكن جيش راكتباكت والحال هذه يتوجه نحو الجنوب الى قطيسفون[١٥].

ان رأي ڤلچيڤسكي المعتمد على نص خرونيكا لآديابينا واقعي الى حد كبير، ومنه يصل ڤلچيڤسكي الى نتيجة وهي: إن بلاد (كاردو) ينبغي أن تكون موقعاً بين أديابينا (اربيل) وقطيسفون (المدائن)[١٦] – أي المناطق المحيطة بـ كاركا (كركوك)، وربما المقصود بـ(المنطقة الجبلية) – جبل حمرين الى الشرق وحتى جبال منطقة السليمانية. وهنا تسترعي نظرنا نقطتان؛ أولاهما؛ هنا أيضاً يواجهنا إسم (كاردو)، وعلى لسان الأجانب أيضاً ولانعلم أي إسم ذاتي كانت تحمله هذه الأسماء أي (كاردو).

وثانيهما؛ منذ ذلك العصر أي القرن الثاني للميلاد كانت مناطق كركوك موطناً للكُرد، ولهذا أهمية رئيسية لبحثنا، وليس هذا فحسب، بل هنالك توقعات حول سكان وبيوتات الكُرد داخل مدينة

(١٣) او. ل ڤيلچيڤسكي نفس المصدر ص١٧٨.
(١٤) د. جمال رشيد، نفس المصدر، ص٨٨.
(١٥) او. ل ڤيلچيڤسكي، نفس المصدر، ص٢٨٥.
(١٦) نفس المصدر

كاركادا[١٧]. وهذه التوقعات ليست بلا أساس واقعي وتؤيدها المصادر والإختصاصيون وعلماء معروفون. أحد هذه البيوتات كان ثمة إسم إيراني هو الإسم (بورزان) كما ورد في مخطوطة (خرونيكا) كاركادي بيت سلوخ[١٨] المكتوبة باللغة السورية الآرامية في القرن السادس الميلادي.

وهذا الإسم أي (بورزان) له سمه إيرانية، وكان شائعاً جداً في العصر الساساني[١٩] وبعض الإختصاصيين يربطون مسألة علاقة (بورزان) بعائلة شيوخ بارزان الحالية[٢٠] وهنا المسألة بحاجة الى توضيح، إذ أن ورود إسم عائلة بورزان في خرونيكا كاركادا له علاقة بعهد الدولة الآشورية، أي القرن السابع والقرون السابقة للميلاد.

هذا بصدد السكان القدماء لمدينة كاركا (كركوك) نفسها، ومن جهة أخرى فإن ڤلچيڤسكي يقرّب إنتفاضات بلاد كاردو الواردة في خرونيكا آديابينا الى الكُرد ويحد وطنهم من الجبال في كركوك والسليمانية، ولهذا توصل الى نتيجة مفادها ان مناطق كاركا والسليمانية وآديابينا من أقدم الأماكن لمواطن الكُرد[٢١]، ولهذا أساس كامل كما سنعود اليه فيما بعد في هذا البحث.

وهنا كما رأينا أن المشكلة الرئيسية في الإثنوغينيسيا الكُردية هي – الإثنونيم – ولاسيما إهمال دور (الأكزاو إثنونيم) أي الإسم القومي الخارجي أو الأجنبي، لكن الإثنوغرافيا في موضوع مسيرة نشأة الشعوب يبدأ من الإثنونيم، وقبل كل شيء البت في نوعي الإسم القومي: الأجنبي والذاتي.

وفقط هذه النقطة المفهومية أيضاً لاتدعُنا نتفق مع رأي ونتائج بعض العلماء والمختصين حول الإثنوغينيسيا والإثنونيم الكُرديَّيْن. منهم ڤيلچيڤسكي الذي أهمل إسم (كاردوخ) ولم يعتبره (أكزو إثنونيم)، لأنهم حسب زَعْمه لم يكونوا إيرانيين ودليله لهذا ضعيف جداً. كذلك ينكر الدكتور جمال رشيد إعتماداً على آراء نولدكه وإيسباغ وهيدي أن يكون (كاردو) و(كُرد) إسماً واحداً؛ والأكثر من هذا برأيه ان كلمة (كُرد) قبل أن تكون إسماً قومياً للكُرد كانت لها دلالة إجتماعية، أُطلقت على الرعاة[٢٢]. كذلك لم يهتم الدكتور جمال رشيد بنفس الصيغة بإثنونيم (كاردو) و(كُرد)، فعنده أن مواطن إنتفاضات (كاردو) يقع في منطقة بوتان. من جانب آخر لم يلتفت الى مسألة وهي أننا لاينبغي أن نهتم فيما إذا كان الأجانب والشعوب الأخرى يستخدمون أية دلالة لأكزوإثنونيم شعب من الشعوب. على سبيل المثال كان اليونان والرومان يطلقون على الشعوب الأخرى كلمة البربر، ولايزال هذا الإسم أكزوإثنونيم شعب شمال أفريقيا. لذلك فإذا كان علماء العرب الجغرافيون أطلقوا على كافة

(١٧) مدينة بيت كرخ سلوڤ (سلوك) = كركوك ،ترجمة من الفارسية، وريا قانع مجلة رامان، عدد ٤٩، ٥/٧/٢٠٠٠ ص٨١ – ٨٢. و(عن كتاب: شهرهای إيران در روزگار پارثيان وساسانيان) كتبه پيگولسكايا باللغة الروسية، وترجمة عناية الله رضا الى الفارسية.

(١٨) او. ل. ڤيلچيڤسكي نفس المصدر ص ٢٦٠ – ٢٦١.

(١٩) نفس المصدر.

(٢٠) نفس المصدر.

(٢١) نفس المصدر ص٤٥٨.

(٢٢) د. جمال رشيد، نفس المصدر ص٨٦ و٨٨.

الرعاة في بلاد إيران كلمة (كُرد)، فلايعني هذا أبداً أن إسم الكُرد لم يكن وقتذاك إثنونيم الكُرد، بل على العكس من ذلك، فإن هذا الإسم كان شائعاً الى درجة خيّم على كافة الأقوام والشعوب الأخرى الذي عاشوا مثلهم وسُموا بالكُرد.

ودليل آخر حول مسألة وحدة إسمي (كاردو) و(كُرد) كما نعرف ذلك جيداً في المصادر التاريخية، ففي القرن الثالث عشر كان إسم الكُرد قد ثبت وترسّخ وكان يستخدم كإثنونيم شعب بهذا الإسم ويدور دوماً على الألسن، ولكن في القرن الثالث عشر نفسه عندما يتطرق ماركوپولو الإيطالي للحديث عن الكُرد يسميّهم (الكارد) وبلادهم بـ(كاردستان)[٢٣]، إذن وبسبب وروده على لسان أجنبي فقد أصبح (أكزو إثنونيم)، وهنا لايشك أحد بأنه يعني الشعب الكُردي. وإذن فـ(كاردو) و(كُرد) كما وردتا هكذا دوماً ومنذ القدم كان لهما معنى مشتركاً.

لذلك فنحن نستطيع التوصل من أهم نقطة في مفهوم الإثنوغرافيا الى نتيجة وهي أن خلال فترات عملية الإثنوغينيسيا الكُردية ان كلا من إسمي (كاردو) و(كُرد) إسمان قوميان لإثنوس واحد وهو الإثنوس الكُردي، والإسم الأول عبارة عن (أكزوإثنونيم)، والثاني عن (أندوإثنونيم).

دلائل ومؤشرات أثنيكية أخرى:

وفيما عدا الإثنونيم الذي يعتبر من أهم الموشرات والجذور لتحديد الهوية القومية فهنالك دلائل وسمات أخرى – كما أشير اليها سابقاً – لها أهميتها، منها اللغة والأرض.

اللغة ظاهرة إجتماعية، وسمة لاية مجموعة من المجموعات، أو قبل أية مجموعة الإثنوس أيضاً. فاللغة عدا كل أهميتها وكضرورة حتمية للحياة تعتبر كذلك ظاهرة بارزة جداً وملموسة، وتميز سريعاً مجموعة عن المجموعات الأخرى ولذلك أيضاً أصبحت علامة مميّزة.

كذلك من الطبيعي بل من الضروري في عملية إثنوغينيسيا الشعوب (الى جانب الإثنونيم) دراسة الدلائل والمؤشرات مثل اللغة ودورها في هذه العملية. وبسبب من أن اللغة صاحبة ثقافة وتراث لذلك من المهم أن نعرف أية لغة يملك هذا الإثنوس، والى أية عائلة لغوية ينتمي، وأية صلة قرابة له مع إثنوس آخر. ولهذا الهدف فالاثنوغرافيا لها مفهومها الخاص بصدد تقديم الشعوب على أساس العوائل اللغوية.

إن بلورة نوعية لغات الشعوب خاصة لها أهميتها، إذ أنه في بعض الحالات يرد إسم قومية ما (إثنونيم) في الأساس من لغة وثقافة أخرى، ولايزال هناك إسم شعب آخر ينتمي الى ثقافة ولغة أخرى، مثلاً – البلغار. فإسم البلغار في الأصل تسمية لمجموعة قبائل ناطقة باللغة التركية كانوا يسكنون في منطقة بلغاريا الحالية، وكان سكانها الأصليون ينتمون الى اللغات السلاڤية. أخيراً إنصهرت الأقوام الناطقة باللغات التركية، لكن الإسم بقي وأصبح إثنونيم الشعب الحالي لبلغاريا

(٢٣) كتاب ماركو پولو، ترجمه من الفرنسية القديمة الى اللغة الروسية ى. پ مينايڤا، موسكو١٩٥٦، ص٥٨.

الذين ينحدرون من أصول سلافية وهندوأوربية[٢٤]، كذلك إسم المقدونيين الذي هو إسم يوناني قديم، لكن الآن هو إثنونيم شعب سلافي في يوغسلافيا.

وبسبب هذا الدور المهم للغة برزت مشكلة الإثنونيم في عملية الإثنوغينيسيا الكُردية، وذلك بصدد الكاردوخيين الذي يُزعَم أن لغتهم لم تكن إيرانية، ولذلك فرغم قرب إسمهم من إسم الكُرد فليس من الضروري أن يكونوا كوراً[٢٥].

لقد بيّنّا فيما سبق أن دليل عدم إيرانية لغة الكاردوخيين دليل ضعيف لايمكن الوثوق به، ولذلك أيضاً نستطيع إبراز الإفتراض القائل أن هؤلاء أيضاً –أي الكاردوخيين– مثل غيرهم من شعوب المنطقة كانت لغتهم إيرانية. أما لغة الكاردوئيين المنتفضين الذي ورد إسمهم في خرونيكا آديابينا، فربما نطمئن لا الى إيرانية لغتهم فحسب، بل الى كُرديتها أيضاً وذلك بالإعتماد على نظرة دقيقة لـ: ڤيلچيڤسكي كدليل لوجود اللغة الكُردية في ذلك العصر. وكما ورد في خرونيكا آديابينا، فإن قائد مقاتلي أو منتفضي بلاد كاردو كان رجلاً بإسم (كيزو) وهذا الإسم المنتهي بحرف (ۆ) (O) الإنكليزية لها سمة كُردية بارزة، برأي ڤيلچيڤسكي يمكننا القول بأن اللغة الكُردية آنذاك أي في القرن الثاني الميلادي كانت موجودة كلغة كاملة مستقلة[٢٦]. وهذا التوجه برأينا صحيح ويستحق الثناء لأن الحرف (ۆ) المقابلة لحرف(O) الإنكليزي شائع جداً في اللغة الكُردية وخصوصاً في النداء. هذا وعندما يقول ڤلچيڤسكي أن اللغة الكُردية آنذاك – القرن الثاني للميلاد – كانت موجودة واضح أنه لايقصد أبداً أن اللغة الكُردية نشأت فقط في تلك الفترة، بل هو يتحدث عن لغة متكاملة ومستقلة، أي أن اللغة الكُردية كانت وقتئذ قد مرت بحقبة تاريخية طويلة من نشأتها، وأنها كانت حينها لغة متكاملة كاملة النمو. وهذا ما يسهل لنا القول أن لغة (كاردو) هذه كانت نفس لغة الكاردوخيين – لأن هؤلاء أيضاً كانت لغتهم إيرانية، وليس ثمة أي حاجز يعترض طريق إلتقاء هذين الشعبين أي: (كاردو) و(الكاردوخيين) الذي عاش اولهما في منطقة كركوك وجبل حمرين، وثانيهما في منطقة حكاري.

إن الأرض المشتركة لمجموعة بشرية شرط ضروري لكي يعيشوا عليها، يختلطوا ببعضهم ويتوحدوا ويصبحوا (إثنوساً). إن أهمية الأرض المشتركة لأبناء أحد الإثنوسات تكمن في أنه عدا عن كونها وطناً ومستقراً لهم، فإنها تخطط لهم أيضاً الكثير من المجالات المادية والروحية، كالإقتصادية والثقافية والسيكولوجية... الخ. لذلك علينا في عملية الإثنوغينيسيا الكُردية العثور على المكان الذي بدأت منه هذه العملية أو على الأقل تحديد مكان عدد من حلقاتها.

حسب المصادر ورد أول ذكر لإسم الكُرد من الكاردوخيين كما قلنا، وموطنهم منطقة حكاري الحالية في كُردستان، كذلك بإستطاعتنا تحديد موطن الكاردوئيين حسب بعض الاراء في مناطق كركوك وجبل حمرين الحالية في كُردستان. لذلك بإمكاننا منطقياً أن نطرح السؤال التالي:

(٢٤) بروميله، بودلتي، نفس المصدر، ص٧٣.
(٢٥) او. ل ڤيلچيڤسكي، ص١٩٧، ٢٩٨: د. جمال رشيد ص٨١.
(٢٦) او. ل ڤيلچيڤسكي، ص٢٩٦.

ترى أي شيء أوضح وأكثر بياناً من أن منطقتين (هكاري وكركوك) كلتيهما تصبحان فيما بعد جزءاً من كُردستان، وسكان المنطقتين كلتيهما لهم إثنونيم (كاردو) القريب) جداً من إسم (الكُرد)، ولغة شعب كلتا المنطقتين كاللغة الكُردية الحالية كانت لغة إيرانية، إذن ما الذي يمنعنا لكي نعتبر هؤلاء الكاردوئيين السكان القدماء لمنطقتي كركوك وحكاري كُرداً، ومناطقهم كُردستان؟!

فهنا وبإعتمادنا على المصادر والدلائل الواقعية لنا كامل الحق في هذا الإعتبار، لأنه وفيما عدا شرط وجود الإثنونيم الخاص بسكان المنطقتين، فإن لدينا كذلك شرطا اللغة والأرض المشتركتين: إذ أن

«الاثنوس ينشأ فقط عندما يعيش أعضاؤه معاً، ويتعاملوا مع بعضهم البعض مباشرة، أي أن يعيشوا على أرض واحدة ومساحة واحدة ويتكلموا لغة واحدة أيضاً»(٢٧).

لذلك فنحن نعتبر عصور الكاردوخيين والكاردوئيين حلقة واحدة لعملية الإثنوغينيسيا الكُردية، مع أنه حسب ورودهما في المصادر ثمة فترة ٦٠٠ عام تفصل بينهما. وإذا صح ذلك –أي أن كاردوئيي منطقة كاركا لم يكن لهم وجود في عهد كاردوخيي حكاري– فلن يُنقص ذلك من رأينا أبداً، لأن مسيرة تطور الإثنوغينيسيا ترتبط دائماً بالتوسع والإنتشار، وأن كاردوئيي حكاري توسع موطنهم جراء هذه المسيرة حتى وصل الى كركوك وجبال حمرين في القرنين الأول والثاني الميلاديين. عدا هذا فان أحداث عهد الكاردوخيين وكاروئيي كركوك كلها دليل الوعي والمعرفة الذاتية الإثنيكية لهم مثل الحرب ودفا ع الكاردوخيين عن أنفسهم ضد اليونانيين، وإنتفاضة الكاردوئيين في منطقة كركوك ضد البارفيين، وقد أوضحنا سابقاً أن المعرفة الاثنيكية الذاتية نتيجة طبيعية لوجود الاثنونيم. إذن فشرط ضروري لوجود إثنوس إذ كان له اسم قومي خارجي وهو (كاردو)، وكان إسمه الذاتي (كُرد).

النتيجة

على ضوء ما تقدم بإمكاننا صياغة النتائج بشكل مختصر كما يلي:

١– تنشأ الشعوب عبر مسيرة تاريخية طويلة تلعب فيها العناصر والأجناس والظواهر والأحداث المختلفة دوراً كبيراً.

٢– من وجهة نظر علم الإثنوغرافيا هنالك دلائل ومؤشرات ينبغي أن تظهر في مجموعة أناس حتى يتم إعتبارهم شعباً (إثنوس)،و ما يتعلق بإثنوغينيسيا الكُرد فنحن نقف فقط على ثلاثة من هذه الدلائل: (الإثنونيم، اللغة، الأرض)، حيث إستطعنا أن نجدها عند كاردوخيي عام ٤٠١ ق.م. وهي برأينا بمثابة وثائق لوجود الدلائل والمؤشرات الأخرى، كذلك لوجود ظاهرة المعرفة الإثنية الذاتية

(٢٧) U. N. BROMLE, V. I. KOZLOV ETNOSI IETNICHISEI PROSESSI KAK PREDMET ISSLEDOVANYA (BKN) ETNICHISKIE PROSESSIV SOVRIMENNOMMIRE MOSKOVA/ 1978/ STR. 6 .

عند إثنوس كاردو (خ).

٣- الـ(كـاردو) و(الكُرد) كـانا إثنونيـمين لإثنوس واحـد، أولهـمـا كـان الإسم القـومي الأجنبي (أكزوإثنونيم)، وثانيهما الإسم القومي الذاتي (أندوإثنونيم).

٤- لقد كان كاردوخيو منطقة حكاري وكاردوئيي منطقة كركوك يتكلمون بلغة إيرانية، وكانت لغة هولاء الأخيرين أي كاردوئيي كركوك لغة كُردية متكاملة.

٥- بسبب من أن موطن الكاردوخيين كان (حكاري) وموطن بلاد الكاردوئيين كركوك وجبل حمرين وهما جزء من كُردستان، كذلك بالإعتماد على الدلائل والمؤشرات الأثنية الأخرى، نستطيع أن نعتبر هاتين المنطقتين الموطن والأرض المشتركة موطناً تاريخياً للشعب الكُردي الحالي.

جيولوجية منطقة كركوك وأثرها على تجمع النفط

الدكتور علي محمود سورداشي
كلية العلوم/ جامعة صلاح الدين

مقدمة:

بعد إكتشاف النفط ودراسة نظريات نشوئه وربطها بالوضع الجيولوجي، شرع المتخصصون الأجانب في القرن التاسع عشر بالبحث ودراسة الميزات المشتركة للحقول النفطية في بلادهم، وإستطاعوا في بداية القرن العشرين قبل نشوب الحرب العالمية الأولى التوصل الى بداية للوضع الجيولوجي في منطقة الشرق الأوسط. وبعد الحرب أصبح بوسعهم تحليل التاريخ الجيولوجي للمنطقة، وإكتشفوا أن مركز أعظم محيط في العالم مرّ وسط هذه المنطقة المتمثلة بخط سلسلة جبال زاگروس من قمة بلاد عُمان في الخليج نحو أصفهان وكرمنشاه، وپينجوين، وحاج عمران، وشيروان مزن، وكاني ماسي، وماردين، والأسكندرونة حتى بلاد قبرص. وكان هذا المحيط هو Neo Teths تيشس الحديث، الذي إمتدت سواحله الشرقية حتى المشارف الساحلية لسنجار، ورطبة، والصحراء الغربية، ومدينة الرياض العاصمة السعودية، والسواحل الجنوبية للربع الخالي.

إن الساحل الشرقي لتيشس كان يضم الساحل الشرقي لأفغانستان وإيران وشمال تركيا، وكانت مساحة هذا المحيط بين كُردستان الكائنة تحت مياه البحر وإيران تبلغ آلاف الكيلومترات. لقد تهيأت لترسبات هذا المحيط على أرض تلك البلاد الحالية ظروف ملائمة جداً– حيث كانت تغطيها عصرئذ مياه المحيط (أنظر الشكل رقم ١) – لتتكون منها أحواض عميقة ولاتتحلل المواد العضوية في ترسباته بالأوكسجين، بل تقطرت المواد العضوية الى آيكروجين وهيدروكاربون بفعل حرارة الأرض. وداخل طبقاتها.

وعلى ضوء هذه الحقيقة تبين أن البلدان الواقعة على الساحل الشرقي لهذا المحيط والتي تدعى الآن منطقة الخليج (غرب إيران والعراق، وعُمان، والإمارات، وقطر، والبحرين، والسعودية، والكويت) تعتبر من أغنى مناطق العالم بالبترول (أنظر الشكل رقم ٢). ويمكن إعتبار العراق في مقدمة هذه الدول من هذه الناحية، ومعظم مخزونه من النفط يقع في منطقة كركوك، وهو من أجود أنواع النفط في المنطقة عامة.

وبعد المباشرة بالتنقيبات الحقلية على ضوء الحقائق الجيولوجية السابقة، اكتشف لأول مرة عام ١٩٢٧ حقل نفط كركوك، وتم حفر العديد من الآبار النفطية (أنظر الشكل رقم ٢، حددت بعض هذه

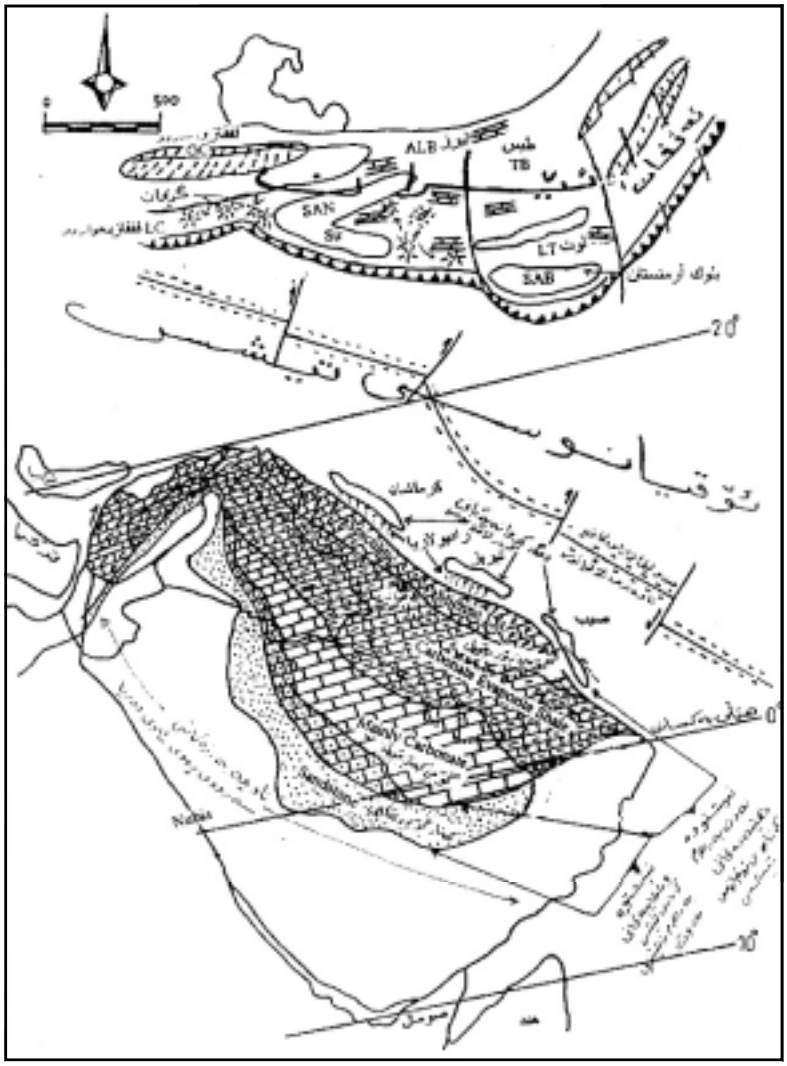

الشكل رقم (١) جغرافيا منطقة الشرق الأوسط في العصر الجوراسي – قبل ٢١٣ مليون سنة – وهو عصر ترسب الطبقات المنشئة للنفط (Dercort et ol, 1989)

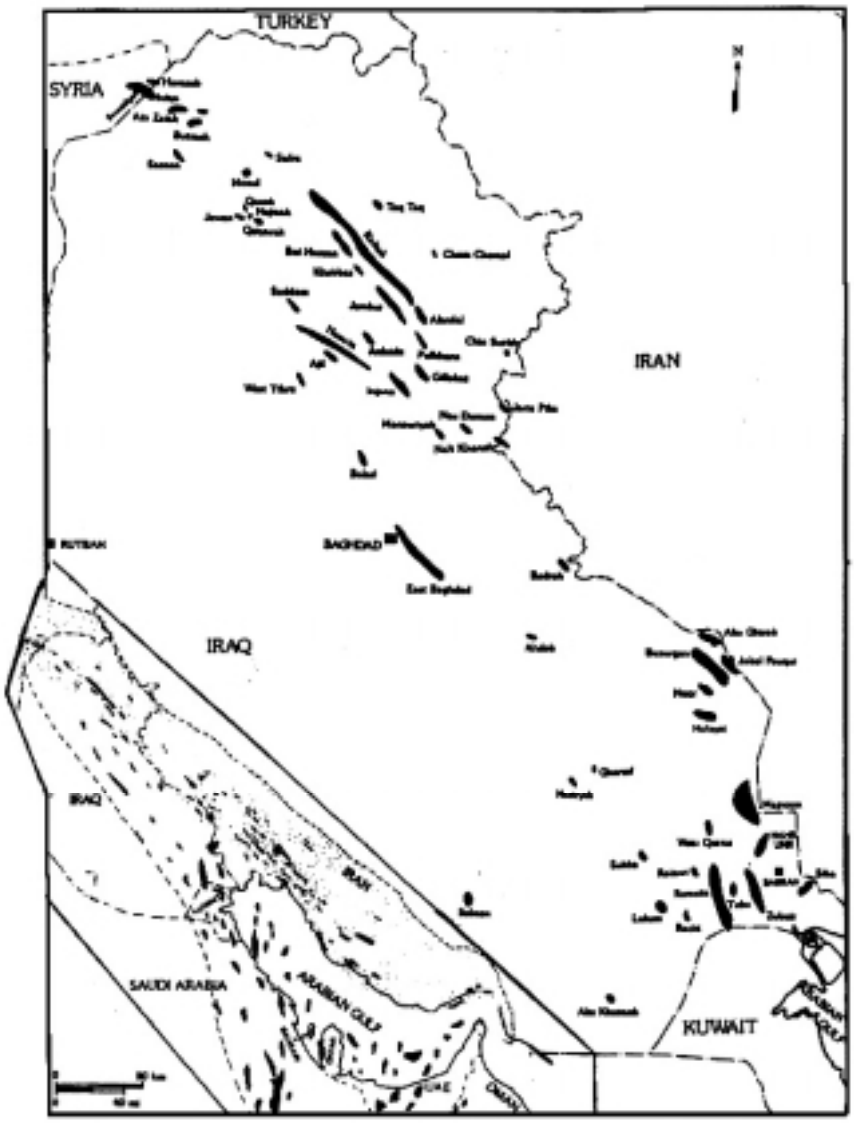

الشكل رقم (٢) حقول النفط في دول سواحل بحيرات محيط تيثس وحقول نفط العراق وكركوك (Redelle eral, 1988)

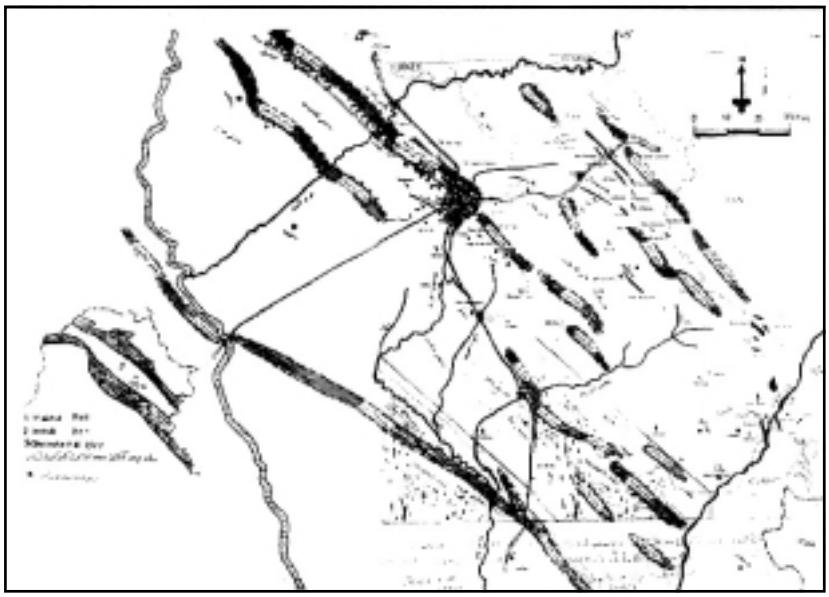

الشكل رقم (٣) طبيعة منطقة كركوك وحقولها النفطية (من إعداد الباحث)

الآبار). ثم جرت دراسة مسهبة وغنية عن وضع الطبقات النفطية من قبل (Baker 938, 1952, 1953) و(Daniel 1954) و(Henson 1950).

الوضع الجيولوجي لمنطقة كركوك

تُشكّل منطقة كركوك بكونها في وسط كُردستان العراق موقعاً جيولوجياً ممتازاً، كما تهيأت لها فرص جيولوجية تحتسطحيّة مناسبة لتجمّع المصادر النفطية، ذلك لأنها تقع بين النطاقين التكتونيين أو الحركيّين للأقاليم الغربية المستقرة التي تضم القسم الغربي من العراق، والنطاق الشرقي غير المستقر ويضم المناطق الملتوية من شمال شرقي العراق (Shelves Between Stable and unstable) ويشكل حزاماً إنتقالياً بين هذين النطاقين المذكورين، وقد ساعد هذا العامل على أن تحمل ملامح المنطقة خصائص الجانبين.

إن كركوك كجزء جيولوجي حيوي من كُردستان تشكل وسط حزام التلال (Foothill Zon)، وحسب التوزيع الفيزيوغرافي لـ(Buday and dasim 1987) تشكل سلسلة منحنية سطحية ومدفونة تحت السطح تمتد بإتجاه الجنوب الشرقي والشمال الغربي، والقسم المدفون منه يحوي مخزوناً كبيراً من النفط، وقد شكّلَ سلسلة جبلية واطئة ومتوسطة تبلغ إرتفاعاتها (٣٠٠ – ١٠٠٠ متر).

تتكون الطبقات الصخرية لهذه الطيّات على الأكثر من تكويني فارس وبختياري اللذين يحويان

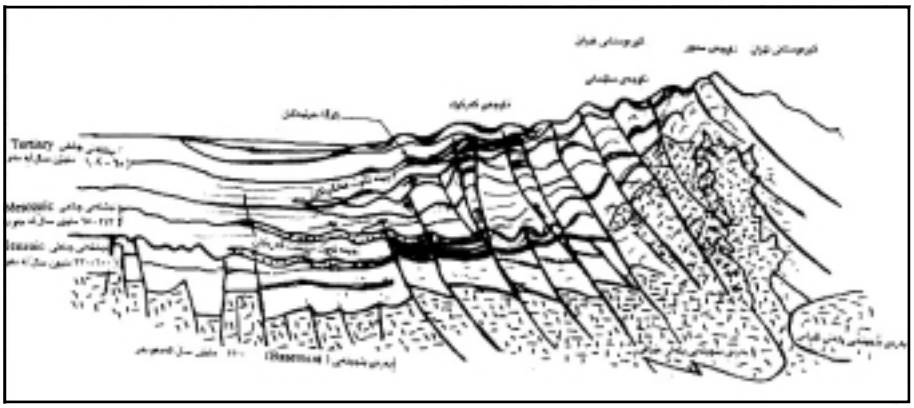

الشكل رقم (٤) مقطع من أرض كردستان لعمق أكثر من ١٥ كم (من إعداد الباحث)

نسبة كبيرة من صخور الجبسوم (المتبخرات)، والصخور الطينية واللايمستون، والرمل والمدملكات، وبين هذه الطيّات الجبلية هنالك سهول فسيحة واسعة مغطاة بترسّبات حديثة، كسهل حمرين، وكركوك وكنديناوه، والحويجة (أنظر الشكل رقم ٣). ويبلغ سمك الترسبات في هذه المنطقة بين ١٢ – ١٣ كيلومتراً فوق طبقة الصخور الأساسية حتى سطح الأرض (From basement to earth surface)، ومعظم الطبقات العميقة لمنطقة كركوك تعتبر ترسبات للبحار العميقة، وأرصفة للسواحل البحرية القديمة للمنطقة.

إن تأثير الحركة التكتونية (Tectonic movement) على هذه المنطقة كان متوسطاً إذ لم يكن من القوة بحيث تتبخر الكميات المتجمعة فيها من النفط (Henson 1950)، ولم يكن من الضعف بحيث لايسبب حدوث الطيات (Folding) في طبقات منطقة كركوك، لئلاّ يعترض هجرة ونضوح النفط مناطق غربي العراق، بل أدى الى حدوث العديد من الإنحناءات المتوسطة في الطبقات، وهنا تكمن أهمية متوسطيّة هذه المنطقة من الناحية التكتونية، حيث أن الحركات التكتونية أثرت على الطبقات الباطنية حتى تنحني وتعترض في قمة أو تعرجات إنحناءاتها كميات النفط النازحة داخل الطبقات وتحبسها، وتصبح حقولاً نفطية (أنظر الشكل رقم ٤).

من جانب آخر تهيأت أحوال ملائمة لمنطقة كركوك حيث ترسبت صخور الجبسوم في عصر المايوسين فوق مساحة المنطقة بنسبة عالية، وذلك لأن أحواض المنطقة كانت معزولة، ولم تتأثر بالتيارات المائية، وإرتفاع نسبة التبخر في هذه الأحواض وقلة تعقيد الحركات التكتونية في هذا العصر الذي يعتبر ملائماً جداً من حيث النشاط التكتوني بسبب إنفتاح البحر الأحمر. هذه النشاطات أثرت كثيراً على المناطق المحاذية لخط زاگروس الذي كان نشطاً بالبراكين، والصعود، والفوالق والطيّات والإنزلاقات.

إن الطبقات الجبسومية التي تعتبر طبقات عديمة المسامات، ومانعة لمرور السوائل كالنفط والماء، وأصبحت طبقة أو غطاء لحقول المنطقة النفطية لاتفسح المجال للنزوح نحو الأعلى وإنتشارها، وحافظت على بقائها بالحصر تحتها في قمة الإنحناءات، وهذا أيضاً أثّر على بقاء نفط المنطقة بنسبة كثافة قليلة (أي نوع النفط الخفيف الذي تقل فيه نسبة الكبريت والمواد الثقيلة)، وهذا ما جعل من نفط كركوك من أجود أنواع النفط في العالم.

التكوين التكتوني لمنطقة كركوك

إذا دققنا النظر في الخريطة رقم (٤) نلاحظ أن منطقة كركوك تكونت من ثلاثة أحزمة مركزية تعتبر جزءاً من منطقة التلال، وهي عبارة عن:

١- حزام مكحول

يبدأ بسلسلة جبل مكحول، حتى يصل سلاسل الجبال الواقعة بين الحويجة وداقوق، وطوزخورماتو، وهي تشمل قرەچوغ، باتيوه، علي داغ، وتساق. وإن تكوينات فارس (الفتحة وإنجانه)، وبختياري (مقدادية وباي حسن) تظهر في جبال هذه المنطقة.

٢- حزام كركوك

يقع شمال الحزام السابق، ويمتد من كفري حتى كركوك ودوبز (دبس)، حدوده الشمالية تضم سلاسل جبال (كفري) و(شاكل) و(باسكي زنور)، (وكاني دوملان)، وأوانه. يظهر فيها تكوينا فارس وبختياري.

٣- حزام چمچمال

وهذا الحزام هو الآخر يقع شمال الحزام الثاني ممتداً من (باوەنور) نحو (سنگاو) حتى چمچمال ومنطقة شوان التي تنتهي حدودها الشمالية بسلاسل جبال قوپي قرەداغ وسگرمه وخالخالان، ويشكل القسم الجنوبي من هذا الحزام هضبة تعرف بـ(هضبة كركوك)، أمّا بإزاء منطقة چمچمال عند الطرف الجنوب فتُعرف بهضبة مقان.

تركيبية منطقة كركوك وعلاقتها بالمستودعات النفطية:

تكونت الأحزمة التكتونية السابقة من تراكيب معقدة نتيجة الحركات التكتونية الألبية المتنوعة المتشكلة من طيات الجبال، وهذه السلاسل التركيبية عبارة عن مجموعة إنحناءات بإتجاه الشمال الغربي والجنوب الشرقي بشكل مدفون تحت سطح الأرض في المنطقة، وهذه الطيات تكونت نتيجة الفوالق الصاعدة الى الأعلى Up thrusthing fult حسب رأي (Beydoun 1991) في دراساته حول وضع تركيبية المنطقة.

إن هذا النوع من التراكيب كان له دور رئيسي في هجرة النفط (Oil migration) من الطبقات العميقة الناشئة (Deep Source yock structure)، لأن هذه الفوالق نشأت من الطبقات العميقة نحو

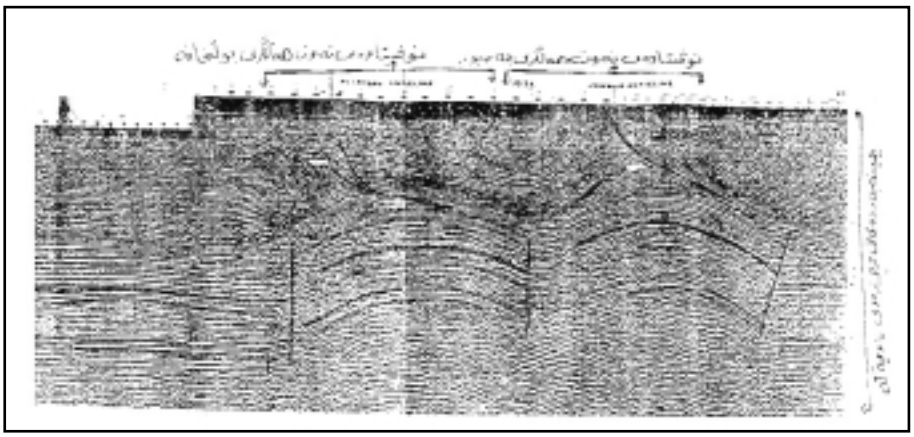

الشكل رقم (٥) مقطع سايزمي من الطيات النفطية تحت الأرض في مناطق بولخانه وجمبور
(Al-Janabi, 1996)

الطبقات القريبة من السطح، بشكل قناة مساعدة لمرور النفط من الطبقات العميقة نحو الغطاء الخارجي من الطبقات القريبة من السطح والتي هي على شكل طيات (Fold Shape) من مجموعة كركوك أو مجموعة أوليغوسين كما في الشكل رقم (٥)، عبارة عن مقطع زلزالي لوضع الطبقات الجوفية في منطقتي (جمبور وبولخانه) (Al - Janabi 1996). ولهذه الفوالق صفة أخرى وهي كما مبينة في الشكل رقم ٦، صاعدة وممتدة بموازاة المنحنيات. إن الطبقات الجبسومية لتكوين فارس الأسفل الذي يشبه غطاء (caprock) في قمة الإنحناءات التي أشرنا اليها، لأن هذه الطبقات الجبسومية لاتسمح بمرور أية مادة سائلة أو غازية لعدم وجود المسامات أو الفراغات. وسبب آخر مهم جداً لتجمع النفط في هذه الأماكن ذات الأشكال القوسية (الطيّات) في الطبقات الصخرية، حيث بعد تجمّع النفط في قمة المنحنيات لاتساعد بأي شكل على الهجرة الجانبية للنفط ومروره في الطبقات أفقياً (أنظر الشكل ٧). لأن الإنحناءة في جناحي الطيات تؤدي الى تجمع المياه المصاحبة للنفط وتمنع هجرة النفط نحو الأسفل، بل تدفعه الى الأعلى وتساعد على إستقرار النفط في خزانة، وهي في الوقت نفسه قوة ضغط دافعة للنفط. لذلك فعند حفر أي بئر تتدفق كافة الكميات الموجودة من النفط في الطبقات المجاورة الى البئر، كما حدث في العشرينات عند حفر أول بئر للنفط في حقول نفط كركوك حيث تشكلت بحيرة على سطح الأرض بسبب تدفق النفط، وذلك لعدم السيطرة على ضغط نفط البئر بشكل فني، ومن الناحية الزمنية فإن تراكيب هذه المنطقة سواءً المنزلقة منها أو المنحنية تشكلت في طورَين أو مرحلتين:

الطور الأول: من نهاية العصر الكريتاسي قبل ٦٥ مليون سنة بسبب حركة الأرض الأفقية اللارامايد

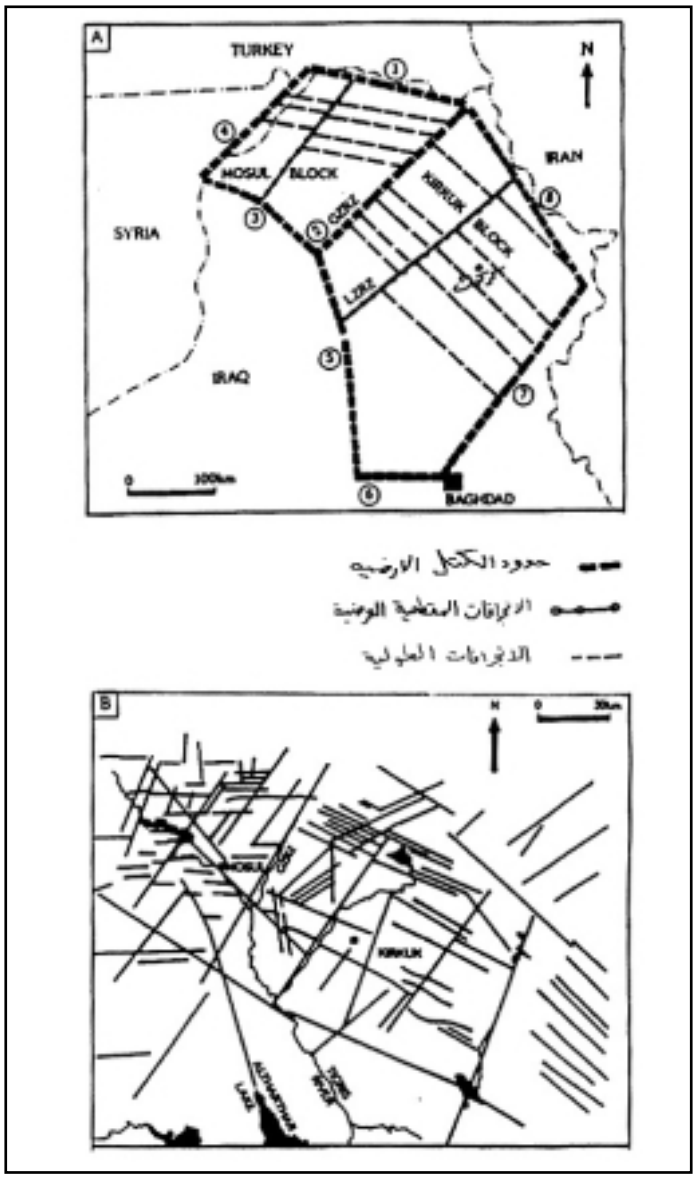

الشكل رقم (٦)

A– إنزلاقات منطقة كركوك وأطرافها، وإتجاهاتها

B– النسب التركيبية فوق سطح الأرض (بخطوط مستقيمة) في منطقة كركوك تبين أن نسبها منعت النفط من التسرب الى الخارج عبر العصور

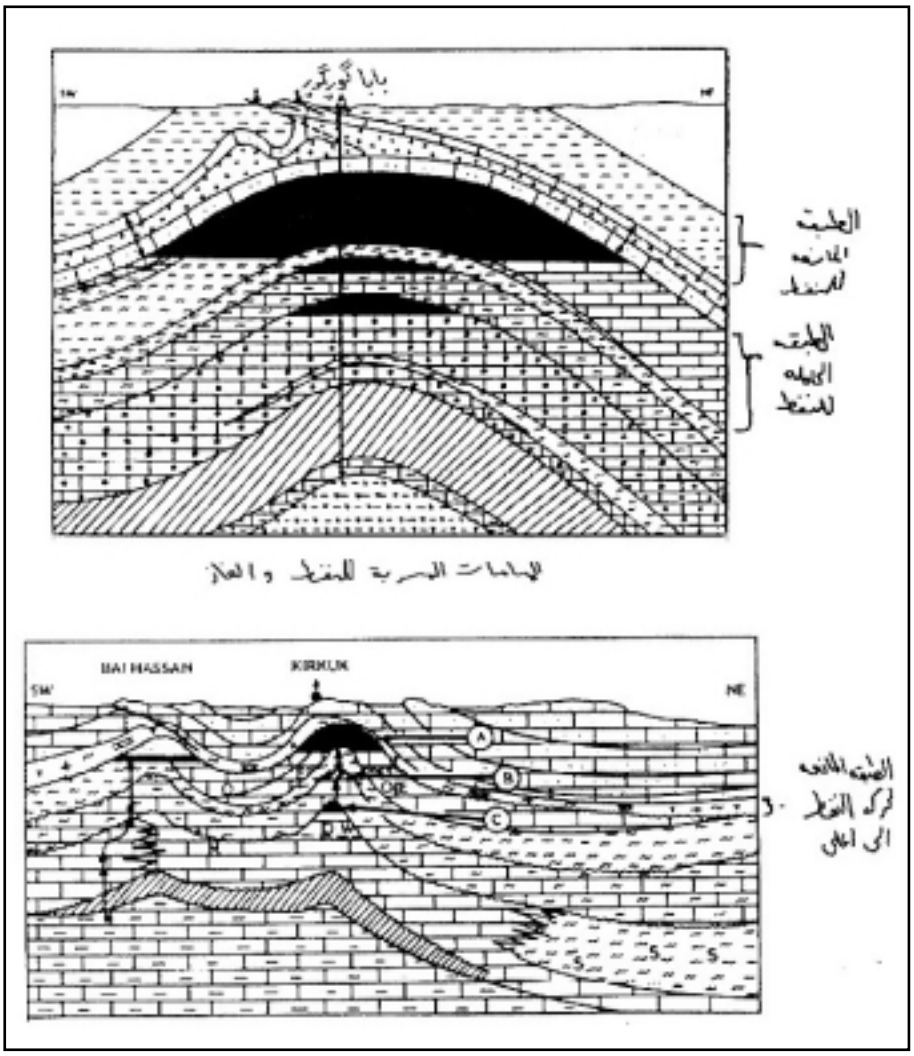

الشكل رقم (٧) مقطع تحت الأرض لحقول باباگورگور وكركوك وباي حسن وأسلوب تجمع النفط

A وB وC تحدد ثلاث مستويات مختلفة للنفط

Laramide orogeny، وهي من نوع حركة الأرض الأفقية الناشئة نتيجة تقرب وإصطدام صفيحتي إيران والعراق، التي تعتبر الطور الأول من الحركات البانية لجبال زاگروس (سورداشي ١٩٩٨)، التي نشأت نتيجة إنغلاق محيط (التيشس الحديث) بين الصفيحتين العراقية والإيرانية، وسبب ظهور الإلتواءات والإنزلاقات بدرجات متباينة أشدها في المناطق الحدودية: پينجوين، ماوَت، حاجي عمران، وخواكورك، ويقل تأثيرها نحو المناطق الداخلية من كُردستان.

أما الطور الثاني: من الحركات فحدث في العصر المايوسيني قبل (١٥) مليون سنة من الآن، نتيجة إنفتاح البحر الأحمر الذي لم يتواجد سابقاً، والذي أثر على زيادة سرعة الصفيحة العراقية تحت الصفيحة الإيرانية بمقدار (١٢) مرة أكثر من السابق (ربيعة ١٩٩٠).

إن إندفاع الصفيحة العراقية تحت الصفيحة الإيرانية في هذه الأثناء أثر على زيادة الإلتواءات والإنزلاقات، وإرتفاع الترسبات نحو الأعلى ولكن بدرجات متوسطة على ترسبات منطقة كركوك.

الوضع الترسيبي لمنطقة كركوك

إن منطقة كركوك كجزء من النطاق غير المستقر شكلت أحواضاً ترسيبية مناسبة لتوليد المواد الهيدروكاربونية خلال عصري الترياسي والجوراسي قبل حوالي ٢٠٠ مليون سنة، حيث ترسبت تكوينات: كورەچانيه، بلوطي، سارگيلو، ناوكيلكان، وچيا گاره التي تعتبر صخوراً مولدة للنفط، ويتراوح سُمك هذه الطبقات بين ٦٠٠–١٠٠٠ م (Bellen 1955) بسبب عمق أحواض فترتي الترايسي والجوارسي كبيئة إختزالية ساعدت على عدم تحلل المواد العضوية ونضوجها حرارياً وتقطيرها الى المواد كيروجينية ونفطية خلال ملايين السنين. وفي نفس الوقت كانت منطقة الموصل مرتفعة عن مستوى سطح البحر على شكل جزيرة مغطاة بالنباتات تعيش عليها الحيوانات لتشكل مصدراً للمواد العضوية تنقل الى البحار المجاورة لتشارك مع الكائنات البحرية في تجمع المواد العضوية مع ترسبات قاع البحار في منطقة كركوك والمناطق المغطاة بالبحار كما في الشكل رقم (١).

في العصر الكريتاسي قبل حوالي ١٠٠ مليون سنة زادت نسبة ترسيب الصخور الكلسية في منطقة كركوك والمناطق المجاورة أكثر من المناطق الأخرى على الصفيحة العربية بسبب إرتفاع قاع الحوض الترسيبي لتشكل حيود بحرية لترسيب نسبة عالية من الصخور الكلسية مثل تكوينات: قمچوغه، مودود، وبفعل العمليات التحويرية مثل الدّلته Dolomitization، تحوّرت الصخور الكلسية الى صخور دولوميتية، وأثناء هذا التغيير تزداد نسبة المسامات بسبب صغر حجم بلورات الدولومايت أكثر من الكالسايت. وهذه الزيادة في نسبة المسامات تعتبر عاملاً آخر في تجمع الهيدروكاربون داخل هذه الطبقات، وساعدت حركة اللارامايت في إنثناء هذه الطبقات بنسبة قليلة لتساعد على تشكيل أوّلي للمصائد النفطية. وفي بداية عصر الثلاثي Tertiary قبل ٦٥ مليون سنة في منطقة كركوك ترسبت تكوينات: سنجار، أليجي، خورماله، وپيلاسپي فوق المرتفع السابق لتشكل أيضاً المستودعات النفطية في آفاق أعلى من تكوينات عصر الكريتاسي في حقول نفط كركوك. وفي عصر

الاوليـغـوسين قـبل ٣٢ مليـون سنة تكوّن حـوض ترسـيـبي ممّيـز على الصفيحة العربية حصراً في منطقة كركوك والموصل والتي تعتبر العصر الذهبي لتـرسب الصـخـور الخـازنة للنفط.

إن أعلى نسبـة وأجـود نوع للنفط في حـقـول كركوك مـتـجـمـعـة داخل المسامـات لطبـقـات هذا العصـر لأن هذه الطبـقـات مـترسبّة فـوق وحـول الحيود البـحرية المرجانية الممتدة في منطقة كركوك والموصل، وتتميز بكثرة المسامـات لتـجـمع الهيـدروكـاربون، وإسـتـغـرقت فـتـرة الاوليـغـوسين ١٣ مليـون سنة، وغطت بـحـاره منطقـتي كركـوك والموصل فـقـط، حـيث أمـتـد السـاحل الشـمـالي لهذا البـحـر من خانقين الى كفري، وقادر كرم، وآلتون كـوپري، والحـمـدانيـة، وشـمـال مـدينة الموصل. أمـا منطقـتـا السليـمـانيـة وأربيل فـقـد إرتفـعـتـا فـوق مسـتـوى سطح البـحر لتشكلا اليابسة كما في (الشكلين ٨ و١٠).

شكل رقم (٨) رواسب البحيرات المتراجعة من العصر الأوليغوسيني التي رست في وسط العراق على شكل لسان. ورواسب منطقة كركوك (الطبقات الحاملة للنفط) قبل ٣٢ مليون سنة

في عصر المايوسين قبل ١٥ مليون سنة غطت مياه الحوض الضحل أكثر مناطق كُردستان وتشكلت أحواض محصورة على منطقة كركوك، وزاد ترسيب المتبخّرات أكثر من بقية المناطق التي تشكل حالياً غطاءً للحقول النفطية الأوليغوسينية، كما في الشكل (٩).

إن هذه الطبقات المتبخّرية تشكل سدّاً مانعاً أمام نضوح النفط من حقول كركوك الى السطح لعدم وجود المسامات والتشققات فيها، وبسبب خاصيتها البلاستيكية وقابليتها للذوبان تمتليء التشققات الناتجة بسبب الحركات الأرضية. ومن جانب آخر فإن جزءاً من هذه الصخور إختلط مع النفط وتحوّل الى كبريت بسبب نوع من البكتريا الإختزالية وتُصنع منها حالياً حامض الكبريتيك.

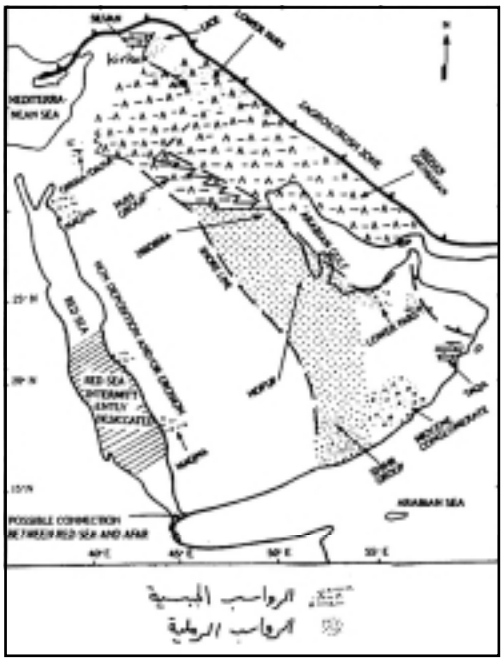

سكل رقم (٩) الطبقات المترسبة من بحيرات العصر المايوسيني الوسيط وتتألف من الجبسوم المانع لحركة النفط – قبل ١٥ مليون سنة

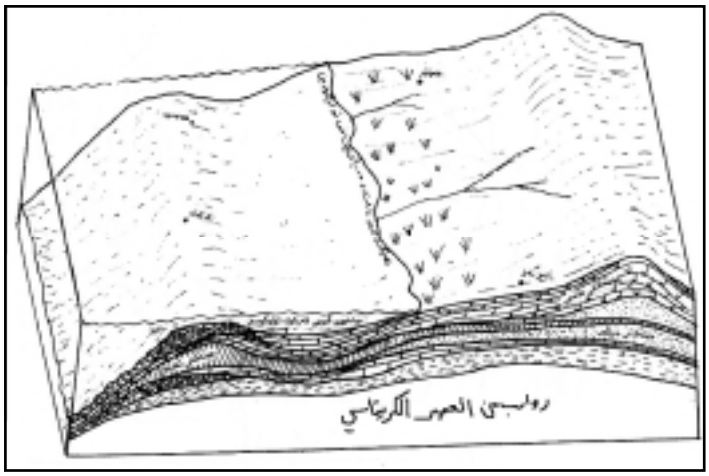

شكل رقم (١٠) مقطع من العصر الأوليغوسيني (من إعداد الباحث)

إن الحركات الأرضية في الطور الثاني لبناء جبال زاگروس وتشكيلها في عصر المايوسين ساعدت على إلتواء الطبقات الصالحة للتجمّع النفطي في منطقة كركوك بدرجات متوسطة ساعدت على خزن الكميات العالية من النفط في قمة هذه الإلتواءات، وإن هذه الحركات سبب إلتواء الأجنحة الجنوبية للطيّات أكثر من الأجنحة الشمالية، وفي بعض هذه الطيّات حدثت الفوالق على طول محورها، حيث زادت شدة هذه الفوالق في بعض المناطق، وسببت نضوح المواد الغازية المتجمعة فوق الأجسام النفطية في قمة الطيات داخل الخزانات تحت السطحية، كما حدث في منطقة بابا گرگر بشكل لهب ناري والمعروفة بالنار الأزلية.

النتائج

١- إن أحد أهم العوامل الجيولوجية لمنطقة كركوك هي موقعها الوسطي في المناطق الملتوية والمنزلقة للطيّات العالية في المناطق الجبلية، ومنطقة الصحراء الغربية للعراق.

٢- تكوين سلسلة من الطيات ذات القمم القبابية بإتجاه شمال شرق وجنوب غرب منطقة كركوك لخزن أكبر كمية من المواد الهيدروكاربونية في المنطقة.

٣- حدوث سلسلة من الفوالق تحت السطحية من الطبقات المولدة للنفط الى الطبقات الخازنة له مع إمتداد الطبقات المدفونة قرب السطح لتشكل قناةً لهجرة النفط من الأسفل الى الأعلى.

٤- تهيأت في عصر الأوليغوسين أحسن فرصة لترسيب الصخور الخازنة للنفط في منطقة كركوك فقط.

٥- في عصر المايوسين تهيأت ظروف لترسيب صخور المتبخّرات (الجبسوم) فوق الطبقات الخازنة للنفط لمنح النضوح.

٦- في عصور ما قبل المايوسين لم تتأثر منطقة كركوك بالحركات التكتونية الحركية بدرجات عالية لتسبب إنهدام وكسر الخزانات النفطية.

المصادر

- Al - Janabi, M. E. 1996, Getectonic madel of Iraq M.sc thesis baghdad.

- Baker, N.E. 1938, 1952, 1935 Science of Petrolum Vol 1 and AAPG Ball 36 - 1952 im Bellen, R.C. 1955 (The stratigraphy of the main Limeston of the Kirkuk, Baihassan, and Qarah chuag dagh structure in north Iraq. Iraq Petrolum Companies Kirkuk Iraq.

- Beydoun, Z.R. 1991, Arabian plate Hydrocarbon Geology and Potential a plate tectonic approch, AAPG studies in Grology No 33, 77 P.

- Bellen, R.C. Van, 1955, The stratigraphy of the main Limestone of the Kirkuk, BAI HASSAN, and

Qarah chaug dagh structure in North Iraq, Iraqi pertoleum and Associated companies Kirkuk, Iraq.

- Buday, T. and Jassim, S.z. 1987, The regional geology of Iraq. Vol. 2. Tectonic, Magmatism, Metamorphism, SEGSMI, Baghdad, PP. 352.

- Daniel, E.J. 1954, Bull, AAPG. Vol. 35. pp 774 - 815.

- Dercort, J. Zoneshanin, L.P. Ricon, L. E.Kazmin V.G..., 1986, Geological Evolution of the Tethys belt from the Atlantic to pamirs Tectonophysics pp. 241 - 315.

- Hinson, F.R.S. 1950, Cretaceous and tertiary ref Formations and associated sediment in middle east (AAPG) Bull. Vol. 34. pp 215 - 288.

- Marouf, N.Z. 1999, Dyn]mic evolution of the sedimentary Basins in northern Iraq and Hydrocarbon formation, migration and entrapment.

- Rebellc, M.D. Temps, J.M, Xzvire, J.P. Flament, J.M. 1998, Zagraos structural study for deep pertolum traps investigation ELF - Exploration, The 13th Iraqi Geol. cong.

- سورداشي، علي محمود أسعد، ١٩٩٨، أصل ونشاه أراضي وجبال كُردستان العراق، مجلة زانكو، المجلد (٢) خاص بالمؤتمر العلمي الثالث لجامعة صلاح الدين.

ال ربيعة، باسم محمد نادر، ١٩٩٠، تكتونية نهوض الرطبة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٢ صفحة.

كركوك في العصور القديمة

د. جمال رشيد أحمد
أستاذ في تاريخ الشرق القديم

المقدمة

كركوك

كركوك مدينة عتيقة تقع في المناطق المتموجة شمال سلسلة جبال حمرين التي تفصل بلاد العرب عن كُردستان وهي على بعد حوالي ٢٩٠ كيلومتراً شمال العاصمة العراقية بغداد. ومن نتائج الدراسات التي أجريت في المناطق القريبة من هذه المدينة على آثار القرى الميزوليثية (المرحلة الواقعة فيما بين العصرين الحجريين المتوسط والحديث كمستوطن كريم شهر) والنيوليثية (العصر الحجري الحديث كمستوطن جرمو)، الفترتين اللتين شهد الإنسان خلالهما حياة الإستقرار إثر قيام الثورة الزراعية في المرتفعات الشمالية لهذه المستوطنات تزامنتا فيما بين الألف العاشر والخامس قبل الميلاد حين إعتمد الإنسان في إنتاج قوته طوال هذه الفترة على الأمطار بعد أن جرى تبدل جذري على وسائل عيشه وتحولت معالمها من الصيد إلى الزراعة، فإن الخط البياني لإنتقال هذا الإنسان من هذه المرتفعات نحو السهول، وخاصة في نهاية عصر حضارة تل حلف (أواسط الألف الثالث ق.م)، يشير إلى أنه قد ترك الجبال والكهوف وتوجه من المناطق العليا الى المقاطعات الجنوبية بعد أن ظهرت فيها المواقع الغنية بترسبات غرين النهرين العظيمين دجلة والفرات وروافدهما كالزابين وديالى والخابور متعقباً شروطاً أكثر ملاءمة لوسائل الإنتاج الزراعي.

وبعد إجراء الحفريات في المستوطنات المتطورة التي أقيمت في العصر البرونزي على ضفاف هذه الأنهر، تبين لدى المتخصصين في علم الأركيولوجيا أن سكاناً من عصر ما قبل ظهور الكتابة هم الذين مهدوا الطريق لقيام المدن المتميزة في المناطق الجنوبية حيث أقاموا حضارتهم المحلية إستناداً على الخلفية الحضارية لأجدادهم في الشمال، وقد سبقت هذه المرحلة فترة تتميز بوصول القبائل البدوية للساميين والهنود الأوروبيين إلى وادي الرافدين. وبالرغم من الدوافع الإقتصادية وحاجة المهاجرين إلى أراضي سهلية زراعية خصبة، فإن بناء أقدم المدن غير المسورة في الجنوب كان يستند برأي ملوك دويلاتها على مجموعة من الإعتقادات الروحية البدائية، فإمّا كان السبب تنفيذاً لأوامر

الآلهة حسبما إدّعوا كانوا يحققونها على حساب طاقات أبناء الطبقات المسودة وكان من أبرز معالمها بناء الزقورات التي تمركزت فيها بيوت المعبودات أو كان الغرض من بناء القلاع والحصن في الشمال هو لتجميع أسباب الحياة للسكان فيها مع توفير وسائل الدفاع عن أنفسهم بواسطتها. وبهذه الطريقة بدأ سكان القرى القديمة مثل جرمو وكاني سور ومطاره يتمركزون في قلعة كركوك خلال عصر صناعة الفخار الذي يسبق عصر التدوين في سومر، ويرجح أن سكان مواقع أخرى كتل حسونة وتل الصوان قد إستفادوا من حضارة سكان المستوطنات الشمالية. وبعد أن أغار ملوك سومر وأكد الأوائل على بلاد سوبارتو (الصيغة السومرية والأكدية لمفهوم البلاد العليا) خلال الألف الثالث قبل الميلاد، فإن أقدم سجلات الخطوط المسمارية تشير إلى أن قلعة كيرخي (كرخا = قلخا = قلعة) كانت تقع في أرّابخا Arrapha باقليم كوتيوم Quti-um. وعلى هذا الأساس، فإن الكوتيين هم الذين أنشأوا كرخا على أغلب الإحتمال، إلا أن الحوريين طوروهابعد أن نزحوا اليها من المستوطنات المحيطة بهذه القلعة مثل شوشاره ونوزي وكوروخاني في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد وذلك نتيجة إجتياح الهنود- الآريين لمرتفعات جبال زاگروس والمناطق الشمالية والشرقية لوادي الرافدين حيث أدت هذه الظاهرة إلى تحركهم مع العبريين وغيرهم نحو سورية ومصر حيث عُرفوافي التأريخ بالهكسوس (بدو آسيا).

بنيت كركوك في الأصل كقلعة على تل مدور ذي أربع زوايا ترتفع عن السهول المحيطة بها بحوالي ١٢٠ قدماً وتشرف على وادي نهير صغير ذي مياه قليلة يفيض عادة في الفصول الماطرة ويُعرف بـ(خاصه چاي) وعلى ما يظهر فإن هذه القلعة حصّنت بسور في العصور القديمة وكان لها أربعة أبواب عُرفت في العهد العثماني بالباب الرئيسي ذي المدرجات وباب الطوب (طوپ قاپيسي) وباب البنات السبع (يَدّي قزلَر) وباب الحَلْوَجية (حَلواچيلَر)، وعلى العرف السائد في الإدارة العثمانية فقد كانت الأسواق حسب التخصص والأصناف تحيط مباشرة بالقلعة المسكونة، لكن الدوائر وسرايا الحكومة فكانت تنتشر داخل القشلة المبنية في الطرف الغربي من النهير. وبناءً على ذكرياتنا فقد كانت هذه القلعة تحتوي على بعض المزارات والمساجد والتكايا وبقايا بعض الأبنية والآثار التي تعود إلى مطلع العصر التأريخي (الألف الثالث والثاني قبل الميلاد)، كما أن النقود التي كنا نجدها بين بقايا البيوت الخربة كانت تحوي غالباً رموزاً إخمينية وهللينية وفرثية وساسانية، وكان هناك على التل حصن مثمن الأضلاع يرجع زمنه إلى العصر السلجوقي. أما أشهر المجمعات السكنية في قلعتنا فكانت تقع في قسمه الغربي الذي أشتهر بمحلة حمام حيث شاطر فيها المسلمون إخوانهم المسيحيين لقرون عديدة وكان كل من مركز مطرانية باجرمي Bêth Garmê وجامع النبي دانيال يقعان في نفس المحلة. ونتيجة للسياسة الإقتصادية التي سادت في هذه المدينة بعد أن ضمّها البريطانيون إلى المملكة العراقية وبعد تطور صناعة النفط في المناطق القريبة منها كموقعي عرفه وباباگرگر (على بعد ميلين في الشمال الغربي) حيث كانا من أغنى حقول العالم في القرن العشرين، إنتقل عدد كبير من سكان القلعة إلى خارجها مقتربين من مظاهر التطور التي بدأت تسود في الجانب الغربي من نهر

(خاصه چاي) بعد أن إستوطن فيه المهاجرون وكان أغلبهم من المسيحيين. ولقاء هذا الواقع الجديد فقد لقي أهل كركوك في بداية العهد الملكي، وخاصة بعد أن إستعلى منتسبو قوات الليڤي عليهم، بعض المشاكل مع الآثوريين الذين عيّنهم البريطانيون في شركة النفط العراقية IPC وكانوا يتميزون بثقافة ولغة تختلف عن ثقافة السكان الأصليين من الكُرد والتركمان، إلاّ أن الطمأنينة سادت على حياة هؤلاء نتيجة النمو الإقتصادي في جميع أنحاء العراق.

وبعد إعتراف مفجروا ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ بشراكة الكُرد مع العرب في السيادة على الوطن العراقي حيث جسدوا هذا الإعتراف في المادة الثانية من الدستور المؤقت، تعقدت مظاهر الحياة في هذه المدينة مرة أخرى بسبب شعور التركمان بغبن إعتقدوا أنه أصابهم لعدم ورود إسمهم في هذا الدستور، فأثارت القوى السياسية اليمينية العربية التي لم يكن لها أي نفوذ في كركوك، وبالأخص حزب البعث العربي الإشتراكي الضعيف آنذاك، حفيظة التركمان على هذا الأساس لمحاربة الوجود الكردي في هذه المدينة ثم ظهر من خلال نقل عدد كبير من العنصر الكردي لموظفي السلطة التنفيذية في إدارة المدينة شرخ كبير في ذهنية السكان الأصليين وعلاقاتهم مع بعضهم البعض وهو ظاهرة نشأت في الأصل من خطة البريطانيين وترسبات إدارتهم أيام الإنتداب والعهد الملكي وكانت تتلخص في تعريب بعض النواحي (كالحويجة) وجمع القوميات والطوائف غير المنسجمة فيما بينها من ناحية الدين والعقيدة واللسان في مدينة مثل كركوك ملحقين إدارتها بمملكة عينوا عليها أسرة غير عراقية لكي تقود هذا المجتمع المتناقض، فبدأت الأحزاب السياسية العربية تتبنى حل هذه المعضلة بناءً على توجهاتها الأيديولوجية الموزعة فيما بين اليسار واليمين المعتدل والمتطرف، أما الكُرد، فبالإستناد على الأعراف القبلية وصداقتهم المرتبطة بالقوى العربية التي لم تناصبهم العداء، إختاروا بطبيعة الحال طريقاً مشروعاً لكي يدافعوا عن حقهم بأبسط المطاليب ومنها تشكيل مديرية عامة لمعارف كردستان التي لم تر النور بتاتاً. ومع ذلك، لم يتمتع هؤلاء بإنعكاسات المادة الثانية من الدستور المؤقت غير الإجازة التي تمتع بها الحزب الديمقراطي الكردستاني لحد أواسط عام ١٩٦١ لكي يكون نشاطه علناً. ففي الواقع العملي بدأت العناصر اليمينية العربية المشرفة على دوائر الدولة تضطهد الكُرد في أغلب مجالات الحياة، وقد أصاب هذا الإضطهاد أبناء القومية الكردية في كركوك أكثر من أي منطقة أخرى بكردستان. فالسلطة العسكرية للفرقة الثانية التي كان يتزعمها ناظم الطبقچلي وبالتعاون مع أجهزة الأمن والشرطة بدأت تحارب الكرد في كركوك بحجة القضاء على (الفوضويين...؟)، نتج عن هذه الظاهرة صراع منظّم بين القوى السياسية للمجموعات الإثنية في المدينة، إما بدعوى الدفاع عن مكاسب ثورة ١٤ تموز كان يرفع شعارها اليسار العربي حيث لم يتمتع الكرد بهذه المكاسب حتى في إطار تطوير ثقافتهم القومية، أو الدفاع عن عروبة العراق الذي دعا اليه اليمين العربي لتحقيق الوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة بدون إستشارة الكرد، فإنعكست مظاهر هذا الواقع سلبياً على القضية القومية للكرد بشكل عام وخاصة بعد أن مالَ عبدالكريم قاسم نحو القوى اليمينية المتطرفة إثر تعرضه للإغتيال بيدهم يوم ٧ من تشرين الأول عام ١٩٥٩، فأمر بتعيين عدد كبير من

أفراد هذا الإتجاه في مؤسسات السلطة التنفيذية بكركوك وذلك لتقليل شأن اليسار المتطرف الذي جمع بين صفوفه أغلب جماهير القوميات والطوائف غير العربية، فإستغل القوميون العرب والبعثيون هذه الفرصة على حساب التركمان وثبّتوا أقدامهم في مؤسسات كركوك، وبعد إنقلابهم عام ١٩٦٣، تسلطوا بنهج عدواني على رقاب المجتمع الكركوكي الأصيل. ثم تعقدت الأوضاع أكثر فأكثر عندما بدأت عملية التعريب والتبعيث تشمل جميع مؤسسات الدولة، فطُرد على هذا الأساس، وبشكل جماعي، كل الموظفين والمتخصصين الكُرد من الإدارات التنفيذية، كما شملت هذه الظاهرة مهندسي وعمال شركة النفط IPC. وعندما وسع رجال إنقلاب ١٧ تموز عام ١٩٦٨ دائرة سياستهم العنصرية، بدأوا يطردون الكُرد حتى من دورهم ومساكنهم، ثم إستملكوا بيوت أولئك الذين إلتحقوا بالثورة الكردية عام ١٩٧٤، وأخيراً وضعوا أيديهم على كل القرى والنواحي الكُردية التي تحيط بمدينة كركوك ونفذوا سياسة الجينوسايد بحق سكان مناطق داكان وصوريا ودولي آلانه الى أن قضوا على خمسة آلاف من سكان مدينة حلبجه فظهرت نتيجة هذه السياسة قضية معقدة تتعلق بخرق الحقوق الإنسانية لشعب بكامله فضّل عام ١٩٩١ ترك بلاده بالإجماع حيث لايزال شبابه في طريق الهجرة.

لقد تفضل بعض الإخوان من أعضاء الهيئة التحضيرية المشرفة على الندوة العلمية المتعلقة بكركوك التي سيعقدها مركز كربلاء في لندن خلال يومي ٢١ و٢٢ من شهر تموز عام ٢٠٠١ وأبلغونا بخطاب تحريري دعونا فيه ان نساهم في هذه الندوة بنتاج جديد وغير منشور سابقاً، فرأينا من هذه الدعوة المشكورة فرصة مناسبة لكي نضع الحقائق التأريخية ضمن دراسة جدية باللغة العربية. وبعد تقديمها بعدة أسابيع؛ ترجم الأخ الأستاذ كمال غمبار مشكوراً هذه الدراسة بدقة الى الكردية مباشرة وألقاها في ندوة خاصة عقدت لنفس الغرض في مدينة أربيل، ثم رأى السيد بدران أحمد حبيب مدير مؤسسة آراس أن هذا الجهد جدير بالطبع بشكل كتيب صغير لكي يتوفر عند أغلب المهتمين بموضوعه، فبادر بتحقيق رؤيته في بداية عام ٢٠٠٢، لكن الذي أعاد كتابة نصوص هذا الجهد أهمل، بجانب عدد من الأخطاء، طبع مصادره السلافية المكتوبة بالحروف الكيرلية والإشارات الخاصة التي وضعناها على الحروف اللاتينية لتحديد أصواتها بدقة، ثم غيّر أماكن الصور التي كنّا حدّدناها كل صفحة يتعلق موضوعها بإحدى هذه الصور والأغرب من ذلك أنه وضع عدداً من هذه الصور في بداية الكتاب بدون مناسبة. وبناءً على هذه الحقيقة، وبموافقة السيد بدران أحمد حبيب إرتأينا أن نعيد طبع هذه الدراسة شخصياً وبجهاز حاسوبنا الخاص، وبما أننا من مواليد قلعة هذه المدينة العريقة حيث شاركنا أيامها الحلوة والمرة ودرسنا في مدارسها الإبتدائية والثانوية وأقمنا فيها خلال فترة خدمتنا في السلك العسكري والمدني ثم غادرناها إلى الخارج في بداية شهر تموز من عام ١٩٦٨ لكي نستمر في دراستنا العليا وبعد رجوعنا اليها لم تسمح لنا السلطة بالإستقرار فيها، وأثناء زواجنا عام ١٩٨٢ حرمتنا من مواطنتها رسمياً، ثم فقدنا مع أطفالنا حق التسجيل في دائرة الأحوال المدنية لهذه المدينة رغم كونها مهبط ولادتنا وولادة الأطفال، ثم مسح المسؤولون في تلك الدائرة كل أثر لحقيقة إنتمائنا لمحافظة كركوك، فبذلك أسقطت منا السلطة كل الحقوق الإنسانية،

ومنها حق العمل والدراسة والسكن وإمتلاك العقار والبنايات بعد أن كنا نمثّل أسرة لها مركزها المتميز داخل مدينتنا العريقة، فقامت سلطة اليمين المتطرف عام ١٩٦٢ بحجز أموال المرحوم والدنا المنقولة وغير المنقولة بتهمة التمرد والعلاقة الشخصية التي كانت تربطه بالزعيم الراحل مصطفى البارزاني وإعتقلته في معتقلات سجن الشرطة والسراي الكبير بكركوك ثم نقلته عام ١٩٦٣ مع المئات من أمثاله داخل عربات الحمل لقطار كركوك- بغداد بصورة مأساوية إلى المسيب، وأخيراً وضعوه في زنزانة شرطة الخناق بالسماوة لعدة سنوات الى نهاية السبعينات من القرن الماضي. وزيادة على ذلك فقد منعنا مسؤولوا هذه السلطة بكركوك خلال الثمانينات من القرن الماضي من إستئجار دار لنقيم فيها فإتضينا بحياة الفنادق أثناء عملنا في جامعة السليمانية التي إنتقلت الى أربيل بعنوان جامعة صلاح الدين، وبإلصاق تهمة إسناد طلبة هذه الجامعة أثناء إضرابهم عام ١٩٨٢ على عاتقنا، نقلتنا وزارة التعليم العالي بإسم رئاسة الجمهورية من أربيل إلى البصرة بالإكراه مع إبعاد حرمنا من عملها الاكاديمي وحددت إقامتها جبرياً في بغداد، ومع كل تلك القسوة التي إستعمله النظام العراقي تجاه الكُرد ومع مظاهر الجبروت التي تحلى بها البعثيون لتخويف الناس، فقد رفضنا بكل هدوء الرضوخ لذلك القرار فلم نلتحق بجامعة البصرة. وفي عام ١٩٨٣، وبالإستناد على قانون جمع شمل الأسرة، إستطعنا أن نجد حقاً في العيش بأحد فنادق بغداد والعمل بجامعتها، ومع ذلك لم يسعفنا القانون هنا لكي نمتلك حقاً من الحقوق المدنية كتأمين مسكن أو تسجيل عقار بحجة عدم مشاركتنا في عملية الاحصاء عام ١٩٧٧ داخل حدود محافظة بغداد. وعلى هذا الأساس أصبحنا في مسقط رؤوسنا وفي مكان عملنا غرباء وأقل مواطنة من الأجانب الذين وجدوا فرصاً للعمل في جميع أنحاء وطننا سواء كانوا من التايلنديين أو الصينين أو المصريين الذين حصلوا على الجنسية العراقية وحق الزواج والتملك والسكن أينما يشاؤون، وبناءً على معاهدة كامب ديڤيد فتحت لهم كل التسهيلات لكي يحولوا الأموال العراقية بعملات صعبة إلى مصر لتقوية إقتصادها بكل حرية وإطمئنان، الحق الذي كنا محرومين منه أيضاً. وأكثر من هذا وذاك فقد قررت المؤسسات الحزبية للسلطة في كركوك عام ١٩٨٧ بنسف مسكن شقيقنا الأكبر الذي يأوي والدتنا العجوزة بحجة وجود إخوان لنا في خارج العراق ومهما يكن من أمر، فإنّ مشاركتنا في تحديد مستقبل مدينة كركوك، بالإضافة إلى نواحيها الأدبية والأخلاقية، فهي واجب وحق من حقوقنا الإنسانية والوطنية، والمواضيع التى ستطرح في بحثنا تتعلق بإختصاصنا الدقيق وتتحدد بشكل مختصر عن كركوك في عصورها القديمة، وهي مجموعة من الحقائق ترتبط بفترات عديدة من تأريخ هذه المدينة وسكانها الأوائل، وإعتمدنا في هذا المجال، بالإضافة الى معلوماتنا الشخصية التي إستقيناها من الفترة التي عشناها في هذه المدينة، على مختلف المراجع، منها قديمة كالسومرية والأكدية والآشورية والإيرانية وحديثة كالألمانية والإنگليزية والروسية، وحاولنا بكل صدق أن نكون واقعيين في سرد الأحداث، نأمل من أسلوب طرحه أن نجد حلولاً صحيحة للمشاكل والخروقات التي شهدها مواطنوا كركوك. ومثلما رأينا في خطاب الأخوان المشرفين على الندوة في لندن، فإنّ المواضيع التي ستطرح فيها يمسّ إختصاصنا

بصورة مباشرة، لذلك سيكون بحثنا نبذة عن تاريخ مدينتنا العريقة كركوك، وهي أحد المواضيع المحددة في محور من محاور الندوة المذكورة التي نأمل من خلالها إيجاد حلول نظرية صحيحة لكل الخروقات المخالفة لحقوق مواطني كركوك الأصليين والله الموفق.

الدكتور جمال رشيد أحمد

هولنده ٢٥ كانون أول ٢٠٠١م

كركوك قي العصور القديمة

تشير الموسوعة البريطانية إلى أن مدينة كركوك تقع على مشارف سفوح جبال زاغروس بإقليم كردستان العراق[١] وهي تتوسط مجموعة معروفة من مواقع المستوطنات والقرى الزراعية من العصر النيوليثي التي يسبق زمنها عصر التدوين كجرمو في شمالها الشرقي ومطارة في جنوبها وإن من أبرز معالمها هي قلعتها العالية العظيمة التي بنيت على جهة الشرق من الموقع الأثري القديم والصناعي الحديث المعروف بعرفه Arapha (الصيغة المعربة لكنية أررابخا Arrapha التأريخية) كانت وماتزال تعبر عن عمل حضاري لمستوطني منطقة كركوك الأوائل من السوباريين الذين تعلقت كنيتهم العامة سوبير أوسوبار SU. BIR <Subar عند العراقيين القدماء بمفهوم جغرافي شملت أغلب المقاطعات من كردستان الحالية أشتهرت مع معبودها عند الأكديين بـ(عليا تم eliatim) ودوّنها حمورابي (١٧٩٢–١٧٥٠ ق.م) بصيغة matum elitum «ماتوم عليتوم = البلاد العليا» وكانت تشمل في العصر البابلي القديم كلاً من أقاليم «ماراهشي، أوركيش، ناوار، كوتيوم، زاموا، سيموروم وأوربيللوم» وصاغتها كل من الفرس بصيغة كوهستان والعرب كبلاد الجبل حيث عبر هذا المفهوم في كل الحالات عن الوضع الطوبوغرافي لتلك المقاطعات أكثر مما أن تشير إلى واقعها العرقي والقومي، لأنّ سكانها الذين ينتمون الى أقدم المجموعات الإثنية في غربي قارة آسيا اشتهروا في النصوص المسمارية المبكرة بكنية الكرتي (وأحياناً القوتي كما لفظها الأكديون) واللولو والخوري والكاشي (كاششو)، وعندما إستقر فيها الهنود الآريون الأوائل أشتهرت على نفس الأساس بصيغة شيماليا Şimalia، الكنية التي كانت كذلك تعبر عن إسم معبودها سيماليا (إله الجبال المكسوة بالثلوج) وأصبحت عند العرب مفهوماً يشير إلى جهات الشمال وعند الكرد كـ(Şamal شەمالّ) يعني رياح الثلوج التي تهب من فوق الجبال كما إشتهر في الهند أعلى القمم بصيغة هيماليا أوهيمالايا[٢].

دونت كنية سوبار في نصوص أوغاريت (رأس شمرا بشمال اللاذقية) بصيغة 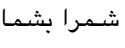

(١) الموسوعة البريطانية، مادة كركوك Encyclopaedia Britannica, Kirkuk حيث يورد النص كما يلي: "Kirkuk is located near the foot of the Zagros Mountains in the Kurdistan region of Iraq" وبصورة غير دقيقة يدعي صاحب المقال بأن المدينة كانت تدعى في عصر النهضة الآشورية (آرّابخا): During the period of Assyrian prominence (9th- 10th century B.C) the city was called Arrapha وهذا مانراه كذلك عند C. J. Gadd راجع رأيه هذا في المرجع التالي: C. J. Gadd, Kirkuk: Tablets From Kirkuk, Revue d'Assyriologie et d'Archeologie Orient, XXIII, Paris, 1929, p. 66ff.

(٢) B. Landsberger, Zeitschrift fûr Assyriologie und Verwandte Gebiete, XXXV, Berlin- Leipzig, s. 230.
من المعتقد أن مقطع bar– في كنية Su. bar كان يعني الخارج وتطور الآن عند العراقيين الى (برّة) وبمرور الزمن بدأ كنية سوبير أو سوبار يعبر عند الرافديين عن مفهوم المناطق الشمالية التي كانت ألسنة أهلها غير مفهومة لديهم، وعلى هذا الأساس أشار حمورابي في إحدى سجلاته إلى أن «كوتيوم كي سوبارتو كي توكريش كي شاسادو– سون نيسو ليشان سونو إيرطو» أي «كوتيوم وسوبارتو وتو كريش التي جبالها بعيدة ولغات اهلها غير مفهومة». راجع:
E. A. Speiser, Mesopotamian Origins, Philadelphia, 1928, p.89.

نصب إدريمي ملك ألالاخ (تل عطشانه) عامل الإمبراطور ساوساتتار الميتاننى - القرن الخامس عشر قبل الميلاد

(شُبَـر sbr)، أمـا إدريمي ملك ألالاخ (القـرن الخامس عشر قبل الميلاد) فقد سجلها بصيغة (سوبير). ورغم وسعة أراضي هذه البـــلاد وإختلاف اللهجات والألسنة فيها حيث كانت مجهولة المعالم عند السومريين والأكديين ثم عند البابليين والآشوريين فإن أهاليها إشتهروا في نصوص مدينة فارا السومرية بـ(Lu-Lu- Sub-ur أوناس سـوبور) كـمـا وصـفـت سـجـلات مدينة أور أيام حكم سـلالتها الثالثـة الـرجل السـوبـاري بصـيـغـة (Lu- Su. A ki) وبناءً على هذا المفـهوم فـقـد أطلق السـومريون منذ مطلع العـصـر التـأريخي إصطلاح SU. BIR ومن بعدهم الأكديون ثم الآشوريون صيغة سوبار، سوبور، سوبارتو، سوبارتوم، شوبارو، شوبريا أو حـتى شـوراو على المناطق الشـمـالـيـة العليـا لوادي الرافـــدين(٣). ومن بين أقـــدم الوثائق التأريخية السومرية التي أشارت إلى (سوبير) هي سجلات لوكال – آني– موندو حاكم مدينة آدابا (تل بســمـــايه)(٤) في النصف الأول من الألف الثالث قبل الميلاد. ولغرض التعرف على أخبار البلدان المجاورة لمملكة لگش سجل هذا الملك السومري أسمائها بدءاً من الشرق نحو الشمال ومنها إلى الغرب كالآتي:

«ايلام، ماراهشي، كوتيوم، سوبير، آمورو، سوتيوم» مدرجاً مقاطعة كوتيوم التي كانت كل من آرّابخا أحد أقاليمها وقلعة كركوك مركزاً من مراكزها منفصلاً عن سوبير(٥) وثبت موقع سوبير

(٣) ورد إسم سـوبيـر أو سـوبار SU. BIR, SU. BAR كـذلك في كـتـابات ملك مـدينة لجش السـومـري إي أناتم (حوالي ٢٤٧٠-٢٤٣٠ ق.م)، وعلى ما يظهر فإن هذا الإسم كان مركباً من إصطلاحين سو SU وبر BAR، إلا أن الأكديين أضافوا عليه لاحقة تخص الأسماء المؤنثة (tu–) فأصبح الإسم بصيغة subartu على غرار كلمات عربية من نمط (الدولة، المدينة أو القرية) وكانت هذه اللاحقة إختزال للاحقة سابقة كانت في السومرية بصيغة (tum–) إلا أن الآشوريين سجلوا هذا الإسم بصيغة شوراو أو شوبريا supria. راجع: Fischer Weltgeschichte, Band 2, Die Alto-rientalischen Reiche, s. 103

(٤) J. Laessoe, People Of Ancient Assyria, London, 1963, p. 25 A.Poebel, Historical and Grammatical Texts, p. BS v (1914), 75, Col, 4. 10, and 27-28; E. Herzfeld, The Persian Empire, Wiesbaden, 1968, p. 55f.

(٥) راجع التفاصيل عن موقع بلاد سوبيرو في: E. A. Speiser, Mesopotamian Origins, Phildelphia, 1930 أدرج نارام =

مسلة نارام سن ٢٢٥٠-٢٢٠٠ ق.م.

متحف لوفر

بالترتيب بين إقليم كوتيوم وبلاد مارتو أو آمورو (أي بلاد العموريين في الغرب)، بينما أشار حاكم أكد الذي أطلق على نفسه لقب شاروكين أو سرجون (الملك الشرعي أو الصادق ٢٣٤٠-٢١٩٨ ق.م)[٦] إلى أن «إشتا مات خور-ساگ إيري/ نني إدي أساس//زا-اس//كي مات سوبير» موضحا الموقع على أنه «ماتام عالليتام... ما-ري- ام لارموتييام كي إيبيلاكي إديما گيش. تير گيش إيرين أو كور كور كو» أي أن سوبير تشمل البلاد العليا لحد إبيلا (تل عطشانة شمال غرب حلب) وكل بلاد كور كور (الجبال) التي صاغ الحثيون إسمها كذلك بصيغة «كور أوگو» وشملت برأي أرنست هرتسفيلد Ernest Herz-feld مناطق الفرات العليا ووديان نهر مراد صو وديار بكر ومناطق پالا وتومانا بوسط كردستان[٧] ثم نرى نارام سن (محبوب إله القمر) حفيد سرجون (٢٢٦٠-٢٢٢٣ ق.م) يسمي نفسه كذلك ملك علياتم، الاصطلاح الذي تغير إلى عيلاتي فيما بعد[٨]، كما نتعرف على هذه البلاد كذلك من خلال إصطلاح «ماتوم عيليتوم» في سجلات زيميرليم (١٧٥٩-؟) ملك ماري المعاصر لحمورابي (١٧٩٢-١٧٥٠ ق.م.) الذي أظهرت كتاباته المكتشفة في مدينة أور على دلائل مهمة عن السوباريين في البلاد العليا[٩] ويؤكد فينكلشتاين J. J. Finkelstein

= سن إقليم كوتيوم ضمن بلاد سوبارتو، راجع: Royal lnscription From Ur, 274, 13, ed. C. J. Gadd and L. Legrain (publications Of The Joint Expedition Of The British Museum and The Museun Of The University Of Pennsylvania to Mesopotamia, pheladelphia, 1928.

(٦) تشير قائمة الملوك السومرية إلى أن سرجون (وهو تحريف للإسم الذي إعتلى به العرش وهو sharu-ken الذي يفيد معنى الملك الصادق أو الملك الشرعي) كمشيد لمدينة أكد التي إنتقلت إليها الملكية بعد قهر مدينة الوركاء (أسرة الوركاء الثالثة) وهي تقع بالقرب من كيش، وربما إختار هذا المكان بإعتباره من المراكز الرئيسية لعبادة عشتار التي إعتبرها راعيته منذ صغره، وكان معبدها فيها يسمى «يولماش». وتهتم القائمة بإيراد بعض البيانات عن نشأة سرجون المتواضعة قبل أن تؤول إليه الملكية، فتشير انه نشأ بستانياً ثم أصبح ساقياً للملك أورزابابا (ثاني ملوك أسرة كيش الرابعة) وأنه ثار ضد مولاه وإستطاع ان يخلعه ويعتلي العرش من بعده وتقدم أسطورة متأخرة ببيانات أخرى عن نشأته المتواضعة فتشير إلى أن أمه كانت كبيرة كاهنات في أزوبيرانو على الفرات، وقد حملت به من أب مجهول وولدته سراً، وعند مولده أودع سلة من القصب دهنت بالغار وألقي به في نهر الفرات حيث إنتشلها فلاح يدعى (إكي) فإتخذه إبناً له ورباه وجعله بستانياً، ولما بلغ أشده أحبّته عشتار فجعلته ملكاً على أكد.

(٧) E. Herzfeld, The Persian Empire, Wiesbaden, 1968, p. 58.

(٨) انظر إلى: Landsberger, OLZ, 1930, Col. Col. 130f.

(٩) راجع: E. A. Speiser, Mes. Or. p.126. إعتبر حمورابي المقاطعات الشمالية لبابل والواقعة على جهة الشرق من نهر دجلة من ضمن البلاد العليا وقسّمها على الأقاليم التالية «ماراهشي، سوبير، كوتيوم، أشنونا، مالكيكي، =

هذه الحقيقة(١٠) قائلا:

"A major factor contributing to the dificulties attending the subject of Subartu, Subarians and Hurrians has been the paucity of onomastic evidence both for the ethnic and the geogr-phic aspect of the problem"

فإذا كانت بلاد سوبار أو سوبير التي كانت تقع على الجهة الشرقية والشمالية من أراضي ومنخفضات وادي الرافدين قد شملت في هذا العصر، على حد المعلومات النادرة عند السومريين، الأراضي الواقعة فيما بين مرتفعات زاگروس (كرمانشاه) والبحر الأبيض المتوسط (قرقميش وألالاخ) فلاشك من أن أهل إقليم كوتيوم ومعهم سكان أرابخا وقلعة كركوك كانوا يشكلون الأكثرية من سكان سوبارتو الذين جاوروا زاموا (بلاد لولوبوم) من الشرق وسيموروم (وديان نهر الزاب الصغير) من الشمال الشرقي وكل من أوربيللوم وأوركيش من الشمال الغربي ومملكة خمازي من الجنوب حوالي جبال حمرين(١١) وكان موطنهم يعرف تارة كـ(mat Qutium «بلاد كوتيوم») وكـ(Kur Qutium «جبال كوتيوم») تارة أخرى. وبناءً على هذه المعلومات يمكن إيجاد دلائل تأريخية واضحة لموقع إقليم أرابخا في هذه الفترة المبكرة من عصر التدوين حيث كان يتحدد فيما بين سيموروم (نهري الزاب الصغير) وأيالمان (نهر ألوند وديالى) أو بمعنى آخر بين إقليم أوربيللوم ومرتفعات حمرين وكان الحصن المتميز فيه بلاشك هو قلعة كركوك التي بنيت على الأغلب قبل هذا العصر، حيث يمكن تحديد زمن إقامتها فيما بين الألف الخامس والرابع (٤٥٠٠–٣٥٠٠ ق.م). وعندما يجري الحديث في سجلات السومريين والأكديين عن المحاور العليا المؤدية إلى مناطق الزابين الأسفل والأعلى، فإن طريق سوبارتو كان يبدأ عادة بعد إقليم لوبدي (بردان تبه وجلولاء) مستمراً في إقليم أرابخا(١٢) الذي أشتهر بكثرة غلاتها ومزارعها حيث كانت كركوك تشكل أحد أهم المراكز التجارية فيه، ونرى في نصوص الألواح المكتشفة في نوزي (گاسور القديمة) إشارات واضحة إلى أن الكوتيين الذين مثلوا أقدم السكان في كركوك وفي المناطق المحيطة بها كانوا يمتهنون الرعي في سهولها الممتدة حتى لوبدي ويتاجرون بالصوف واللحوم والمنتجات الحيوانية الأخرى التي أشتهرت بعضها بإصطلاح SIG gu. ti. um, Sip- tum > qutu. t (um) أي بمعنى «شعر الماعز الكوتي».

= وتوكريش» راجع: Sir Sidny Smith, Excavation Texts I, London, 1923, p. 73

(١٠) راجع رأي فنكلشتاين في المؤتمر الثالث والعشرين للمستشرقين (كمبرج، إنجلترا، يوم الثالث والعشرين من شهر آب عام ١٩٥٤م).

(١١) وعلى حد قول أفرام سبازر فإن كوتيوم وحتى موطن اللولو كانا جزءا من بلاد السوباريين، أنظر: E. A. Speiser, Mesoptamian Origins, The Basic Population Of The Near East, Philadelphia, 1930, p.126. وذكرت سجلات سلالة أور الثالثة المناطق المحيطة بأرابخا على الشكل التالي: «گانخار، سيموروم، لولوبوم، خوموروتوم، كيماش، كاگالات، وأوربيللوم» وقد ظهرت تسمية سيموروم في سجلات مدينة نوزي على أنها مجاورة لها وكانت تسمى بالسومرية Si. ur. ru وفي الأكدية Za.ban حول هذا الموضوع راجع كل من: E. Herzfeld, The Persian Empire, Wies-baden, 1968, p. 75, Lous D. Levine, "Geographical Studies ln The Neo Assyrian Zagros", IRAN, Vol. XII, (1973), P. 112

(١٢) E. Herzfeld, The Persian Empire, Wiesbaden, 1968. 152. لقد إستمر سرجون في غاراته ودخل إلى بلاد سيموروم بسهل رانيه الحالية، أنظر إلى: H. Al-Fouadi, Inscription and Reliefs From Bitwata, Sumer, 34, pp.122-129

سوباريون ساقهم سرجون إلى مدينته أكد
في الألف الثالث قبل الميلاد – متحف لوفر

وبعد غزوات ملوك سومر فقد ساق كل من عاهلي مدينة أكد سرجون ونارام سن أكثر من ريموش (٢٣١٥–٢٣٠٧ ق.م) وأخـــــاه مانيشتوسو (٢٣٠٦–٢٢٩٢ ق.م) عدداً كبيراً من عبيد منطقة أرابخا وكركوك نحو جنوب العراق كما نهبا ثروات حيوانية هائلة في جميع أنحاء سوبارتو وأرسلا مغانم معدنية كثيرة إلى مركز حكمهما ويشير نص من النصوص السرجونية أطلقوا عليه تسمية (لعنة أكـد) إلى «أن أكـد إمـتـلأ بالذهب وإكتضت منازلها المتألقة بالفضة وأحضر إلى مخازنها النحاس والرصاص وألواح اللازورد وإنتفخت جوانب صوامع غلالها من كثرة ما بها من حبوب... الخ»[١٣] وفي زمن گوديا ملك لجش (حـوالي ٢١٢٠ ق.م) كـانت كـوتيـوم (كركوك وحواليها) تزود سومر بمختلف أصناف المعادن، وجدير بالإشارة هنا إلى أن أقاليم كاركار، سيموروم، شاشروم وأوربيللوم بجانب أرابخا ونوزي (كركوك ولَيلان) كانت خلال حملات ملوك سومر مـثل شـولغي (١٩٨١–١٩٧٣ ق.م) وإبنه أمـارسين (١٩٨١–١٩٧٣ ق.م) بالإضـافـة إلى الكوتيين مسكونة تماماً من قبل الحوريين[١٤] وعندما حاول كل من شمشي عدد وإشمي داغان الآشوريين في هذه الفـترة أن يحـتلا المدن الرئيسية في شـمـال وادي الرافدين كـان ملوك كل المناطق السـوبارية يحملون أسماء حورية مثل أتل شين ملك بوروندوم وشوكروم تيشوب ملك إلاهوت ونانيب شافيري ملك

(١٣) د. أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، بيروت ١٩٨٩، ص ٢٦٩.

(١٤) W. W. Hall, The Road to Emar, 18 Journal Of Cunieform Studies New Haven, 1964, Haven, 1964, pp. 57-88
كانت مدينة نوزي (يورغان تبه قرب ليلان جنوب غرب كركوك) على سبيل المثال موطناً كوتياً بإسم Gasur دخلها الحوريون في نهاية الألف الثالث ق.م. وأبقوا فيها مخلفاتهم الحضارية وتعتبر من أغنى المستوطنات الحورية بسجلاتها المسمارية. بدأ علماء الآثار الأمريكان بالتحري في هذا الموقع خلال الفترة الواقعة بين أعوام ١٩٢٥م–١٩٣١م مكتشفين فيها بقايا من آثار تعود للفترات الواقعة فيما بين عصر ما قبل التأريخ والعصر الروماني – الفرثي والساساني. وفيما بين القرن السادس عشر والخامس عشر نشأ فيها مجتمعا تجارياً ناجحاً ومركزا إدارياً مهماً. ومع الأسف لم تدرس الفنون الفخارية المستخرجة من هذا الموقع، ومع ذلك هناك صنف خاص من أوانٍ فخارية يعرف بأواني نوزي (أو أواني ميتاننية) وهي تتميز بمواصفات خاصة بعضها من صخور طويلة رشيقة وبقاعدة صغيرة وكؤوس عليها صور ورموز باللونين الأسود والأبيض. وبالإضافة إلى هذه الأعمال الفنية أستخرج من موقع نوزي ٤٠٠٠ لوحة مدوّنة بالخطوط المسمارية ومعظم الأسماء فيها هي حورية. ومن بين الموضوعات التي تتناولها النصوص هي تلك التي تتعلق بقضايا إجتماعية وإدارية وفيها فقرات تشبه الحكايات المعقدة لروايات الآباء الأولين المعاصرة لها في أسفار التكوين للكتاب المقدس.

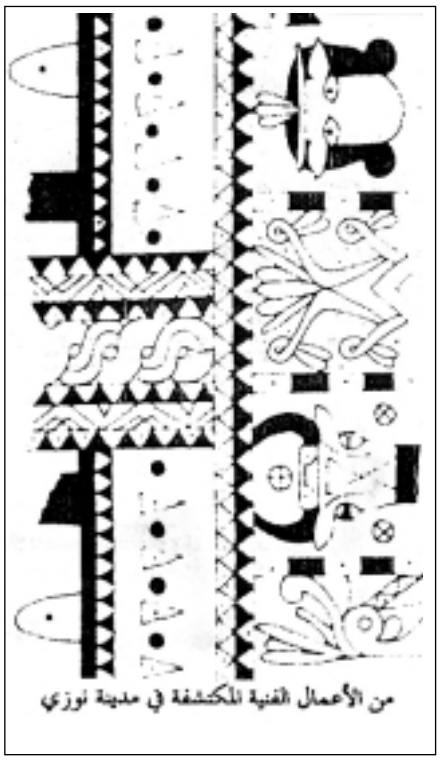
من الأعمال الفنية المكتشفة في مدينة نوزي

خابوراتوم وشادو شاررري ملك أزوخينوم وتيش أولي ملك ماردمان وشيننام ملك أورشوم وأنيشوربي ملك خاشوم في شمال حلب[١٥] كما أدرج فراعنة مصر رسائل ملوك ميتانني في ملف خاص بأرشيفهم ختموا عليه عنوان «رسائل بلاد سوباري أو زوباري»[١٦]. وفي سجلات حمورابي تفصيلات وافية عن الصراع البابلي الآشوري حول نهب خيرات بلاد كوتيوم وسيموروم بإستمرار. وعلى كل حال فإن نارام سن إعتبر أرابخا في سجل غزواته جزءً من بلاد سوبارتو التي إمتدت حسب قوله من شمال عيلام حتى جبل أمانوس في الغرب، وكان قد مر بنفسه من خلالها متجهاً نحو مناطق دياربكر ومنها إلى شمال سورية، ثم ان ألقاب كل الملوك المحليين في مناطق كركوك بجانب أسماء الأماكن السوبارية حملت الطابع الحوري مثل تاهيشاتيلي حاكم المناطق الواقعة على نهر الزاب الصغير في رانيه وأزيخيننوم الذي سادت سلطته في مناطق سوبارية عديدة واسعة[١٧] وبوتتيم- أتل Puttim- Atal ملك سيموروم الذي قام بالتصدي لنارام في شمال أرابخا[١٨]، وفي سبيل التحرر من عمليات السوق والعبودية ولأجل وقف الغزوات الأكدية المتكررة على أرابخا والمناطق الشمالية لوادي الرافدين حاول ملوك كركوك من الكوتيين بشكل خاص وملوك سوبارتو من الحوريين بشكل عام إنهاء أسبابها في مهدها فبدأ الملك الكوتي إريدوبزير Erridupizir المعاصر لنارام سن يفرض سيادته أولاً على مدينة Nippur (نفر) حيث ترك فيها كتابة مطولة وصف نفسه بالأكدية[١٩] على أنه ملك سومر

(١٥) A. Kammenhuber, Die Arier im- Vorderen Orient und die historischen Wohnsitze der Hurriter, Or. 46 (Roma, 1977), pp.129- 144.

(١٦) J. A. Knudtzon, Amarna: Die El - Amarnna Tafeln,, p. 1579

(١٧) راجع: W. G. Lambert, (Note brêve), Revue d'assyriologie et d'archêologie Orientale (RA Paris) 77, P.95; P. Michalowski, The Earliest Hurrian Toponymy A New Sargonic Inscription, Zeitschrift fûr Assyriologie und Vor-deasiatische Archaologie (ZA), Leipzig, 1986, s. 4-11. وحول أخبار وديان نهر الزاب الصغير وتفاصيل الظروف السياسية لمملكة كواري التي نشأت في ربوع سهل رانيه وحروب أشمي داغان الآشوري وحمورابي البابلي مع قبائل التوروككيين الكوتية فيها. راجع: J. Laessoe, People of Ancient Assyria, London, 1963

(١٨) A. K. Grayson; E. Solberger, L'insciption gênêrale Conte Naram-Suen, RA, 70, (1976).

(١٩) كان ملوك سومر وأكد يعتقدون بأن بلادهم تتوسط الدنيا التي تنتهي جوانبها الأربعة في حدود معرفتهم =

وأكد وملك جهات العالم الأربعة «šar kibraš arbaᶜim شار كيبرات أرباعيم»، ثم دخل الملك الكوتي سرلجب Sar–Lagab في صراع طويل مع ملك أكد شاركالي شاري (٢٢٢٣–٢١٩٨ ق.م.) في وقت كان الملك الحوري أتل شين يحكم في هذه الفترة، بالإضافة إلى أوركيش كل من أوربيللوم وآرابخا والمناطق العليا لنهر ديالى[٢٠] ثم سقطت أغلب دويلات المدن السومرية والأكدية أخيراً بيد أيلو– لو – ميش الكوتي عام ٢١٩٨ ق.م. وإستمر الأرابخيون (أهل كركوك) يحكمون سومر وأكد لفترة تجاوزت قرناً من الزمن أي لحد عام ٢١١٦ ق.م. وخلال تعاظم شأن السلطة الكوتية، وإنطلاقاً من جهات نهر الخابور حاول الملك الحوري كيكلب أتل (٢٢٣٠–٢١١٦ ق.م) الذي كان يستقر في عاصمته قرب عاموده بشمال سورية بتوسيع حدود مملكته مثلما تدلنا على ذلك سجلات بوغاز كويي (حتوشا– عاصمة الحثيين القديمة)، وقد تحققت هذه المحاولات بيد أتل – شين الذي ترك لنا لوحة من البرونز عثر عليها في أساس معبد نركال في بلاد سومر وعليها كتابة مدونة بالخط المسماري وباللغة الأكدية جاء فيها «أن أتل شين إبن شترمات هو ملك بلاد أوركيش وناوار اللتان تضمان الأراضي الواقعة بين نهري الخابور وديالى»[٢١] وعلى هذا الأساس نجد من بين السطور التي إحتوتها نصوص مدينة نيبور التأثير اللغوي الحوري على سكان المدن السومرية والبابلية وهي تتألف من قضايا نحوية ومفردات حورية وأسماء علم سوبارية[٢٢].

ومن جهة أخرى، ولغرض الوصول إلى أهدافهم الإستراتيجية في وسط وجنوب العراق، فقد إستعمل ملوك آشور القدماء أثناء غزوات القرن التاسع عشر ق.م. محور اوربيللوم– أرابخا. فهناك على النصبين المحفوظين في متحف لوفر بپاريس اللذين كانا قد عثر عليهما في ماردين وسنجار

= الجغرافية وكانت تشمل حسب المفهوم الأكدي كلاً من بلاد (سومر وسوبارتوم وعيلام وآمورو). راجع سجلات نارام سن: A. Ungnad Subartu, Beitrage Zur Kulturgeschichte und Volkerkunde Vorderasiens, Berlin- Leipzig, 1936, s. 45. فعندما إدعى نارام سن أنه «ملك عيلام كلها وإلى باراهشي وبلاد سوبارتو حتى غابات الأرز» وصف نفسه قائلاً «دانوم شار كيبرات أرباعيم أبلو أكاديم» أي «القوي، ملك جهات الدنيا الأربعة، إله أكد» راجع: C. J. Gadd and L. Legrain, Publications of the Joint expedition of the British Meseum and the Mesuem of the University of Pensylvania to Mesopotamia, Philadelphia, 1928, P. 73; E. Herzfeld The Persian Empire, P.65. ولأجل التمجيد وصف أغلب ملوك الشرق أنفسهم بألقاب معظمة، فقال توكولتي نينورتا الأول الآشوري أنه ملك آشور وملك الجهات الأربعة للعالم، الملك العظيم لمشرق الأرض ومغربها، ملك كاردونياش، ملك سومر وأكد، ملك البحر الأعلى والأسفل، ملك سوباري وكوتي وملك كل البلدان, "šar Kiššati, šar mat Aššur, šar Kibrat arbaᶜi dšamši Kissat nišipl, šarru dann, šar mat Karduniaš, šar mat Sumeri u Akkadi šar tamti elênîti šapliti, šar huršani u name rapsuti šar mat Subari, Qutî, u šar kullat niatati Ni. i.n » كما وصف عدد من ملوك آشور أنفسهم أحياناً بملك ملوك مشرق الشمس ومغربها šaršarrani šit šamsi u erêb šamsi unaŠŠiqu وكذلك كملك البلدان الواقعة بين البحر الأعلى حتى البحر الأسفل: ša ultu tamtim elêt adê tamtim šaplit ibêluma، وقد إختفى في وادي الرافدين إصطلاح (ملك الجهات الأربع للعالم) بمرور الزمن ولكن لقب (ملك البر والبحر) ظهر عند العرب مع ظهور الإسلام وحتى أن ملوك بني أيوب أعطوا لأنفسهم لقلب (ملك امراء الشرق والغرب) أما ركن الدولة شاه سلطان في إقليم كرمان فأصبح «صاحب البرين والبحرين» وهناك من إدعى بأنه كذلك شمس الدنيا.

(٢٠) راجع: A. Finet, Adalsenni, roi de Burundum, Revue d'Assyriologie, 60 (Paris, 1977), PP.129-144.

(٢١) P. Rost, Die Keilschrifttexte Tiglat Pilesers III, Leipzig, 1893, s. 24f, z. 139f

(٢٢) I. J. Gelb, Hurrians at Nippur in Johannes Sargonic Period, Festschrift Fredrich, Heidelberg, 1959, PP. 183-194.

لوحة تصور الإلهة شاووشكا الحورية
في الألف الثاني ق. م. من مكتشفات توزي

إشارات واضحة تتعلق بغارات شمشي عدد الأول في جنوب آشور حيث يؤكد بدون ذكر أوربيللوم على أن الأراضي من منطقة حزة إلى كاغالتي Ka-galti هي بلاد أكد ومن كاغالتي إلى حلبا بلاد كوتيوم التي شملت آرابخا، بينما تشير سجلات الأسرة الثالثة لمملكة أور غالباً إلى أن كل من «گانخار، سيموروم، لولوبوم، خومورتوم، كيماش، كاگالات وأوربيللوم» بأجمعها تشكل إقليم أرابخا، وقد بنى هذا العاهل الآشوري في مركز هذا الإقليم المسمى كيرخي (كركوك) معبدا لإلهه عدد، ومن كيرخي أيضا أغار عدد نيراري الثاني بعد ألف عام (٩١١–٨٩١ ق.م) الى بلاد نامري، وكليهما كانا يقصدان كيرخي شيلواخو (قلعة بني شيلوا «قلعة كركوك»). وفي السطر االعاشر من النصب الأول يؤشر إلى أن مَنْ يتجه من نينوى إلى لوبدي (بردان تبة وجلولاء)[٢٣] يمر ببلاد أرابخا، لكنه أغار على وديان نهر الزاب الصغير العليا وسهل بيتواته عن طريق ممرات جبل هيبت سلطان بكويسنجق وكان من جهة في حرب مع التوروكيين الذين شكلوا الإتحاد القبلي الكوتي في منطقة پژدر (پشتدر) ومن جهة أخرى دخل في صراعٍ طويل مع مملكتي بابل وماري. وعلى هذا الأساس عاش الكوتيون في مناطق أوسع مما كان السومريون والأكديون يعتقدون. فإذا كان الموطن الكوتي في بداية عصر التدوين، على حد معلومات ملوك سومر وأكد، يبدأ من المنابع العليا للزاب الصغير ويمتد من خلال آرابخا ومركزها كيرخي إلى حد نهر الوند فإن آكوم كاكريمي Agum Kakrimi (١٦٠٢–١٥٨٥ق.م.)، العاهل الكاشي في بابل، إعتبر نفسه كذلك ملكا على مقاطعات خارخار (نهاوند) وإلليبي (فرحان محلات) وسيماش (گولپايگان) وسماها كذلك بلاد كوتيوم حيث مثلت مدينة كاركاسي قرب همدان مركزها، ثم أصبحت القاعدة الرئيسية لإمبراطورية الميديين فيما بعد مشيرا في بروتوكوله إلى أنه:

(٢٣) حول تحديد موقع إقليم لوبدي راجع: J. Seidmann in Mitteilungen der Altorientalischen Gesellschaft, Leipzig, 1935, s.3. وحول كون أوربيللوم جزءا من إقليم أرابخا راجع: De Genouillac in RA, Der Alte Orient 2776,(Leipzig), VII, 151ff.

تيشوب إله العواصف الحوري يقف على كتفي معبودين من معبودات الجبال ويقدم لقرينته حوات رمز الألوهة فن حيثي – بازلي قيا (آسيا الصغرى)

"şar Kaşşi u Akadi şar mat Bab-Ilu rapaşatim muse sib mat Aşnunak nişê rapşatim şar mat Padan u Alwan şar mat Quti....."

«ملك الكاشي وأكـد، ملك بلاد بابل، الذي تسلط على أشنوناك، ملك بادان وألون، ملك بلاد كوتي...». ويمكن تفسير هذا التوسع السلطوي للملوك الكاشيين في ظاهرة تأريخية مرحلية ألا وهي إنتشار العناصر الهندية- الآرية بين سكان هذه المقاطعات وخضوعهم لبني قومهم من ملوك بابل التي حكموها بإسم بلاد كاردونياش (أي بلاد الخضوع لإله الأرض) وعن طريقهم إنتشرت الطقوس الدينية للهنود- الآريين بين السكان المحليين في جميع أنحاء وادي الرافدين وشوهدت في سجلات بابل ونوزي وأوركيش بجانب معبودات رافدية وزاغروسية مثل مردوخ وعشتار البابليين وكوماربي رئيس المجمع الإلهي الحوري وزوجه حيبات أو حيوات الإلهة الأم التي إعتبرها اليهود منذ زمن النبي إبراهيم (الأم الكبرى لجميع البشر وعن طريقهم دخلت إلى العربية بصيغة حواء) أسماء هندو آرية لمعبودات مثل إله الشمس سورياش (آسورا الميتانني وآهورا الإيراني > آوور الكُردي وإله الزوابع بورياش (بوريا BypR الروسي وBoran الكُردي) وكذلك هورفتات وماروتاش اللذان ذكرهما القرآن الكريم كـ(هاروت وماروت ملكيْن ببابل)[٢٤] ومن جهة أخرى وبعد ألف عام، ولما كان ملوك العصر السرجوني في

(٢٤) راجع سورة البقرة، الآية ١٠٢. رغم أن القرآن الكريم قد أورد إسم هاروت وماروت بدون أي توضيح مفصل فقد إستند الطبري في تفسيره لهذه القصة على بعض الأساطير الشائعة في زمانه فالملائكة، كما أورد الطبري، قد أخذت تشكو فجور البشر وضلالهم بعد آدم، فأراد الله إبتلاء الملائكة فأرسل ملكين من أكثرهم نقاوة، هما هاروت وماروت وأنزلهما إلى الأرض ليأمرا بالمعروف وينهيا عن المنكر. ولكن إمرأة فائقة الحسن والجمال عرضت لهما فأقبلا عليهما وراوداها عن نفسها فأبت وإشترطت عليهما الخروج عن دينهما وعبادة الأوثان فإمتنعا. ثم أتياها ثانية فتمنعت وإشرطت عليهما إرتكاب إحدى معاصٍ ثلاث. فإمّا عبادة الأوثان، أو قتل النفس، أو شرب الخمر، فإختارا شرب الخمر. فسقتهما حتى لعب برأسيهما فواقعاها. هنا مرّ عليهما فخافا إفتضاح أمرهما فقتلاه. ثم أنهما أرادا العودة إلى السماء فما إستطاعا، فطلبت منهما المرأة تعليمهما الكلام الذي يصعدان به إلى السماء ففعلا، فعرجت ولكنها بقيت معلقة هناك على هيئة كوكب الزهرة إلخ، راجع كذلك فراس السواح، لغز عشتار، الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، دمشق، ١٩٩٣، ص٩٩. وهناك دلائل كثيرة حول إنتشار الألفاظ الكُردية القديمة في شمال وادي =

نينوى يغيرون بإستمرار على مساكن الكوتيين في محاور العمادية وهيكاري وزاخو وطورعابدين وشمدينان، فإننا يجب والحالة هذه أن نعترف بكون البلاد الكردية الحالية في غرب إيران وشرق وشمال وادي الرافدين كانت كلية تعرف بإقليم كوتيوم في بلاد سوبارتو الذي كانت مدينة كيرخي (كركوك) تمثل مركزه الرئيسي وهو بجانب باراهشي، سيموروم وخوموروتوم وحتى أوركيش وناوار أعتبرت عند السومريين والأكديين من البلاد العليا، وإن ما يعتقده أرنست هرتسفيلد بكون مفهوم ميديا يرادف كوتيوم في الألف الأول قبل الميلاد هو من صلب الحقيقة، وزيادة على ذلك فقد أكدت الأسماء: Udgurlima, Gurpanza, Gurpaza, Kilamza, Kingistilinza, Hilipisua, Tunamisu, Burnamia التي شوهدت على رقيمات أكتشفت في إقليم همدان بأن السكان في هذه الانحاء كانوا أيضاً من الكوتيين(٢٥). وبناءً على هذا الواقع الجغرافي فقد سلك الملوك القدامى مثل شمشي عدد الأول وأريك دين إيلو وكيسخرو الميدي ودارا الإخميني أثناء غاراتهم محاور وطرق ومستوطنات كوتيوم الغنية بالذخائر وإستعملوا كذلك، إضافة إلى المحاربين الكوتيين، العربات الكوتية التي إشتهرت بإسم إيريققو قوتيتو eriqqu qutitu وإستفادوا من مفاهيم وتجارب الكوتيين في تربية الخيول وإستعمالها في العمليات التعبوية، لذلك يشير نابونائيد في السطور في العمود الثالث من سجلاته إلى أنه «في شهر تموز (عام ٥٣٩ ق.م) وعندما أغار كورش على بلاد بابل تمركز الكوتيون قبل الجميع على أبواب إيساكيل Essakkil»، وأن حدود كوتيوم في نظر ملوك الألف الثاني ق.م. كانت تبدأ في الجنوب من أبولاتي الواقعة إلى الشرق من هالابا ويؤدي إلى بلاد زوميروني (نيققوم الواقعة إلى شرق منابع الزاب الصغير) حيث شكل فيما بعد محوراً ربط ساردیس عاصمة ليديا بشوشه عاصمة الإخمينيين الذي سماه هيرودوت بالطريق الملكي. وفي بروتوكول أريك دين أيلو البابلي جاءت أسماء المواقع الجغرافية بالصيغ التالية «توررووككي، نيقيمخي وقيتي Turrukki, Nigimhi, Qêti» بينما تأتينا أسماء نفس المواقع في السنة ٣٧ من حكم حمورابي بالصيغ التالية «توروككوم، كاكموم وكورسوبارتوم» حيث حمل أحد زعماء كاكموم في زمن سرجون الآشوري (٧٢٢–٧٠٥ ق.م) اللقب الكردي أسپابارا Aspabara (الفارس). وعلى هذا الأساس، فمن المعقول أن نشير الى أنّ الملك الآشوري شمشي عدد الأول (١٨١٢–١٧٨٠ ق.م) وبعد عبوره إقليم أوربيللوم كان قد دخل أرض

= الرافدين. فقد أشار عام ١٣٨٠ ق.م. المدعو كيكولي في سجلاته المكتشفة في بوغاز كوبي إلى أن asua san (سائس) اللقب الذي تلفظه الكُرد بنفس الصيغة أو بصيغة aspawan ويدخل المقطع san في أسماء كُردية مثل جافر سان أو كاني سانان. وعند حديثه عن الدورات التسعة nava fraqwrsa لسباق الخيول RACE- COURSE أورد كيكولي أعداداً هي مستعملة في الكُردية مثل: eka, terra, panca, sauta, nawa (واحد، ثلاثة، خمسة، سبعة، تسعة) التي تقابلها في الكُردية ek, herra, panc, haut naw كما إستعمل ألفاظاً من نمط uardan (uartanne وتعني في الكُردية الدورة) و asua-reuse (وهي asp rêz نظام سباق الخيول) الذي كان يتحدد في تسع دورات تبلغ سبعة أميال، كما نشاهد علاقات بين بعض الألفاظ الكُردية من نمط asp, bor, bardawaza, mizda, mard, ar-magan, aspabird (asuawird) (الحصان، اللون الرمادي، صاحب الكلمة، بشرى، رجل، هدية، مالك الخيول) مع مثيلاتها في الميتانية: nnu, mart, maga, uwardaasua, mista, asua, babru, biryawaza

(٢٥) E. Herzfeld, The Persian Empire, Wiesbaden, 1968, P. 191,241.

أرابخا وقدم في مركزها بعض الأضاحي لمعبوده الذي تجلى لقبه الملكي بإسمه الإله عدد، ورأى أن الطريق الآتي من أوربيللوم إلى أرابخا كان يتفرع قرب كرخو (كرخيني = كركوك) إلى فرعين، فرع يؤدي من خلال خومورتوم (طوز خورماتو) إلى أرمان (حلوان) وفرع آخر يتعرج نحو بلاد اللولو وزاموا (دربندي بازيان). وبعد قرنين من الزمان نرى ملوكاً مثل آموريا إبن أوتا- مانسي وآرن- اورخي وآر- تيشوب وإلهيب- تيلا إبن وورو- كوني وآخرون متمركزين في كرخو، وبالإستناد على الرقيمات الحورية التي دونها أفراد أسرة وولو Wullu في ديمتو (القلعة)[٢٦] التي وقعت في بداية القرن الماضي بأيدي أجنبية عديدة، نستطيع الإقرار على أن هذا المستوطن العالي المسمى الآن بقلعة كركوك كان يشتهر منذ أواسط الألف الثاني قبل الميلاد بإسم ديمتو كرخي شيلواخو (قلعة مدينة بني شيلوا)[٢٧] التي تجسد بإسم حاكمها الحوري القديم الملك شيلوا تيشوب Şilua Teşub التابع للإمبراطور الميتاني ساوششتار Sa-ûş-şa-t-tar إبن بارساستار Bar-sa-sa-tar (١٤٤٠ ق.م).

(٢٦) ما يلي قطعة مختصرة من نماذج كتابات أسرة وولو المدونة باللغة الحورية وتشير إلى أن:

tupi maruti Şa Nirpia	الرقيم المدون من قبل نيربيا
dumu Şinna Wullu	إبن شيننا (الذي) تبنى وولو
dumu Puhi şini ana	إبن بوخيشينا
muruti puşi	أعطى
as aha lah wuina anzakar	له الحقل في
sawukni ipkima	قلعة (مدينة) اوكنيبا
hala suana Wulluhi sum	وأعطى له وولو خرجين من الحنطة
u Wullu anêsi	ثم قدم له وولو هدية
Kinga ba suana Nirpia sum	وقبل نيربي بالعرض

(٢٧) كان بعض أفراد أسرة وولو على سبيل المثال يتكون من: [الجيل الأول: نشوي بن آر-شيني زوج كوندوراتي بنت تواري.] [الجيل الثاني: وولو بن بيهي -شيني المتبنى من قبل نشوي.] [الجيل الثالث: هاشيب- تيلا بن وولو وأخوته.] [الجيل الرابع: وانتي - شيني بن هاشيب تيلا.] [الجيل الخامس: تيش -شينايا بنت وانتي شيني.]
و بعض سجلات أسرة وولو التي ظلت سليمة وتشمل ١٣٩ رقيماً محفوظة في الأماكن التالية:
- ٥١ رقيم محفوظة في كل من المتحفين العراقي والبريطاني نشرت من قبل Gadd
- ٣٢ رقيم مجموعة يالي The Yale Babylonian Collection نشرت من قبل: Lacheman & Owen
- ١٦ رقيم في متحف لوفر بپاريس نشرت من قبل Contenau.
- مجموعة أرميتأج ومتحف بوشكين نشرت ثمانية منها من قبل: N. B. Jankowska.
- ٣ رقيمات في لايبزغ نشرت في مجلة الدراسات الآشورية والآثارية في الشرق الأدنى: Zeitschrift fûr Assyriologie und Vorderasiatische Archaologie (ZA), 42, Lpz
- مجموعة متحف كيلسي Kelsey نشرت منها ثلاثة بجانب مجموعة وولو وإثنتان من قبل Contenau وفي عام ١٩٨٢م نشر Owen ١٢ منها.
- رقيمين في Museum Royaux du Cinquatenaire نشرهما L. Speleer
- نشر لاخمان رقيماً من الرقيمات الثمان التي تحتفظ بها متحف بغداد في العدد ٣٢ من مجلة سومر:
E. R. Lacheman, Tablets From Kirkuk and Nuzi in Iraqi Museum, Quoted as Sumer, 32, no, 8

تتعلق الأخبار المدونة في هذه الرقيمات بالقوانين المدنية وقضايا الزواج وبيع الأراضي وتوزيع الإرث وفصل قضايا النزاع في بلاد أرابخا وأن جميع الأسماء المسجلة في هذه الرقيمات هي حورية. عن تفاصيل هذه السجلات مع ترجمة نصوصها إلى الإنجليزية راجع: K. Grosz, The Archive Of The Wullu Family, Copenhagen, 1988.

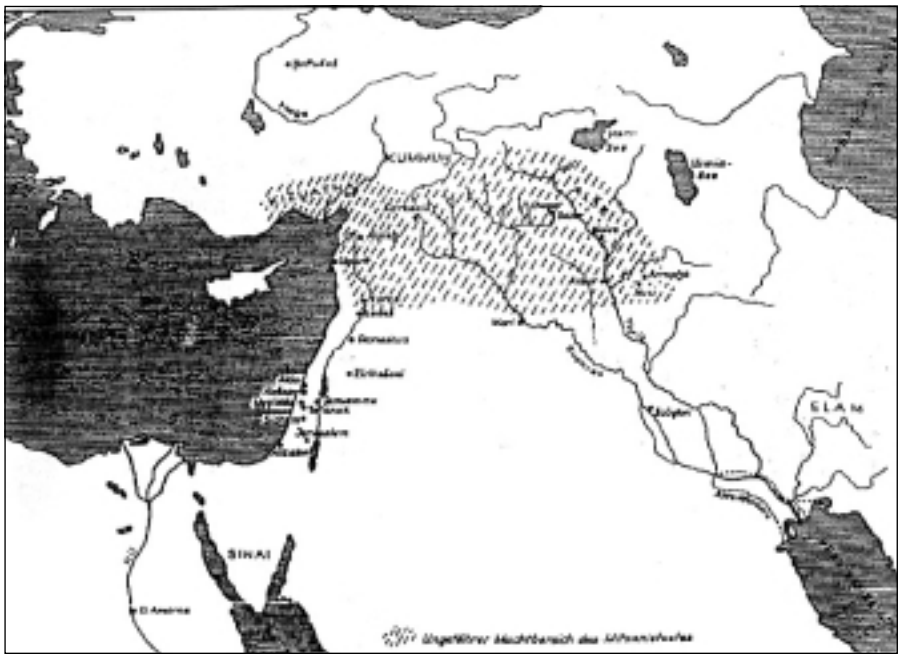

الأراضي التي إحتوتها الإمبراطورية الميتاننية وموقع كل من آرّابخا ونوزي وألالاخ فيها

وفي هذه الفترة شكلت كيرخي مع المستوطنات الحورية الأخرى مثل نوزي وكوروخاني[٢٨] في إقليم أرابخا جزءً متماً للإمبراطورية الميتانية التي تأسست بيد الشريحة الأرستقراطية من الهنود الآريين

(٢٨) أكتشف موقع كوروخاني في جنوب غرب كركوك وعرف من قبل السلطات العراقية بإسم (تل الفخار). نشر الدكتور ياسين محمود الخالص في المجلد الثالث من مجلة سومر عام ١٩٧٧ مقالاً حوله بعنوان (كوروخاني) أشار فيه إلى أن التل يبعد عن كركوك بحوالي ٤٥ كم وعن نوزي بحوالي ٣٥ كم. فبجانب الأختام الإسطوانية ظهرت هناك مجموعة من رقيمات الطين يبلغ عددها ٦٠٠ رقيم ومواضيعها هي رسائل وعقود وقروض ومعاملات ووثائق بخصوص التبني ثم بيع وشراء الأراضي والمقايضة ونصوص دينية وقضائية وإدارية وقوائم لأسماء أشخاص مقترضين حبوباً وأن اللغة التي كتبت بها هذه النصوص هي حورية ونصوص الرُقم تشبه بصيغتها كتابات منتصف القرن الخامس عشر ق.م. التي أكتشفت في كل من كركوك ونوزي. ويقول الدكتور ياسين محمود الخالص «أن الإسم القديم لموقع تل الفخار هو من إحدى النقاط المهمة التي ناقشها عبدالإله فاضل حيث يعتقد بأن كوروخاني كان الإسم القديم لتل الفخار وقد ورد الإسم كوروخاني بصيغتين على نصوص تل الفخار urukur - ru- ha- و uruku- ur- ru- ha- an- ni an- ni ثم يضيف قائلا بأن: «هناك أدلة أثرية قوية تشير إلى أن الطبقة الثانية في كوروخاني وقصرها الأخضر كانت معاصرة للطبقة الثانية وقصرها في نوزي، وقد لاقى كلا القصرين نفس النهاية من الحرق والتدمير وربما بنفس الوقت وبواسطة نفس الأعداء. إن الهجوم الخارجي وتدمير القصر في كل من نوزي وكوروخاني ربما كانت من أعمال الآشوريين الذين قضوا على الإتحاد الحوري- الميتانني في هذه المناطق، وربما كان ذلك خلال حكم آشور اوبلط الأول ١٣٦٥- ١٣٣٠ ق.م». راجع الصفحات ٤٤-٤٧، المجلد الثالث من مجلة سومر.
يعتبر الميتانيون مع أنسبائهم الذين مثلوا الطبقة العليا للمجتمع الكاشي في بابل من أقدم موجات الشعوب =

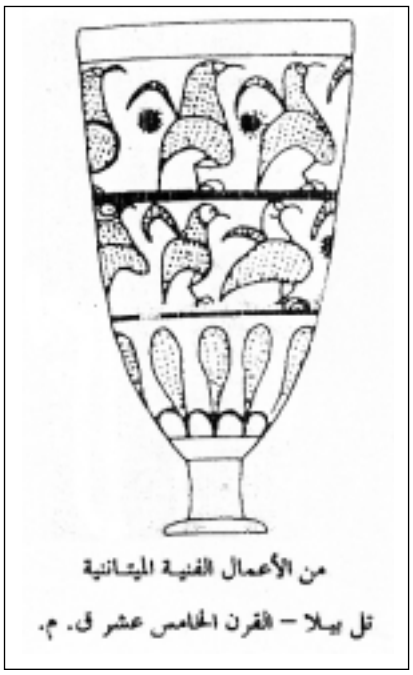

من الأعمال الفنية الميتانية
تل بيلا – القرن الخامس عشر ق. م.

ختم الملك الميتاني ساوششتار من آثار مدينة نوزي

الذين إستقروا بين الحوريين والكاشيين والكوتيين في مرتفعات جبال زاغروس وشمال وادي الرافدين خلال الألف الثالث والألف الثاني قبل الميلاد وإتخذوا من جميع اقاليم سوبارتو موطناً لهم وأخضعوا الملوك الحوريين لسيادتهم وثبتوا لأول مرة في التأريخ أساس الإنتماء الهندو– آري للغة الكردية(٢٩)

= الهندو– آرية الذين وضعوا أسس القومية الكردية في المحيط الحوري في شمال وادي الرافدين. وقد درست العالمة الروسية يانكوفسكا الحالة الإقتصادية والإجتماعية في هذا المستوطن والمستوطنات الأخرى في إقليم آرابخا ونشرت بحثها في: "Extended Family Commune and Civil Self- Government in Arrapha in the Fifeenth- Fourteenth Century B.C." Journal of the Economic and Social History of the Orient, 12,1969, PP.233-282 ومن الجدير بالإشارة هنا إلى أن مستوطنا آخر بإسم Ullubae كان قد أكتشف في شمال غرب مدينة دهوك وكان المقطع الأول من هذا الإسم يماثل إسم أولونوزي، وكان هذا الإسم مدوناً على نص يتركب من ٥٤ سطراً، راجع دراسات بوسغيت المتعلقة بحفريات ملا مركه J. N. Postgate, The Inscription of Tiglath- Pileser lll at Mila Merga, sumer, 29(1973), PP. 47- 59 وإعتقد المتخصصون سابقاً بأن مستوطن أوللوباي كان يقع ضمن حدود بلاد أورارتو بين المناطق العليا لنهر دجلة وجبال أنتي طوروس قرب دياربكر الحالية. لكن هذا النص يثبت موقعه بين دهوك وزاخو، وقد جاء هذا الإسم في نفس النص أحياناً بصيغة (كور أوللوبه) وكان يشمل الأراضي التي تحد آشور حتى نهر الزاب الكبير، وبدون شك فإن الإسم حوري المنشأ وكان المستوطن قريباً من عاصمة الميتانيين (واشوكاني).

(٢٩) إذا كانت رسالة الإمبراطور الميتانني ساوششتار Saussatatar مرسلة إلى ملوك كركوك عام ١٤٢٠ ق.م. [راجع: G. Wilhelm, Grundzûge der Geschichte und Kultur der Hurriter. Grundzûge, Band, 45, Darmstadt 1982, P. 140- 141 ثم إن الوثيقة الإدارية الرسمية التي اكتشفت في أرشيف كركوك تتحدث عن موت والد ساوششتار الإمبراطور بارساتاتار Parsatatar عام ١٤٤٠ق.م. راجع كل من: E. A. Speiser, JAOS 49. 1929, P. 129ff, K. Grosz, The Archive of the Wullu Family, Copenhagen 1988, P, ll فإنتشار الهنود الآريين في إقليم آرابخا وتكريد الحوريين فيه =

وقد شوهدت رسالة من رسائل الإمبراطور ساوششتار الميتاني (القرن الخامس عشر ق.م) معنونة إلى عامله إتخيا (إتخي تيلا) ملك مدينة نوزي الحوري في جنوب كركوك ومختومة بختمه أكتشفت

= لابد وقد جرت خلال النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد وكان معظم الأسماء عند هؤلاء يعبر عن قيمهم الروحية والأخلاقية مثل Birta-zana (نسل الأبطال)، Şatt- uazza (المنتصر على الشرور السبعة)، Rta dhaman (الحريص على الحق)، Rtamna (المعهود على القانون) وقد سجل الآشوريون خلال الألف الأول قبل الميلاد عشرات من هذه الأسماء في سجلات ملوكهم مثل Artamna, Bardaşua, Biryaşura, Ksemasura, Puruşa, Şaimasura, Satawaza, Vardd hasua, Viryasura... كما كان هناك في كردستان ملوك يحملون هذا النوع من الأسماء تمردوا على ملوك العصر السرجوني في آشور ومنهم ارتامنا، بارداشوا، برياشورا، برزوتا، توناكا، شاتاوازه، ووريا سورا، واردلسفا وكذلك كل من كاكي وداتانا حكام مقاطعة خوبوشكيا عام ٨٢٨ ق.م. وبريشاتي ملك گيزيلبونده عام ٨٢٠ ق.م.، وعلى كل حال فإن المقطع الثاني في عدد من هذه الأسماء مشتق من إسم إله الشمس الذي دونها النوزيون بصيغة سورا (Hura الكُردية) وجاء هذا الإسم في كتاب الآفيستا بصيغة (آسسورا) بينما تحول في اللغات الإيرانية الأخرى فيما بعد إلى (آهورا هور أو خور). ومع كل التأثيرات الهندية – الآرية على المرحلة البدائية نشأت خلالها اللغة الكُردية فإن كثير من اللاحقات وبعض المفردات الحورية ظلت تستعمل حتى الآن في هذه اللغة مثل:

لاحقات الأسماء والصفات الحورية	مثيلاتها في الكُردية	معانيها
-u- h =- ahe	Run - ahe	الضوء
-u- nn =-nni	mêri - nni	الشهامة
-u- zzi	Kurda-ssi(بلهجة الزازا)	الكُردية
-aye	sawa- aye	البساطة
-ka	pts- ka	الوسخ
-ale	kuz -ale	كوز صغير
-ane	marr- ane	عشر الغنم
-are	kurdew- are	الحياة الكُردية
-band	Pêş- band	ربطة أمامية
- baz	fêl - baz	حيال
- dar	brin - dar	مجروح
- gar	zêrin - gar	الصائغ
- kar	krê - kar	العامل
- mand	hoş - mand	الذكي
- saz	dan - saz	المغني
-ati	Piyaw- ati	الرجولة
-ayati	dost -ayati	الصداقة، المحبة
-êti	diz- êti	السرقة
alga	alqa	حلقة
amurt	mort	نوع من الشجر
ardi	ardi	الأرض
arse, ars	harze (harze-kar)	يافع
awya	awya	هناك
ata- u/o	hataw	الشمس
aware	aware	مشرد
bawr	bowr	اللون الرمادي brown

ضمن عدد كبير من الوثائق الرسمية المهمة التي حوت عشرات الأسماء الزاغروسية (الكوتية والحورية) والهندو الآرية لسكان هذه المدينة(٣٠)، وقد أشارت سجلات قلعة كركوك الحورية إلى أن ديمتو كيرخي شيلواخو (حصن مدينة بني شيلوا) كانت تحوي عدداً من المخازن الخاصة لحفظ المؤن عرفت آنذاك عند البابليين بـ(بيتاتو كوباتو أي قبو الأغذية Store - Vaults). وعلى كل حال، فقد شكلت أرابخا بجانب لوبدي (شهربان وجلولاء) في الألف الثاني قبل الميلاد ساتراً طبيعياً أمام مملكة كاردونياش الكاشية التي تأسست في بابل. وأثناء زوال المملكة الميتانية وعند تقسيم سوبارتو فيما بين الملوك الآشوريين والكاشيين ظلت أرابخا ومعها ديمتو كرخي شيلواخو فيما بين القرن الثالث

تمثال أحد الآلهة في نوزي

لاحقات الأسماء والصفات الحورية	مثيلاتها في الكُردية	معانيها
burg	burg	برج
dada	dada (≤daya)	الأم
edi	edi	طبعاً
gaz/ gaz-uli	gazali	غزال
halu/ o-la	halua	حلوى
ha-nu	hanu (hanuka)	الآن
hiç	hiç	لاشيء، أبداً
hur	hur	خرير
kew	kew - tin	الوقوع
kuru/o	kerre	مرة
lir	lir	سميك
man	man	بقاء
muli	mele - wani	السباحة
nig - ari	nigari	مهر، موهبة
pil	pir	جسر
qult	qult (qurt)	حفرة
sari	sari	شال
sauala	sal	سنة
şeya	şey	رطوبة
şir	zîr	عاقل
tadarak	tadarak	حب
tarmani	tarra-yi	مبلل

حول التفاصيل المتعلقة باللغة الحورية راجع الرسالة التالية:

F. Bush, A Grammar of the Hurrian Language, Xerox University Microfilms, Ann Arbor, Michigan, 1976.

(٣٠) كان ختم الإمبراطور الميتاني مدون بإسمه على النحو التالي «ساوششتتار بن بارساشتار ملك ميتاني»...: «Sa - uş - şa - at- tar mar Bar - sa- şa- tar şar Ma -i- ta- ni» لقد كانت هذه الأسماء والمفردات الحورية من نمط حييات (حواء)، كوشوخ، شاووشكا، شيمكا، شوالا، تيشوب، تيلاتيروي وغيرها كأسماء معبودات وأبفخي، أراشخ (دجلة)، أرّابخا، لوبدي، ماتكا، ناوار، نازو، سارا وغيرها كأسماء طوبوغرافية وإيوري (ملك)، بابني (جبل)، تيشني (قلب) وغيرها كمفردات لغوية ومن بين عشرات المفردات الكردية القديمة يمكن أن نشير إلى أسماء من نمط Pur(u) şa, şuwar, Zane...etc ومن مفردات مثل أدي (بالتأكيد)، أسپ (الخيل)، هر (كل)، هيچ (أبداً)، كوررو (كل مرة)، مير Mêr (الرجل) إلخ.

عدد من النقوش والأعمال الفنية في بلاد الميتانيين

صور من الحياة العادية بكوردستان
في القرن ١٣ ق.م. من الكلوس
المكتشفة في حسانلو – متحف طهران

عشر والثاني عشر قبل الميلاد جزءً من مغانم ملوك آشور الذين لم يتركوها في سلام، فأثناء عبورهم من خلالها على الدوام كانوا يثقلون كاهل سكانها بالجزية والأتاوات. وبعد إجتيازه نهر الزاب الصغير، هاجم عدد نيراري الثاني (٩١١–٨٩١ ق.م) مثلاً بلاد نامري (ناوار) عن طريق كيرخي[٣١] وقتل من قتل ونهب ما أراد. وظلت كيرخي مع إقليم أرابخا تابعة للآشوريين إلى أن حل فيها الماد Mede والسگز Scyth عقب إنهيار نينوى عام ٦١٢ق.م. وبإندماجهم ببقايا المجتمعات الآرية من العهد الميتاني الذين غيروا المظاهر الأثنية (المعالم القومية) للحوريين جسد الميديون والسگز معاً القاعدة اللغوية والعرقية الكردية التي بدأت معالمها في الظهور منذ مطلع الألف الثاني ق.م. في أرض سوبار وعلى هذا الأساس أصبحت كل من آشور وأوربيللوم وأرابخا ومعهنّ مدينة كيرخو (كيرخي) وكل المناطق الواقعة على الجهة الشرقية من نهر دجلة جزءً من بلاد ميديا[٣٢] وغدت حسب التنظيم

(٣١) راجع دراسات كل من:

C. J. Gadd, Revue d'assyriologie et d'archeologie Orientale (RA), XXIII, P. 64; Ungnad Subartu, Beitrage Zur Kul-turgeschichte und Volkerkunde Vorderasiens Berlin- Leipzig, 1936 P. 116; Th. Dangin, ودوّن ياقوت الحموي عام ١٢٢٨م إسم كركوك بصيغة كرخيني. راجع العدد ٢٧ من مجلة الدراسات الآشورية RA, XXVII, P.13

(٣٢) راجع كتاب أناباسيس (التوجه نحو الداخل) للقائد اليوناني كسينوفون: =

الإداري فيما بعد أحد ساترابات (مقاطعات) الدولة الأخمينية. وبناءً على الإتفاق العسكري بين كيخسرو Kai Xşa9ra (الملك العظيم) الميدي ونبوخذنصر الكلداني أجبرت كل من العشائر السكسية المتحالفة مع آشور التي قطنت بلاد مانا (ولاية كُردستان "سنندج" الحالية في إيران) وإستقر زعماؤها في مدينة حملت إسمهم القبلي (سكز < سقز)[٣٣] وكذلك وجهاء مملكة يهودا وزعماء سبط بني إسرائيل الذين تمردوا على البابليين مع أنبيائهم أجبروا على الإقامة في قلعة كركوك والمستوطنات التي تحيط بها[٣٤].

= Χθονοον, Avaßaotç III, 5.15.17. ويشير أرنست هرتسفيلد إلى أن نهر دجلة أصبح من بتليس تشاي لحد ديالى منذ سقوط نينوى ولحد سقوط بابل بيد كورش الأخميني عام ٥٣٩ ق.م. الحدود الغربية للإمبراطورية الميدية، راجع:

E. Herzfeld, The Persian Empire, Wiesbaden 1968, P.301.

(٣٣) نزح السكيث من بلادهم المعروفة بسكيثيا، وقد اطلق الإغريق تسمية سكيثيا Skythia (بلاد السكس) على السهول التي تقع إلى الشمال من البحر الأسود وكانت تمتد من كرباثيا في يوغوسلافيا عبوراً بشمال بلغاريا لحد الضفاف الشرقية من نهر الدون، في حين إشتهرت أواسط آسيا وبالأخص مناطقها الشمالية بسكيثيا الشرقية. عن تفاصيل هذا الموضوع راجع الموسوعة البريطانية، مادة Scythia. وفي الألف الأول قبل الميلاد نزح عدد كبير من هؤلاء إلى كُردستان وأول خبر مدون عنهم يأتينا من سجلات آشور ناصربال الثاني الذي عاش في الربع النصف الثاني من القرن التاسع قبل الميلاد راجع: T. Cuyler. Young, JR, "The Iranian Migration into the Zagros" IRAN, Journal of British Inst. of Persian Studies, Vol, v, (1967), P. 20 وكذلك راجع: T. Sulimirski, "Skythian Antiquities in Western Asia," 17, (1954), PP. 290 - 293. ومن بعد آشور ناصربال فقد تعرف الآشوريون على هذه القبائل بإسم إشكوزاي وكيميراي، ويظهر أنهم بعدما حلوا في المناطق الشرقية لآسيا الصغرى إنتشروا في جبهتين، قسم إستقر في الأنضول بجوار سينوب على مصب نهر هاليس لحقبة من الزمن وقسم آخر توجه حسب أقوال غريشمان نحو سواحل بحيرة أورميه [راجع كتاب غريشمان D, R. Ghrishman, Iran, L. 195, P. 93] ولما تعقدت الأمور في مملكة مانا الكوتية جنوب البحيرة المذكورة خلال أعوام ٦٦٠-٦٥٩ ق.م. قامت إنتفاضة ضد الأسرة الحاكمة فيها وكانت من نتائجها مقتل الملك اخشيري وإلتجاء إبنه إلى نينوى مما سمح للسكيث المتعاونين أيضاً مع الآشوريين بالنزوح إلى داخل المملكة المذكورة فاتحين جبهة مع حدود السلطة الميدية المتمركزة في همدان. ففي الأراضي التي تتاخم الحدود العراقية والإيرانية الحالية رسخ السكيث قاعدة بسيطة لنظام سياسي دامت ربع قرن حسب قول هيرودوت الذي يبرر سقوطها بيد الميديين كما يلي: «عندما دعا كي أكساريس زعماء السكيث إلى وليمة، أكلوا وشربوا حتى سكروا، ثم قتلهم جميعاً، وبذا حفظ الميديون مملكتهم، ورجع الباقون من السكيث إلى بلادهم في لبسهول المتاخمة للبحر الأسود من الشمال» [راجع هيرودوت، التأريخ، الفصل الأول، ص ١٠٦ وما بعدها].

(٣٤) يعتقد الكركوكيون أن من بين أسرى العبريين الذين سكنوا قلعتها كان كل من الكهنة الأنبياء دانيال وعزرا وحنانيا، لكن الحقيقة إن هؤلاء لم يقيموا في كركوك معاً وفي فترة واحدة، لأن نبوخذنصر الثاني حمل أسرى اليهود في سنين ٥٩٨، ٥٨٧ ق.م. وأسكنهم بلاد بابل. فمن بين أسرى الوجبة الأولى كان النبي الكاهن حزقيا الذي ظل =

وعلى ما يظهر فإن المجموعات الهندو- إيرانية من السكس Scyth حلفاء آشور أعاقوا تقدم القوات الميدية- البابلية المهاجمة على نينوى في محاور كوتيوم - أوربيللوم ثم إستقروا بعد سقوط العاصمة الآشورية بأمر الميديين في هذين الإقليمين رغم ملاحقة دارا الأخميني لإتحاداتهم القبلية في الأنضول والبلقان حتى جنوب روسيا في فترة لاحقة(٣٥).

نقش على كأس أكتشف في زيويه يصور مراسيم تقديم بعض الفدايا إلى أحد ملوك المانا – القرن السابع ق. م. من فنون كوردستان الشرقية – متحف لوفر

وعندما قطعت القوات المقدونية البادية السورية وعبرت نهر دجلة قرب پيش خابور (فيشخابور) في ٣٣١-٣٣٠ ق.م. إتجه أليكساندر المقدوني إلى

= في بابل أربعين عاماً. وفي الفصل الأول لحد الفصل السادس من القسم الثالث للعهد القديم نقرأ أخباراً عن نبوة دانيال وأصدقائه تحت ظل حكم نبوخد نصر (٦٠٥-٥٦٢ ق.م.) وبلشاصر وكل من كورش الثاني (٥٥٩-٥٣٠ق.م.) ودارا الأول (٥٢٢-٤٨٦ ق.م.) الإخمنيين، كما أن هناك أخباراً تتعلق بحوادث تتويج داريوش. ودانيال خدم في البداية بقصر نبوخذنصر أي في بداية القرن السادس قبل الميلاد ولانعتقد أنه شاهد فتح كورش لبابل عام ٥٣٩ ق.م. بينما عاش عزرا بعده بقرن وذلك فيما بين القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد وكان من أشهر أئمة قومه المشهورين حيث رجع بأمر من السلطات الأخمينية إلى أورشليم وأشتهر هناك بإسم أب اليهودية أو موسى الثاني لأنه أعاد كتابة التوراة (الكتب الخمسة من العهد القديم) راسماً فيها الصيغ الجديدة للدين اليهودي. ففي سفرَي عزرا ونحميا للكتاب المقدس إشارة إلى أن عزرا كان قد وصل إلى بلاده في السنة السابعة لحكم أرتخشير (أردشير)، ولانعرف أي أردشير هذا ولعله ذلك الذي شاهده كسينوفون عام ٤٠١ ق.م. في معركة كوناكسا قرب فلوجه [راجع أناباسيس]، لكن الحقائق التأريخية تشير إلى أن فترة حكم عزرا ليهودا تسبق فترة حكم نحميا التي كانت فيما بين أعوام ٤٤٥-٤٣٣ ق.م. ... أما أردشير الثاني الإخميني فقد حكم بين أعوام ٤٠٤-٣٥٨ ق.م. أي بعد حكم نحميا بنصف قرن، بناءً على هذا فإن عزرا كان لابد وقد وصل أورشليم خلال الفترة النهائية لحكم نحميا حاملاً معه إجازة رسمية من السلطات الأخمينية على أنه معترف به ككاتب قانون رب العالمين أو كسكرتير ملكي للشؤون الدينية لليهود الذين يعيشون غرب نهر الفرات. وفي هذا الدور ظهر التصوف اليهودي الذي يتجلى في خبرة حزقيال أحد الرجال الذين حملهم نبوخذنصر في أسره الأول. وفي الواقع يجب أن نتحقق من كل أسفار العهد القديم، لأن اليهود لم يقدموا لمدنية العالم القديم سوى شيئين أظهرت الأدلة التأريخية عدم إصالتهما وهما العهد القديم غير الدقيق من ناحية الحوادث التأريخية والمستمد كثير من أخباره من آداب شعوب وادي الرافدين ومصر وكنعاني سورية، والثاني المعتقد اليهودي المزيج من أصول الأديان الحورية والمصرية والآرية والبابلية. للإستزادة من هذه المعلومات راجع الباب الثالث من مؤلفنا تاريخ الشرق القديم، بغداد ١٩٨٨، بمشاركة الدكتور سامي سعيد الأحمد.

(٣٥) بعد إندحار قوات مملكة مانا التي كانت قد أسسها الكوتيين في المناطق الواقعة على منابع نهر الزاب الصغير وحالفت آشور في التصدي للبابليين في معركة كابلينا على نهر الفرات دخل الميديون إلى بلاد مانا بعد أن قضوا على زعماء السكيث كما ذكر. وفي هذه الفترة لم تكن في الشمال وعلى محور أتروباتينا (أذربيجان) أي مانع من زحف القبائل الإسكيثية إلى سهل أربيل ثم إلى كركوك، لذلك فقد إتخذوا محاور كل من نغده- شنو وسردشت- كويسنجق لأجل الوصول إلى غايتهم. وعلى حد معلوماتنا فإن فلول السكيث إلتقوا بالزاكروتيين (وهم صنف من الميديين) في سهول أربيل وكانوا قد سكنوها بعد إنهيار الإمبراطورية الآشورية، فإشتهرت من بين طبقة نبلائهم أسرتان ملكيتان حكم أفرادهما كلاً من أربيل وكركوك خلال العصر الفرثي.

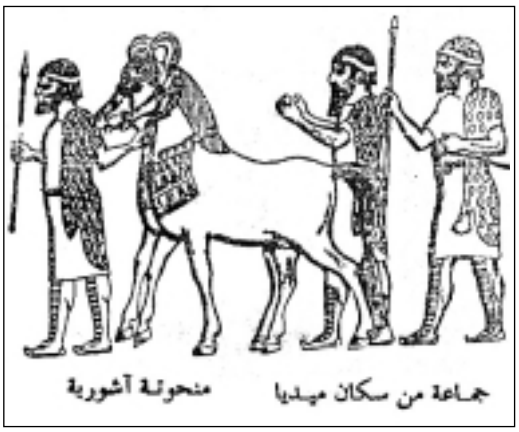

gvgml< gab. gam^{e}la) Gaugamela الآرامي = تل جمل) لكي يلتقي غريمه داريوس الثالث الذي ترك المعركة وإلتجأ عبر جبال كردستان الى شمال إيران. وبعد عبوره نهر الزاب الصغير إقترب اليكساندر من منابع النفط في أرابخا وهنا أشار الكاتب اليوناني بلوتارخ(٣٦) إلى أن «أليسكاندر توجه بعد معركة Gaugamela قرب أربيلا نحو بابل عن طريق أرباخي Arpahi (ويقصد أرابخي أو أرابخا ودوّنه بطليموس بصيغة Arrhapa) حيث أصلح قلعتها (أي قلعة كركوك)» ويضيف قائلاً «أنّ على أرض أرباخي تشاهد نيران مشتعلة دائمة وتغطيها أنهار من النفط» وهذا الكلام ينطبق تماماً على موقع عرفه المعاصر.

أما موقع بابا گورگور فقد أورد بلوتارخ إسمه بصيغة كوركورا Korkoura على أنها مع أرباخي تشكل جانباً من ساتراب ميديا، وقد أضاف الميديون والسكز على نهاية الإسم اللاحقة الزاغروسية المحلية ak, -uk- فغدت التسمية كوركورك Korkour - ak أو Korkour - uk كوركوروك(٣٧) لذلك فلا علاقة لهذا الإسم بالتسمية الآرامية للمدينة (كرخا د بيث سلوخ) كما يعتقد ذلك بعض الكتاب. ومن الجدير بالإشارة هنا إلى أن بطليموس في نهاية الألف الأول قبل الميلاد حدد موقع سكنى الأرابخيين في الجهة الشمالية من ديمتو (القلعة).

فإذا كانت مدينة كوركورك (كركوك) قد أصبحت مركزاً من مراكز ساتراب ميديا منذ القرن السابع قبل الميلاد، فإن الإسكيث (السكس)(٣٨) لابد وقد حلوا فيها في هذه الفترة بأمر من الميديين وكان الإندماج الثقافي بين هاتين الشريحتين من المستوطنين أمراً طبيعياً لأنهما إنحدرتا من نفس الأروقة الإيرانية عرقاً ولغة. فبعد ظهور المعالم اللغوية المتأثرة بالمفردات الهندية الآرية منذ الألف الثاني قبل الميلاد في هذا المستوطن الكوتي –الحوري – الميتاني القديم التي وضعت أقدم قاعدة للغة

(٣٦) راجع: بلوتارخ، حياة أليكساندر Plutarch., Alex., 35

(٣٧) شوهدت هذه اللاحقة أحيانا بصيغة (كه ka– أو كو ku –) على الأسماء الإيرانية من نمط: Arstaka, Artuka, Ba-guka, Mazdaka, Xşarka, Arşaka, Dahyauku راجع بالروسية الصفحة ٦٩٢ من المرجع التالي:

Б. А, Грантовский, О Распространении Иранских Племен на территории Ирана, История Иранскова Государство и Ккультуры, Москваб 1971 .

(٣٨) كان السكس أنسباء الفرث الذين أنهوا الحكم السلوقي في العراق، وقد نزحوا إلى وادي الرافدين من بلاد سكيثيا وخوارزم في فترتين متفاوتين، راجع موضوع أسلاف اللان في التأريخ من السكيث والكيميريين والسرمات في الفصل الثالث من كتابنا «لقاء الأسلاف»، لندن ١٩٩٤، ص ١٠٧– ١٣٩.

تمثال أمير فرثي من القرن الثاني ق. م.
متحف طهران

الكردية دخلت إلى جذور هذه القاعدة بعد مرور ألف عام التأثيرات الثقافية الإيرانية التي حددت تقاليد صرفها ونحوها، وهذه الظاهرة لابد وقد سادت لأول مرة في العصر الميدي وتكامل خلال العصر الهللينى. ومنذ عام ١٢٨ ق.م. نشأت في إقليم أربخا مملكة بدأت تقودها أسرة إيزدين السكسية وإشتهرت المناطق الجنوبية الحارة منها في هذه الفترة بإسم گرمكان Garmakan (گرميان الكردية) الذي تحول إلى جرمقان (جاراميقا أو جرميق) في العربية، أما مناطقه الوسطى المعتدلة التي شكلت كركوك مركزها وإشتهر عند السريان بـBêgermê فسميت بـ(شهرا– زور) تيمناً بألقاب ملوكها التي إشتهرت بصيغة (شهرا أو شهرات) حيث بنى أحدهم كذلك مدينة شهراكرت Şahra - kart على نهر الزاب الصغير التي تعرف عند الكُرد بإسم پردي Pirdê (القنطرة) وسجله الآراميون بصيغة شهرقذ (من شهراكرت) ثم إعتقد العثمانيون في وقت لاحق بأن الزاب تحريف كُردي لكلمة الذهب العربية فسموا البلدة خطأ آلتون كوبري (القنطرة الذهبية). وأطلق الآراميون تارة على إقليم Garmakan (بيث گرماي) الكنية التي أخذت صيغة باجرمي في العربية وتارة أخرى (شهرزفر أو سيارزور) وترجمه السريان إلى (شهرزفر) إلا أن البيزنطيين ظلوا يطلقون على مركزه تسمية Chalchas Toi Izdem = XaAXao Toi IÇasμ (قلعة بيت إزدين)[٣٩] التي حلت محل التسمية الحورية ديمتو كيرخي شيلواخو (قلعة مدينة بني شيلوا) فإذا كانت الملكة الأربيلية هيلينا وأخوها وزوجها في آن واحد الملك مونوباز الوثنيان السكسيان قد تقبلا اليهودية خلال هذه الفترة وأطلقا على وليديهما كنية إزاتيس (عزة) التي عممت فيما بعد على أغلب ملوك Adiabênê الذين دفنوا في أورشليم[٤٠]، فإن أسرة إزدين التي شاركت في تقوية الشروط القومية للكرد على الأقل كانت محتفظة لتقاليدها المزدية الإيرانية Mazdaizim التي جسّدت الألوهية

(٣٩) حول الجذور القديمة لتسمية (شهرزور) راجع دراسات إرنست هرتسفيلد:
E. Herzfeld, The Persian Empire, Wiesbaden, 1968.

(٤٠) دفنت هيلينا عام ٥٠ م في أورشليم ثم لحقها كل من مونوباز وعزة الأول. حول هذا الموضوع راجع كتاب «الحرب اليهودية» ليوسف الفلاوي: Josephus, Ant. Jud. XX, 35 and Bell. Jud V, p.253 وبناء على دراسات Koshaker فإن الزواج الداخلي بين أعضاء الأسرة الواحدة عند السكس وكذلك عند الميديين في أربخا كان عرفاً سائداً (راجع أرنست هرتسفيلد). فأغلب الملوك هنا تزوجوا بأخواتهم أو بناتهم، وجدير بالإشارة إلى أن هذا العرف كان كذلك سائداً بين الفراعنة والملوك الحيثيين والفرث والساسانيين وأغلب المجتمعات القديمة.

بنور السماء، وما أن حل القرن الأول الميلادي إلا ونجد أفراد الأسرتين الملكيتين قد تركوا تقاليدهم الدينية الوثنية واليهودية القديمة وجعلوا المسيحية ديناً رسمياً للدولة في هذا القسم من ميديا الذي إشتهر منذ هذه الفترة بـ(شهرازور) حيث أصبحت كركوك تشكل فيه مركزاً لأقدم مطرانية لا على مستوى ميديا بل في عموم الشرق، وظهر من وجهائها الكرد أساقفة خدموا الكنائس المسيحية بإخلاص أمثال بار شبا الشهرزوري ويعقوب لاشوم والجاثليق صبر يشوع الذي تربى راعياً في الجهات الجبلية من شهرزور وأصبح أسقف كنيسة لاشوم (لاسين قرب داقوق بجنوب كركوك) ونرسي الذي ولد في شهرقذ (آلتون كوبري) وكذلك رئيس جيمع كنائس الشرق الجاثليق شاهدوست الملقب بناثنيال الشهرزوري الذي صلبه شابور الساساني عام ٣٤٢م مع ١٢٨ كردياً مرتداً من ديانته الزرادشتية حيث سماهم كتاب العصر الإسلامي كالمسعودي بالجرامقة (الكلمة المعربة لگرمكان) ولعل توماس المرجي يمثل آخر عنقود من الكرد المسيحيين الذين أبقوا لنا مدوناتهم الدينية، فقد ولد عام ٨٣٢م بشهرزور (شهرگان) وهو إبن يعقوب الذي ينتمي الى قبيلة الشيروانيين (شارونايه) في منطقة رواندز وعيّن أسقفاً للدير النسطوري في بيث عبهي الذي أسسه يعقوب لاشوم ثم إنتقل إلى مرگه بوسط كُردستان وأخيراً أشغل منصب ميتروبوليتان (مطرانية) بيث گرماي حيث إستقر في كركوك. وبناءً على هذه الظاهرة ومنذ الحكم الملكي السكسي المسيحي أصبحت الآرامية، اللغة التي كان يبشر بها السيد المسيح ومن بعده تلاميذه، لغة الطقوس والمراسيم الدينية في الكنائس والمدارس في كركوك وظلت كل الأعمال التي كتبها مشاهير الكنائس الكُردية من مطارنة وأساقفة جزءا من تراث السريانية الوريثة الشرعية للآرامية.

وعلى كل حال، فإن إقليم شهرزور أصبح منذ العصر الهلليني موطناً رئيسياً للطوائف الكردية حكمها ملوك محليون ثم ساد فيه التنظيم الإداري لإمبراطورية الفرث حمل حكامه لقب (الشاه)، وعندما إنتصر أردشير بن بابك مؤسس الدولة الساسانية على الإمبراطور أردوان الخامس الفرثي عام ٢٢٤م دخل في حرب مع كورتان شاهي ماديك (مادي ملك الكُرد) قرب كركوك بإقليم شهرزور. ويشير النص البهلوي لكتاب كارنامج أردشيري بابكان إلى أن «الفضل يرجع للجيش الباسل الذي دخل في حرب ضد مادي ملك الكُرد حيث سالت دماء كثيرة فإندحر جيش أردشير»[٤١]. ومنذ أواسط القرن الثالث الميلادي غدت المقاطعات التابعة لكل من شهرزور وبيث گرمي Bêth Garmê تابعة للساسانيين الذين أسكنوا في قلعة مدينتها الرئيسية كرخا (كيرخي) مجموعة من أشراف البيوتات الفهلية (الفيلية) حيث كانوا يسجدون للشمس كل صباح حسب ما مسجل في مدوّنات مطرانيتها، ثم أصبحت هذه المدينة مرقعا شهيرا للإحتفالات الدينية المسيحية، وبعدما علا شأن كنيستها حين اعتبرت من أبرز المراكز الدينية في العالم شهد أتباعها في القرن الخامس الميلادي كثيرا من الظلم

(٤١) جاء النص بالبهلوية كما يلي: «پس أز آن دس سپاه گند زاوول او همكرت او كارثار كورتان شه ماديك فروفرت دس كارثار خزن ريژيشينه بوت وسپاه ارتخشير ستوبيبه پتگرفت إلخ» راجع كل من الترجمة الفارسية لكتاب الكارنامك بتحقيق أحمد كسروي، بهمن ١٣٤٢ والترجمة الألمانية بتحقيق ثيودور نولدكه
Th. Noldeke, Geschichte des Ardachsir i Papakan, Gottingen, 1879.

والإضطهاد ووقع عدد كبير منهم ضحايا سياسة يزدطرد الثاني (٤٣٨م–٤٥٧م) الدينية، ومع مرور الزمن فقد ظلت كركوك، حتى في العصور الإسلامية وكذلك بعد إستقرار القبائل التركمانية فيها خلال القرن الرابع عشر الميلادي وضمها بالدولة العثمانية بموجب ترسيم الحدود مع إيران في القرن السادس عشر تشكل المركز الإداري والإقتصادي لإقليم شهرزور[٤٢]، تلك الوضعية التي أشار إليها

لوحة من أربعينات القرن الثالث الميلادي تشير إلى مراسيم تتويج الملك الساساني أردشير بن بابكان

نقش رحب – إيران

(٤٢) بغض النظر عن الدوافع الإقتصادية لهجرات القبائل المادية والإخمينية من خوارزم نحو مرتفعات جبال زاگروس، فإن إنطلاق الفرث (وهم صنف من السكس) من بلاد برثاوا Parthava (تركمانيا الحالية) نحو وادي الرافدين بعد إنهيار آخر معقل للحكم المقدوني بيدهم كانت سياسية تخص إستراتيجية القضاء على مركز الحكم السلوقي في المدائن. ومع ذلك فقد ظلت الحاجيات الإقتصادية دوماً هي الدوافع الرئيسية للغارات المنظمة عند سكان بَوادي أواسط آسيا القاحلة من الهياطلة (Haptalitias القبائل السبعة) وإستمرت قائمة طوال فترة الحكم الساساني في العراق وإيران. راجع تفاصيل هذا الموضوع عند آرثر كرستنسن، إيران في عهد الساسانيين: A.Christensen, L Iran Soule Sassnides, Copenhagen, 1936

وعند [illegible] كستان [illegible] العباس بن راشد بن حماد مولى محمد بن سليمان) رسول الخليفة العباسي المقتدر بالله إلى ملك البلغار والصقالبة في القرن العاشر الميلادي الحالة الإقتصادية والإجتماعية المزرية للقبائل البدوية التركية التي إشتهرت فيما وراء النهر بأسماء عديدة، وهي الفترة التي تزامنت مع أول بادرة لنزوح التركمان إلى اذربيجان هرباً من غارات الغز (الأغوز) عندما كانت تمتلكها الكُرد من الروادیین الذين إستقروا في تبريز منذ عام ٣٤٣هـ/٩٥٤م وسادوا على جميع أنحائها عام ٤٦٣هـ/٩٨٣م. راجع كتاب «رحلة إبن فضلان بتحقيق زكي وليدي طوغان»:

Ibn Fadlan's Reisibericht (AKM,BD, XXIV, HF,3),Bd. Togan (Leipzig, 1939)

وعن موضوع الروادیین راجع كتابنا «لقاء الأسلاف، طبعة لندن ١٩٩٤، ص٢١٢ ومابعدها». فلما إنتعشت خلال القرن العاشر بلاد خراسان بيد الأسرة السامانية وكل من آذربيجان وكُردستان بيد الروادیین والشداديين والمروانيين ثقافياً وسياسياً وإقتصادياً غدت هذه البلدان فريسة للقبائل البدوية لآسيا الوسطى مرة اخرى. ففي مطلع القرن الثالث عشر الميلادي وصل المغول إلى آميد (دياربكر) وذبحوا جميع من كان فيها من الكُرد ثم إتجهوا نحو ماردين ونصيبين وحللوا لأنفسهم فيهما ما طاب لهم من زهق الأرواح وإستباحة الأموال والنساء. وفيما بين أعوام ١٢٣٥م–١٢٣٦م أغار هؤلاء شمال كردستان مرة أخرى ثم نزحوا عام ١٢٤٧م نحو الجنوب فنهبوا مدن وقرى شهرزور ورجعوا عام ١٢٥٢م فأغاروا مرة أخرى على دياربكر وما والاها. وعند إنسحاب هولاكو من بغداد إلى تبريز عام ١٢٥٨م أدت إحتياجاته للأرزاق والمؤن إلى إرسال فلول من رجاله لنهب الديار الكُردية المشهورة بغلاتها مثل هيكاري، دياربكر، جزيرة بوتان وماردين. ومع حلول عام ١٣٩٣م حل في كردستان تيمورلنك وارسل إبنه لنهب دياربكر، ماردين، طورعابدين وحصنكيف ثم زحف بنفسه نحو الجنوب فإحتل أربيل والموصل والجزيرة عام ١٤٠١م وأقام بعض رجاله من التركمان في هيكاري لكي يؤمن طرق التجارة بين حلب وتبريز، وقبل أن يستولي على بغداد مع مغيريه من القبائل التركمانية نهب كركوك ودمّر بعض معالمها عام ٨٠٣هـ/١٤٠٣م حسبما نقرأ ذلك في الصفحة =

المتخصص البريطاني للشؤون الكُردية في العراق ج.س. إدموندس J. C. Edmonds بقوله «أن كركوك كانت تشكل في القرن الثامن عشر الميلادي مركزاً لإيالة شهرزور العثمانية وكانت تضم كلاً من كركوك وأربيل والسليمانية، ومنذ عام ١٨٦٩م لحد عام ١٨٧٢م ثبت إسم شهرزور على سنجق كركوك الذي شمل كذلك أربيل، أما ولاية الموصل فقد ظهرت إلى الوجود عام ١٨٧٩م وكانت كركوك مركزاً رئيسياً من مراكزها حيث أسكن العثمانيون فيها بعض أتباعهم من الخدم والجندرمة... وأثناء عودتهم إلى المدينة عام ١٩١٨م حولوا كنيستها إلى عنبر لحفظ الأرزاق والأعتدة ثم دمروها بالكامل قبل إنسحابهم منها»(٤٣). ومن الجدير بالإشارة هنا أن العثمانيين إقتلعوا بطوناً من عشائر شيخ بزيني الكُردية التي كانت تقطن في منطقة شوان بشمال مدينة كركوك ونقلوها بالكامل إلى مناطق قونية وجنوب أنقره في وسط الأنضول حيث لايزالون يتكلمون هناك باللهجة التي يتكلم بها الكرد في منطقة كركوك وما والاها، كما نقلوا كذلك بضعة آلاف من الهموند وأسكنوهم بالإضافة إلى مناطق ماردين وأورفه بجنوب الأنضول في كل من ليبيا والجزائر.

وبناء على ما ذكر من حقائق، ما كان لوجه من الوجوه المثقفة العثمانية كالأستاذ شمس الدين سامي قبل إدموندس إلا أن يشرح في المجلد الخامس من وثيقته (قاموس الأعلام) المطبوع عام ١٣١٥هـ/ ١٨٩٦م الوضع العام في كركوك بصورة دقيقة ومنصفة مشيراً إلى أن:

«كركوك... مدينة في ولاية الموصل بكُردستان وتقع على بعد ١٦٠ كيلومتراً جنوب

= ٤٩٥-٤٩٩ من الجزء ٢٠ للموسوعة التركية Turk Ansiklopedisi طبعة انقرة ١٩٧٢م ولاشك أنه أبقى قسماً من قواته التركمانية في خط رجوعه بكركوك. وهذا أول بادرة للوجود التركماني في الوطن الكُردي، ولكن لم ترحمهم الظروف السياسية التي نشأت في هذه الفترة من خلال الصراع المذهبي بين العثمانيين والصفويين. فعندما بدأت معالم السلطة العثمانية بين أعوام ١٣٧٨م-١٥٠٢م تتركز وتتعاظم في الأناضول جابهت عام ١٤٦٩م قوتين منافستين لها في كل من كُردستان وآذربيجان وهما إتحادي قبائل التركمان من قره قوينلو الشيعية وآق قوينلو السنية التي كانت تحاول النزوح إلى مناطق النفوذ العثماني في شمال وادي الرافدين، فحاول العثمانيون إستغلال المشاعر المذهبية عند زعماء الآق قوينلو، لذلك وبالمقابل طرد إسماعيل الصفوي مع قواته من القزلباش عام ١٥٢٩م فلول الآق قوينلو من تبريز ولحقهم حتى المناطق الغربية من دياربكر ومرعش ثم نزح نحو الموصل ومنها توجه إلى شهرزور من أجل إحتلال مدينة بغداد. وفي خلال هذه الحملة إستقر عام ١٥١١م بعض المرافقين للشاه الصفوي من عشائر القزلباش الشيعية من التركمان في أواسط الأنضول حيث قضى الخان ياووز سليم على أربعين الفاً منهم فيما بعد وتشتت الباقون منهم في القرى الواقعة على محور طريق كركوك - بغداد، في حين سمح ياووز سليم بعد إنتصاره على غريمه إسماعيل الصفوي في معركة تشالديران عام ١٥١٤م لـ٧٥ ألفاً من تركمان الآق قوينلو الذين أشتهروا بكنية بوز أولوس (ذوي اللون الأسمر) للإستقرار في كل من شهرزور وشمال سوريا. حول تفاصيل هذا الموضـــوع راجع: David McDowall, A Modern History Of The Kurds, London, 1996, PP. 25-26 وهكذا فظروف إستقرار أفراد القبائل البدوية التركمانية في كُردستان خلال القرن الرابع عشر الميلادي تتميز بدوافع الطموح الإقتصادي والشخصي ثم السياسي لدى زعمائهم وتشبه مثيلتها عند عدد من العشائر الكُردية التي أجبرها الشاه عباس الصفوي خلال القرن السادس عشر الميلادي ولنفس الغرض في العيش بتركمانستان. وبناء على هذا الواقع فإن القضية القومية الكُردية لم تظهر في تركمانستان وإنما بدأت في الظهور في مهدهم، وهي تشبه نظيرتها التركمانية التي من المفروض أنها نمت في أواسط آسيا وليس في جنوب كُردستان.

(٤٣) راجع: J. C. Edmonds, Kurds, Turks and Arabs. Politics. Travel and Recirds in North Eastern Iraq 1919, London 1957, P. 265ff.

شرق مدينة الموصل ووسط تلول صفراء وعلى وادي أدهم وتشكل مركز سنجاق شهرزور، عدد سكانها ٣٠٠٠٠ وفيها قلعة و٣٦ جامعاً ومسجداً و٧ مدارس و١٥ تكية وزاوية و١٢ خاناً و١٢٨٢ مخزناً ودكاناً ودبستانا واحداً و٨ حمامات وجسرا واحداً على النهر ورشدية واحدة و١٨ مدرسة للصبيان و٣ كنائس وحاورة واحدة، وفي القلعة المقامة على التل وكذلك في المحلات (الأزقة) الواقعة تحتها وعلى الجهة اليمنى من النهر التي تتركب منها المدينة نجد أن ثلاثة أرباع السكان هم من الكُرد والبقية هم من الترك والعرب وغيرهم، وهناك تعيش ٧٦٠ أسرة يهودية و٤٦٠ أسرة مسيحية كلدانية... إلخ»(٤٤).

وبعد ربع قرن من الزمان زار ج. س. إدموندس J. C. Edmonds كركوك وسجل معلومات دقيقة عنها وعن سكانها والعوائل المشهورة فيها مشيراً إلى أن «هذه المدينة أصبحت من ممتلكات السلطة العثمانية قبل دخولها في المعارك مع كل من الشاه عباس (١٦٢٥م–١٦٣٠م) ونادر شاه (١٧٤٣م–١٧٥٤م)، وعندما إحتلها البريطانيون عام ١٩١٨م كان عدد نفوس سكان المدينة ٢٥ ألف نسمة...» على حد قوله. وبالرغم من أن مدينة كركوك كانت محاطة بالأقضية والنواحي والقرى ذات السمات الفلاحية الكُردية الصرفة حيث شكلت كل واحدة منها، بالإضافة إلى المدينة نفسها، مركزاً من مراكز التبادل التجاري وسوقاً من أسواق صرف بضائع ومنتجات مزارع الداوده والطالبانية والكاكائية والروذبيانية والشيخانية والجبارية والجاف والزنطه وطل وشوان الذين كانوا يسكنون بالإجماع حوالي كركوك، فإن أغلبية السكان داخل المدينة كانت تظهر وكأنهم من التركمان على حدّ قول إدموندس رغم إعترافه بالأصول الكُردية للبيوتات البارزة فيهم كأسرتي النفطچي زاده واليعقوبي زاده المنحدرتان من عشيرة الزنگنه كما أبلغه وجهاء التركمان أنفسهم. وفي الواقع فإن تركمنة الكُرد داخل المدينة أتت لأسباب عديدة منها:

١) بتأثير الضغوط العسكرية والسياسية والإدارية والثقافية التركية التي سادت في المدينة منذ القرن السادس عشر الميلادي.

٢) بظهور طبقة من التجار والملاكين بين التركمان داخل المدينة نتيجة إستغلال الثروة الحيوانية والزراعية للقرويين الكُرد.

٣) بفرض التركية كلغة رسمية في الدوائر العثمانية لم تتأثر بها سكان القرى.

(٤٤) ورد النص في قاموس الإعلام الذي تحققنا منه عام ١٩٧٧م في مكتبة ليدن الحكومية بهولندا كما يلي: «كركوك... كردستانك موصل ولاينتده وموصلك ١٦٠ كيلو متره جنوب شرقيسنده وبر صره تبلرك ألتنده أوله رق واسع بر أووه نك كنارنده و(وادي أدهم) أوزرنده شهرزور سنجاغنك مركزي بر شهر أولوب، ٣٠٠٠٠ أهاليسي، قلعه سي، ٣٦ جامع ومسجدي، ٧ مدرسه سي، ١٥ تكيه وزاويه سي، ١٢ خاني، ١٢٨٢ مغازه ودكاني، بدستانى، ٨ حمامى، نهرك أوزرنده بر كوبريسي، بر رشدية و١٨ صبيان مكتبي، ٣ كليساسي وبر حاوره سي واردر. بر تبه نك أوزرنده بولنان قلعه دروبى إيله قلعه نك آلتنده كى محلاتدن ونهرك صاغ طرفنده كى قسمندن مركب اولدينى حالده، أهاليسينك أوج ربعى كرد وقصورى ترك وعرب وسائره در، ٧٦٠ إسرائيلي و٤٦٠ كلداني دخى واردر... إلخ».

٤) بحاجة الأسر الكُردية السنية التي إنحدرت من كُردستان الشرقية (إيران) الى تعلم التركية لكي يعتبروا من رعايا الدولة العثمانية من أجل الحصول على جنسية المملكة العراقية بعد تشكيلها من قبل بريطانيا.

٥) بالزواج والإمتزاج الإجتماعي.

٦) بسبب الخوف من الرجوع إلى الحكم التركي أثناء المطالبة بولاية الموصل من قبل الكماليين.

وحريّ بالقول أن ظاهرة التركمنة في إطارها الطبيعي إستوعبت في بداية القرن العشرين؛ بالإضافة إلى الكُرد؛ أسراً عربية إمتهن أفرادها مهنة القصابة في كركوك وكان المفهوم العام لهذه الظاهرة هو الإستقرار في مدينة كركوك وتفضيل الكلام التركي في التداول اليومي بحجة أن الناس تعاملوا به في المدارس والأسواق منذ أربعة قرون. وفي أواسط الخمسينات من القرن الماضي إشتدت حدة هذه الظاهرة مع قيام حلف بغداد الذي ضم تركيا بجانب العراق ومن إحدى نتائجها كان فتح المركز الثقافي التركي داخل المدينة؛ إلا أن نجاح ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨م غيّر وجه هذا التطور للتركمنة؛ وخاصة عندما إنسلخت العراق من الحلف المذكور وتم الإعتراف في الدستور المؤقت على أن الكُرد يشاركون العرب في الوطن العراقي، مما أثار حفيظة أولئك الذين كانوا يعتزون بتلك الظاهرة ويباركون التقارب العراقي- التركي على أساس الحلف المذكور. لقد إعتبر البعض ذلك النص ضربة أليمة أصابت مشاعر التفوق العرقي والحضاري لديهم حينما أقنعوا أنفسهم بأن الدولة قد تركتهم وأن الشرائح الفلاحية والقبلية الكُردية والعربية ذات المستوى المتدني حسب إعتقادهم أصبحوا شركاء في إمتلاك الوطن الذي ساد العثمانيين عليه لأكثر من خمس قرون. لقد أدى هذا الإتجاه التركماني في تفسير الوقائع وما لاقاه من ردود فعل من قبل الكرد إلى تغيير البنية الذهنية لدى سكان المدينة الذين تقوقعوا في منظمات وأحزاب متصارعة وأصبحت نتائجها السلبية فرصة ثمينة لكي تستغل من قبل القوى الخارجية.

أنّ تمتع الإنسان بحقوق المواطنة والإنصهار في بوتقة ثقافة من الثقافات غير مشروطين بطول الخلفية الزمنية لوجود قوم ما في هذا البلد أو ذاك، وهذا لايعني إنكار حقيقة التباين الموجود في الخلفية اللغوية والثقافية لشرائح مجتمع ما مثل مجتمع كركوك. فالعربية نشأت؛ كما هو المعروف؛ في شبه جزيرة العرب وليس في كركوك مستوعبة بقايا اللغات السامية الأخرى كالكنعانية والبابلية والآرامية في كل من سورية والعراق. الكُردية فقد ظهرت إلى الوجود في المناطق الشمالية والشرقية من وادي الرافدين بإنتشار الهنود الآريين والإيرانيين القدماء بين سكان مستوطنيها الأوائل من الكوتيين والحوريين. أما التركمانية فترجع جذورها إلى مجموعة لغات الأورال- ألطاي التي إنتشرت في أواسط آسيا مستوعبة ثقافة الفرث وأغلب مفردات لهجاتهم. ورغم هذا الواقع التأريخي فبإمكان الإنسان أن يستعمل طاقاته الفكرية والعضلية في سبيل تحويل هذا التباين اللغوي والثقافي نحو بناء قاعدة للتفوق الذهني، كما يمكن تنظيم تلك الذهنية المتفوقة في إستغلال الموارد والثروات الطبيعية بصورة عادلة في بلاده، وعلى هذا الأساس ندعو أبناء الوطن العمل من أجل إزدهار وضع الإنسان العراقي بتأمين حياته الشخصية والإجتماعية والإقتصادية والثقافية.

ياموطني يا كركوك... لمن أنت مملوك...؟

اولاً

مـــدينتي العـــتـــيـــقـــة كـــارُ وكـــوكُ[١]
حـــصّنهـــا وبنى قلعـــتـــهـــا ملوك
مـــرجـــعـــهم قـــبـــيلة الكوتيين توروك[٢]
وحـــوريـين مـــثل شـــيلوا وبـگوك[٣]
وبأسم المعـــبـــودين مـــيـــشـــرا ومـــزدوك[٤]
عـــمـــرها من الميـــديين دهيـــوك[٥]
ثم مـــر بهـــا أليكســـاندرُ وسلّوك[٦]
ثم حكمـــهـــا من الفـــرث أرشـــوك[٧]
وسكن فـــيـــهـــا رابيٌ قسٌ ومـــوگ[٨]
في مملكة أقـــامـــهـــا من الآس روكُ[٩]

(١) كار وكوك، كلمتان كُرديتان بمعنى (العمل العظيم).
(٢) كان الكوتيون من الأقوام الزاغروسية الذين كانوا يسكنون مع بدأ عصر الكتابة في البلاد الواقعة بين بحيرة اورميه وسلاسل جبال حمرين التي عرفت بكوتيوم وتمركزت في كركوك. وفي بداية الألف الثاني قبل الميلاد كانت قبيلة التوروكيين الكوتية من اقوى القبائل التي صارعت كل من النفوذ الآشوري والبابلي في هذه الأنحاء. فأقدم سكان كركوك كانوا على الأغلب من التوروكيين الذين بنوا قلعتها.
(٣) كان الحوريون كذلك من الاقوام الزاغروسية الذين إستوطنوا في كل من أربابخا (كركوك) ونوزي وكوروخاني، وكان شيلوا تيشوب من اشهر ملوك كركوك التابعين للإمبراطور الميتانني ساوششتار في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، أما بگوك فهو أحد الملوك الذين حملوا لقباً هندياً آرياً مشتقاً من إسم الإله (باگا Baga) الذي أدخل الكاشيون طقس عبادته إلى بابل بإسم بوگاش وذلك في الألف الثاني قبل الميلاد، وبكنية هذا الإله بنيت مدينة بغداد Bagha -dat أي عطاء الله.
(٤) ميشرا، إله الشمس، هو من اقدم معبودات الهنود الآريين ورد إسمه في متن المعاهدة المبرمة بين الملك الميتاننني ماتيوازه والملك الحثي شوبيلوليوما في القرن الرابع عشر قبل الميلاد. أما مزدوك فهو المعبود الإيراني آهورامزدا إله الخير.
(٥) دهيوك كلمة ميدية تعني صاهب الإقليم (ملك البلاد) وسجلت عند الآشوريين بصيغة دهياوكو وأخذت في الفهلوية صيغة دهاك أو دهيك وإشتق العرب منها صيغة دهاق وجمعها الدهاقين.
(٦) نقصد بسلوك سلوقس احد قادة إسكندر الذي حكم العراق وبنى مدينة السلوقية (سلمان پاك).
(٧) أرشوك (وفي العربية أرشاق) كنية لملوك الفرث الذين أنهوا حكم السلوقيين في إيران والعراق.
(٨) رابي والقس رجال الدين اليهود والمسيحيين، أما موك (موغ) فهو الكاهن الزرادشتي.
(٩) كان الأس صنفاً من الألان (العلان) شكلوا احد الأتحادات القبلية السكسية الذي اصبح بعض زعماؤهم ملوكاً في كل من أربيل وكركوك، وروك هي الصيغة الأوروبية للكلمة الإيرانية (روخس) ويعني (الأبيض) حيث إشتق منها =

ثانياً

أغـــار علـى مـــوطني أردشـــيـــرٌ والده پابيكٌ
حـــاربه في شـــهـــرزور ملك كُـــرديك(١٠)
وكـــــان هو شـــــاه الكورتان مـــــاديك(١١)
غلبـــه الســـاســـاني وصـــار فـــيـــه پاتيك(١٢)
فـــــأرضى الـنـاس بـالعـــــقـــــار وهـو تمليك
كـــمـــــا أمـــــر أن يدير البـــــلاد دهّيكٌ(١٣)
فكم مـــرةٍ حـــاول تدنيـــســـه گـــرامـــيكٌ(١٤)
إلى أن إســـتـــقـــر فـــيـــه الجَـــيـــرامـــيك(١٥)

ثالثاً

ثم جـــــاء الإســـــلام وهو دين وتبـــــريك
فـــغـــــزاها إبن الغنم(١٦) لما أدارها بطريك
باركـــه من الحـــجـــاز عـــمـــرٌ زاريكٌ(١٧)
ولم يفـــتـــحـــهـــا أبو مـــسلمٍ خـــوراســـانيكٌ
وبعـــد العـــبـــاســـيَين ملكهـــا ســـلاجـــيك(١٨)
تحـــمل وزرهم تبـــريز وآمـــيـــد وديريك(١٩)

= الكُرد كلمة (روخسار)، لذلك عرف قسم من السكيث في التأريخ بالأس الروخسلانيين Ruhs-Alani أي (الألان البيض).

(١٠) تعني ببابيك (بابك إبن ساسان والد أردشير، أما كُرديك فصيغة فهلوية تعني" كُردي".

(١١) ذكر هذا الإسم في كتاب الكارنامج (سيرة أردشير) بصيغة Kurtan șah i Madig (ماديك ملك الاكراد).

(١٢) تعني هذه الكلمة في الفهلوية الساسانية (الحاكم) وأشتقت منها صيغة بادشاه (الملك) وهي ميدية في الأصل.

(١٣) دهيك هي الصيغة الفهلوية لدهيوك الميدية القديمة التي أخذت صيغة الدهاق في العربية.

(١٤) تعني هذه الكلمة في الفهلوية الساسانية "صاحب القوة والغرور".

(١٥) جيراميك هي الصيغة الفهلوية لسكان باجرمي (بيث گرماي) المسيحيين أشتهروا عند الكتاب المسلمين الأوائل بالجرامقة.

(١٦) هو عياض ابن غنم الذي أوكله الخليفة عمر بن الخطاب في نهاية القرن السابع الميلادي لفتح المناطق الكُردية في الجزيرة بشمال سوريا ثم أمره بغزو بلاد شهرزور التي كانت تتمركز في كرخي (كركوك قديماً).

(١٧) كلمة فهلوية – كُردية تعني المتضرع.

(١٨) نعني بهم السلاجقة الأتراك الذين نزحوا من أواسط آسيا إلى كل من أفغانستان وإيران دافعين أمامهم مجموعات من قبائل التركمان الذين إستنجدوا بالأمير الكُردي مملان إبن وهسوذان الروندي الذي ملك أذربيجان في القرن العاشر الميلادي وإعتبرهم هذا من رعاياه.

(١٩) كانت تبريز عاصمة دولة الكُرد الروندية وقد استتركت تدريجياً بعد القرن الحادي عشر الميلادي إلا أن آميد (دياربكر) وديريك بشمال سوريا فظلتا بعد التدمير والنهب والسلب مدينتين كُرديتين.

عـــاش الناس بإمـــرتهم كـــدجـــاجـــةٍ وديكٌ
ثم مـــر منهـــا المغـــول وشـــملهـــا تتـــريك

رابعاً

وأخـــيـــراً جـــاء ليـــســـتـــعـــمـــرها بريتـــانيك
بجـــيش جـــرارٍ أفـــراده ســـيخ وهنديك
فـــصنّع العـــراق ورأســـهـــا حـــجـــازيك
وكـــان بينه وبيننا بعـــد ســـمـــيك
ولكي يشـــملنا تفـــريق وتحـــريك
ألحق بهـــا كـــردســـتـــان وهو پوليـــتـــيك
طمع فـــينفط كـــتب عنه الگريك
وإســـتـــغله بمنهجٍ جـــوهره ركـــيك
فـــضـــخُّـــه إلى البـــحـــر وأنبـــوبه سليك
وعين عليـــه مـــيـــخـــائيلُ وإنتـــراتيك
وعندمـــا قـــرر مـــصـــيـــرنا وبيـــده تكنيك

خامساً

إعـــتـــبـــر نفـــســـه وكـــأنه في الوطن شـــريك
فكان هذا هو المقـــصـــد والـتكتـــيك
كـــمـــا خططهـــا قـــبـــلاً مـــبـــشـــرٌ أنگليكانيك
لم يـرض عـن الـوضع كـــرّوم حـــروك(٢٠)
فـقـضى على الملك وأمـات الوصي قـازوگ(٢١)
ولـم يـكـن فـي نـظـامـــــه نـهـج ولا سـلـوك
فـــإنتـــشـــر بين العـــراقـــيين حـــقـــد وشكوك
وهذا مـــا كـــان ينتظره منا مـــســـتـــرٌ كـــوك(٢٢)
ليـــعين مـــســـتـــقـــبلنا كـــمـــا هو عنده مـــسلوك

(٢٠) نقصد به عبدالكريم قاسم مفجر ثورة ١٤ تموز في العراق عام ١٩٥٨م وكان يطلق عليه من قبل مرؤوسيه سابقاً (كرّومي) وهي كنية محلية عراقية لأجل التحبب.
(٢١) قتل الوصي عبدالأله مع الملك فيصل الثاني وأفراد العائلة المالكة في القصر الملكي، ولأجل الإنتقام والتشهير أدخل بعض المنتفضين عصية في مخرجه يطلق عليها في العراق " القازوق أو القازوگ".
(٢٢) نعني به وليم كوكس المندوب السامي البريطاني في العراق في عهد الاحتلال .

فـتـمـرد الشـواف بالموصل وهو مـحـروك[٢٣]
وقـتـل القـازانجي وبدأ في الغـزلاني كـتلوك[٢٤]
وعندمـا قـالوا للطبـقـجلي إبدأ ياهلّوك[٢٥]
إعـتـقـد منافسـوه[٢٦] أن النار بموسكو معلوگ
فـإقـتـتـل الناس وكـأن عـرضـهم مـهـتـوك
وألصـقـوا السـبب بالكُرد وهو كـذب چروك[٢٧]
فـإنقلب على قـاسم رفـيـقـه عـبـدوك[٢٨]
وكـان هذا أقل حنكة من سـابقـه المفـتـوك
فـحلل أرواح الكُرد بمدينتنا كـركـوك
وقـال يجب أن تهـتـفـوا هكذا لما يسـمـعـوك
"العـرب أهل الغـيـرة" مـثلمـا يفـهـمـوك
"ومـا نـخلي الكراد بهـا الديرة" لما يـأمـروك[٢٩]
فـالعـدل في هذه العـروبة هو شيء مـتـروك
ولما أسـقِطَتْ طائرتِه ورثه أخ منهـوك[٣٠]

(٢٣) في شتاء عام ١٩٥٩م وأثناء إقامة مؤتمر السلام في الموصل تمرد العقيد عبدالوهاب الشواف بالتعاون مع القوى القومية والبعثية وبتحريك من النظام الناصري في الجمهورية العربية المتحدة الذي كلف عبدالحميد السراج بتنظيم خطة التمرد على حكم عبدالكريم قاسم وأعلن المتمردون عن تشكيل جمهورية عراقية لم تدم اكثر من يومين تميز سلوك المتمردين بإستعمال القوة ضد المجموعات اليسارية والشيوعيين.

(٢٤) بدأ التمرد في معسكر الغزلاني بالموصل وزج المتمردون في سجن هذا المعسكر عدداً من الوجوه اليسارية والشيوعية وكان أشهرهم هو شخصية مثقفة محلياً كان يدعى كامل القزانجي الذي قضى نحبه قبل جميع رفاقه بالضرب والتقطيع، ولما إنقلبت الاية على الإنقلابيين لم يرحمهم الشيوعيون بدورهم فعاملوهم بالمثل.

(٢٥) كان ناظم الطبقجلي قائداً للفرقة الثانية بكركوك الذي لعب دوراً سلبياً تجاه اليساريين والكُرد في حدود سلطته، وبموافقة البريطانيين تآمر مع بعض وجهاء الكُرد على إغتيال مصطفى البارزاني في مدخل گلي على بگ غداة وصوله إلى موطنه بعد غياب دام ١٢ سنة في المهجر وقد خلق مشاكل عديدة للوجود الكُردي في كركوك ثم تعاون مع حركة عبدالوهاب الشواف فأعدم بسبب هذا التعاون في أم الطبول.

(٢٦) نعني بهم الشيوعيين الذين خسروا اليساري داود الجنابي خلف الطبقجلي في قيادة الفرقة.

(٢٧) چروك كلمة شائعة في العراق بمعنى خاوي او الباطل.

(٢٨) نقصد به العقيد (ثم المشير) عبدالسلام عارف.

(٢٩) عندما زار عبدالسلام عارف مدينة كركوك في شهر تموز من عام ١٩٦٣م وبعد تعليق ٢٩ شخصية كردية على الاشجار أمام بناية المحاكم وهدم بيوت الكُرد في كل من محلتي آزادي وشورجة حلل جهاراً إراقة دم الكُرد ونهب أموالهم وأمر أفراد القوات غير النظامية من العرب المشهورين بفرسان الوليد (وأغلبهم كانوا من آل عبيد يقودهم عواد المهاوش إلى إطلاق تلك الهوسة (الصيحة) ذات السمة العنصرية التي لاينساها شباب تلك الفترة "إحنا عرب أهل الغيرة وما نخلي الاكراد بها الديرة".

(٣٠) ونعني به عبد الرحمن عارف الذي إنقلب عليه البعثيون يوم ١٧ تموز عام ١٩٦٨م.

وأخيراً فضل الأولياء أن يحكمنا أهرموك(٣١)
وقالوا له أن وكلاؤنا سيعينوك(٣٢)
فصعد نجمه بخطط مجملها تشكيكُ
فقضى على النايف وهو قائد منهوك
وصفى بالسم سيده البكرِ لأنه معتوك
وتآمر على رفاقه في إجتماع وهو مغلوگ
وبأمره ذبح البغداديَين مجرم طبروك(٣٣)
وأصبح بنظر العراقيين رجل هلوك
وبدأ بقتل الكُرد كأنه الملك أژدهوك(٣٤)
فجرب عليهم سلاحاً من صنع پيتربَورگُ
حيث صار أهل حلبجه به محروگُ
وأنفاله زهق الأرواح والوطن متروك
فدفن أهل بارزان وكأنه الإله مردوكٌ(٣٥)
ثم ظهرت له في كردستان بالتمليك قصروكٌ
فتحمل هذا الظلم كذلك كركوك
وهي مع قلعتها حقاً لأبنائها مملوك
فأنكر أهليتها بالتعريب وهو ظلم فتوك
وأقنع المستوطنين بالمال حتى فرغ البنوك
وسلب نواحياً لا يسكنها آل جحشوك
حين ضمها لمهبطه وأدارها بني عوجوك(٣٦)

(٣١) أهرموك كلمة فهلوية- كُردية تعني المنافق او كافر يدعي التدين.
(٣٢) نجح إنقلاب ١٧ تموز بتخطيط بريطاني جرى التفاهم عليه اول مرة في لبنان بين صدام حسين والسفارة البريطانية كما يبلغنا بذلك حردان التكريتي في مذكراته.
(٣٣) نعني به ابو طبر الذي اوجده النظام اثناء مسح الوضعية السكانية للعاصمة بغداد فقتل عشرات من وجهاء العاصمة من غير البعثيين خوفاً من إمكانياتهم السياسية والعسكرية.
(٣٤) هذه كنية ملكية لأحد ملوك إيران الظالمين الذي عرف عند العرب بإسم الضحاك، راجع موضوعه في كتاب المسعودي «مروج الذهب ومعادن الجوهر». واستناداً على الاساطير الفهلوية، فإن هذا الملك كان قد أمر بقتل شابين كُرديين يومياً لكي يداوي بمخهما المرض الذي أصاب أكتافه، وإستند المسعودي في هذه الرواية على قصة الحداد كاوه التى تورد في ملحمة الشاهنامه (سير الملوك) التي ألفها الفرودسي.
(٣٥) كان مردوك في الأساطير البابلية كبير الآلهة الذي قتل والدته وقام بجرائم عديدة لكي ينفرد في حكم السماء والأرض.
(٣٦) فصل نظام صدام حسين الأقضية والنواحي الكُردية التابعة لكركوك كطوز خورماتو وكفري وخانقين وضمها إلى المحافظات العربية كديالى وتكريت وتسلط على إداراتها موظفون ينحدر أغلبهم من قرية (عوجه) التي ولد فيها الأهرموك وأسكنوا فيها القبائل العربية ومنهم آل جحش.

المؤلف في فترة حرب الألمان

فـإلى مـتى سـتـتـحـملين الهـوان يـا كـركـوك
الأهل في الغـربة مـشـردين والبلد مـتـروك

ذكريات الطفولة في كركوك

اولاً

ذكـرياتي تعـود إلى فـتـرةِ حـربُ الألمان
حين أخـمِـدَت حَـركَـةِ رشـيـد الگيـلان
ووزعـوا بين الناس مـاسك ضـد النيـران
وقـامت الإنتـفـاضـة في منطقـة بارزان

ثانياً

نشـأتُ في قلعـة كـركـوك وأنا فـرحـان
وكـان مَـرْدُ ذلك إنسـجـام السكان

وكـــان لليـــهـــودي في القـــيـــصـــرية دكـــان
يبـــيع الشـــاي والسكر والرز والزعـــفـــران
وكـــان يحـــرق لحـــاهم صـــبـــايا التـــركـــمـــان
ولما غـــادرونا صـــار وضـــعـــهم في إطمـــئنان

ثالثاً

رأيت القلعـــة وأســـفلهـــا ســـوقٍ وخـــان
بأربعـــة أبواب أقـــيـــمت مـــســـورة بحـــيطان
إنتـــشـــرت فـــيـــهـــا درابينٌ، مـــحـــلات وبنيـــان
الأشـــهـــر منهـــا حـــمـــام وبولاق ومـــيـــدان
احـــاطتـــهـــا من الجـــوانب حـــقـــول وبســـتـــان
كـــانت تســـقـــيـــهـــا جـــداولٌ ومـــيـــاه في الجـــريان
وكـــان مـــهـــبط رؤوسنا من أغنى الأوطان
لأنهـــا تربط خط الإســـتـــانه بالعـــراق وإيران

رابعاً

كنا نتـــمـــتع بربيـــعـــهـــا وخـــريفـــهـــا كـــفـــصـــلان
أمـــا صـــيـــفـــهـــا فكان يحـــرق الأبدان
عـــاش فـــيـــهـــا الآثور واليـــهـــود والكلدان
تعـــاملوا بلطف مع جـــمـــيع الموسلمـــان
ومع الكُردية نـطقـــوا بلغـــة الســـريان
وشـــرح الدروس كـــان بلغـــة التـــركـــمـــان
ويحل عندنا مع الجِـــمـــال بدو العـــربان
بالربابة يمتـــدحـــون أصـــحـــاب الأطيـــان
ومن مـــراعي ومـــرتفـــعـــات كُـــردســـتـــان
كـــان كـــاكـــه حـــمـــه آلاف الخـــرفـــان
ليـــبـــيـــعـــهـــا في المصلى بعـــد يوم أو إثنان
مـــســـتلمـــاً حـــقـــه بعـــد أن يمرّ سنتـــان
أمـــا الثـــمـــار فكانت تجلب من البـــســـتـــان
وتصـــــرف في العـــــلاوي بأبخس الأثمـــــان

والحنطة توردنا من ضيعات طالبان
يخزنها الشيخ صالح في احسن مكان
واخيراً جاءنا موظفون من بُغدان
عاشوا بين ظهرانينا وكأنهم إخوان
جعلوا شعارهم حب الوطن من الإيمان
وبواسطة العادة والعرف والأديان
ظهرت بين الكل الألفة وحب الخلان
فهموا جوهر الحياة بتقدير الإنسان
من خلال خطب الأئمة وكلام المطران
كما كان يفهمنا معلمنا سطيفان
عندما كان يخاطبنا في المدرسة بحنان
وفيها تتوزع البدلات والقمصان
وكلنا نفطر الفطور مع دهن الحيتان
فأصبح الجميع رمز العزة والوجدان
كانوا يبدأون فجرهم بپاچة هجران
ويفضلون الفطور بقيمر آل زيدان
ويتغذون ظهراً كباب أسطه عثمان
ويزينون موائدهم بعسل كُردستان

خامساً

ومع بدء الربيع يستعد الطلبة للسيران
وإدارة المدرسة تفضل ذلك في نيسان
وكان التل خلف المطحنة أحسن مكان
نتجول ونلعب بالكرة في ربوع الوديان
وبعد أكل الكبة والشفتة والرز والبيذنجان
كنا نتجمع عصراً في صفوف مع الصبيان
لكي نستعد للرجوع الى البيت واحدٌ واثنان
ويظل دوام المدارس حتى شهر حزيران
حيث كنا نستعد معاً لأداء الإمتحان
ونقضي العطلة بالسباحة أو قراءة القرآن

السيران في نيسان عام ١٩٥٤م
على التل خلف المطحنة

أو كـالكشـافـة نعـسكر بشـقـلاوة وهيـران
كنا نزور گلي علي بيگ مـــروراً بخليـــفـــان

سادساً

وهكذا أخص أحـــبـــابي بالشكر والبنان
لكي لانخـــفي فـــضلهم في باب النكران
فكم كـــان مـــوطني في هدوء وإطمـــئنان
لايســـود أهله أي حـــرج أو حـــرمـــان
إذ تميـــز بخـــيـــراته نســـبـــة لكل الأوطان
ولم يبق فـيـه مـتـسـول، مـسـتـجـديٌ جوعـان
أو شـخـصـان يلعـبـان بالمال وهمـا لصـان
فـأصـبح مـواطننا مـثـال الكرم لأنه شـبـعـان
فـأسـرد هذه الذكـريات حـقـاً وبكل عـرفـان
لكي لاأغـرق الحـقـائق في بحـر النسـيـان

كالكشافة عسكرنا بثقلاوة عام ١٩٥٧م

زيارتنا لمعسيف كلي علي بيگ عام ١٩٥٧م

سابعاً

لقـد طبع كـتـيـبنا آل الحـبـيب بدران
في مـؤسـسـتـه الخـاصـة للنشـر بعـروس البلدان
حـملت كنيـة «آراس» في أربـل كـردسـتـان
ترمـز عـن نهـر عـبـره مـقـاتلوا بارزان
فـفـيـهـا تعـانقت كـركـوك مع القـوقـاز والسـوران
لذلك نبـارك أعـمـاله بالشكر والبنان

أيام الصبا في كركوك

أولا

حكايتي عن أيام الصـبـا تحـتـاج إلى طرود
وأعـتـذر إن كـان فـيـهـا حـدث مـردود
في الربيع كـان على سـفح قلعـتنا تنمـو ورود
وكل صـبـاح يبـيـع أروعـهـا رجل ودود
يجلس أمـام دار تسكنهـا آمـال بنت سـعـود
كـان وجـهـهـا يثـيـر الفكر والخـيـال المشـرود
فكم تمنيت تقـديمهـا زهرة في يوم مـشـهـود
لكن صبـيـاً يعـاكـسـهـا وهو حـقـود وحـسـود

ثانياً

كـانت مـسـيـحـيـة تؤمن كـالجـيـران بإله وحـيـد
وكـان الألطف بينهم مـعـلمنا الشـاب فـريـد
ولم تكن بيـتنا من الكنيـسـة والجـامع ببـعـيـد
فكنا نصلي فـيـه أيام الجـمع حـسب الوعـيـد
كـمـا كنا نحـتـرم الكنيـسـة من أجل التـمـجـيـد
فـلا يسـأل منا أحـد في المكانين مـاذا نريد
فكان النـاقـوس والأذان همـا نـيـشـان البـريد
لإكـبـار الله والشـهـادة وتقـديس يومٌ مـجـيـد
أو كنا نقـيم الصـلاة من أجل شـخص فـقـيـد

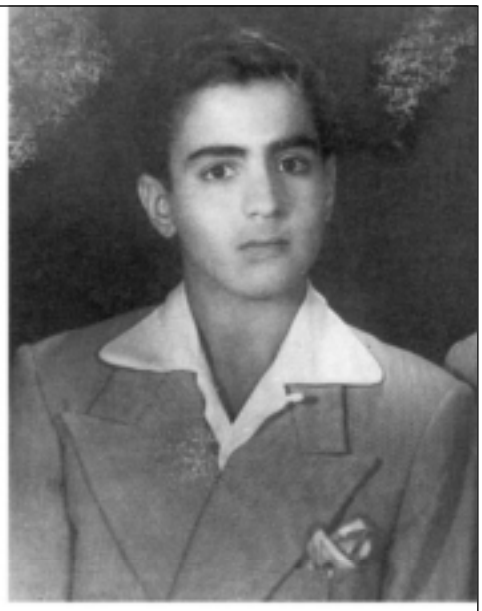

صورة المؤلف مع ابن خالته هاشم
كركوك ـ ١٩٥٣م

أيام الصبا

يوم عيد الاضحى عام ١٩٥٣م

ثم نلهـــوا في درابين القلعـــة بلهف شـــديد
ونصـوم كلُ أيامَ الرمـضـان حـتى ليلة العـيـد
ونشـتـري من السـوق بدلة ومـعـهـا حذاء جـديد
لاننام قطعـــاً لأن الفـــرح بالقلوب في ترديد
والأمـهـات مـشـغـولات بطبـخـة اليـوم السـعـيـد
ووالدنا يســـاعـــد الفـــقـــراء بدينار او يزيد
يصطفـون أمـام بيـتنا بطابور أو شـخصٌ وحـيـد
وصـبـاحـاً نتـبـادل التـحـيـات مع كـبـيـر ووليـد
ونسـتـلم النقـود والهـدايا من الوالد بـالتـأكـيـد
لكي نصـرفـهـا على حلويات الحـاج سـعـيـد
ونجلس في المقـــاهي لنســـمع آهات وحـــيـــد
ثم ندخل إلى الســـينمـــا لرؤية فلم مـــعـــيـــد
وعـــصـــراً يزورنا الأقـــارب من الحي الجـــديد
ونتـعـشى مع إبن خـالتنا هاشم وهو عـقـيـد
وكـان الطعـام والرزق كـثـيراً في جـهـاز التـبـريد
أمـــا الإنســـان الذي بقي في الدرب شـــريد
جـمـعـتـه الدولة في دور العـجـزة بالتـهـديد
لكي يعـيش في دار قـرب مـخـازن الحـديد
حيث ينام ويتـغذى شـتى النعم من غـيـر تبـعـيـد

مشكلة تعريب كركوك قديماً والى اليوم

الدكتور رفيق شواني
كلية الاداب/جامعة صلاح الدين

مقدمة

إن مشكلة تعريب كركوك، والمحاولات المستمرة والمتواصلة للمحتلين لإفراغها من كُرديتها، مشكلة معقدة جداً وعميقة. فهذه المشكلة كجزء مثير للمشاعر هي ضمن القضية القومية للوطن الكُردستاني. فالقضية القومية للشعب الكُردي قضية قديمة جداً تبدأ منذ سقوط أول دولة كُردية وهي دولة ميديا في عام ٥٥٠ ق.م، أصبح بعدها الشعب الكُردي وبلاده كُردستان تحت نير الهيمنة والإحتلال.

إن المشكلة القومية لأي شعب أو أمة تبرز نتيجة لإحتلال الوطنه أو الأرض أو جزء أو منطقة منه، وبروز مشكلة الإحتلال هذه، يكون بشكلين مختلفين عن بعضهما. الأول نتيجة فشل طرف في الحرب أو الإقتتال بين بلدين، تسقط منطقة أو مدينة تحت نفوذ الطرف الآخر، وتبقى هذه المشكلة وتستمر بينهما كمشكلة قومية حتى تجد طريقها الى الحل. وثانيهما إنتصار بلد على بلد آخر، فالبلد المندحر يصبح بلداً محتلاً شعباً وأرضاً وثرواتٍ وبنىً تحتية. هذا الشكل من الإحتلال وهذه المشكلة أكثر خطورة وأشد من الشكل الأول. لأن البلد الغازي أو المنتصِر، يبذل قصارى جهده لتغيير سمات وخصوصيات البلد أو الشعب الذي يحتله، مثل تغيير أسمائه القومية، ومنع النشاطات القومية والوطنية، واللغة، وكافة تقاليده وعاداته، حتى ينصهر تماماً في بوتقته، ويبقى خاضعاً له أبداً، بل يحاول محوه من التاريخ. إن هذا الشكل من الإحتلال له نماذج كثيرة في تاريخ الأمم والشعوب. مثلاً إحتلال الجزائر من قبل فرنسا، وتقسيم فلسطين وتهجير قسم كبير من سكانها وتشريدهم في عام ١٩٤٨[١]، وإحتلال ليبيا من قبل إيطاليا[٢]، وخير مثال لهذه الحالة والتي بقي فيها وطنها وشعبها محتلين الى الآن هي كُردستان، عدا جزئها الجنوبي حيث يدير شؤونه من جانب واحد بنفسه منذ عام ١٩٩١ نتيجة إنتفاضته ونزوحه الجماعي في ربيع نفس العام بعد حرب الخليج الثانية وهجوم الحكومة العراقية على الكويت.

(١) حسب القرارين ٣٣٨ و٢٤٢ الصادرين من مجلس الأمن الدولي، قُسِّمت فلسطين الى قسمين: دولة لليهود وأخرى للفلسطينيين، لكن الفلسطينيين لم يوافقوا على القرار.

(٢) كانت معظم الدول العربية تحت حماية الدول الكبرى مثل بريطانيا وفرنسا وإيطاليا... الخ. وبين أعوام ١٩٥٢ الى ١٩٦٢ نالت معظمها الإستقلال.

وكنموذج للإحتلال الأول المنطقة أو المدينة التي تقع تحت سيطرة الطرف الآخر مشكلة جزر الفوكلاند بين بريطانيا والأرجنتين. أو مشكلة مدينة الأسكندرونة بين تركيا وسوريا، أو مشكلة شط العرب بين العراق وإيران،. وثمة حالياً مشكلة الجزر الثلاث (طنب الكبرى، طنب الصغرى، وجزيرة أبو موسى) بين إيران وعرب الخليج. وهذه المشكلة ليست خطيرة كالمشكلة الأولى، لأنها تلحق الضرر بالإقتصاد والشرف السياسي للبلد فحسب. لكن ما يتعلق بالنموذج الأول إذا بقي دون حل فإنه يحمل في طياته زوال وإنصهار قومية ووطن.

مشكلة كركوك من أي صنف؟

إن مشكلة إحتلال كُردستان مشكلة قومية يمكن إدراجها ضمن نموذج المشكلة الأولى. تضم الجوانب القومية، الإقتصادية، الإجتماعية، إنقطاع شعبها، مخاطر إزالة تراثه القومي، وسلب واهدار الثروة القومية. هذا عدا عن أن كُردستان مقسّمة الى أربعة أجزاء، وإبتُلي كل جزء من أجزائها عدا المشكلة القومية بالمشاكل الدينية والمذهبية[٣] والإجتماعية والإقتصادية أيضاً. إن مشكلة تعريب مدينة كركوك الكُردية واحدة من المشاكل الكبيرة والخطيرة التي تعاني منها كُردستان، إذ تهدد وتعمل على الدوام على مسح الوجود الكُردي فيها، ووصلت مرحلة تحتاج فيها الى حل وبذل الجهود لإنقاذها من حملة تغييرها وتعريبها، وترحيل أهلها. وينبغي لهذا الهدف إستخدام سبل نضالية مختلفة[٤].

إن مشكلة مدينة كركوك ليست بمشكلة جديدة في كُردستان كان يتم ترحيل سكانها الى المناطق الأخرى في كُردستان أو الى جنوب العراق، بل إن أصل المشكلة وبدايتها يعودان الى نتائج معركة (چالديران) بين الدولة الصفوية في إيران والدولة العثمانية عام ١٥١٤م، حيث تم وفق معاهدة زهاو في عام ١٦٣٩م رسمياً وعملياً تجزئة كُردستان الى جزءين. ومنذ ذلك الحين بدأت مشكلة تغيير الواقع وترحيل الكُرد في جزء من وطنه، مثلاً: طرد وترحيل القبائل الكُردية في مناطق: زهاو، لورستان، وكرمنشاه من قبائل الكلهور، واللّك والباجلان، والدربندي الى مختلف مناطق كُردستان، أو ترحيل قبيلة شيخ بزيني من منطقتي أرضروم واللور المناطق الواقعة بين مدينة قونيا وأنقره[٥].

وقبل أن نأتي الى مضمون البحث في تنفيذ مختلف الأشكال للتغيير الديوغرافي لمدينة كركوك ومناطقها، ينبغي لإسناد البحث وعدالة مطالب الشعب الكُردي لكُردية هذه المدينة إلقاء نظرة جغرافية على المنطقة وعدد سكانها حسب المصادر والإحصاءات الرسمية للمدينة.

إسم المدينة (كركوك)

كانت مدينة كركوك منذ القدم مدينة يسكنها الكُرد ومتميزة بإصالتها الكُردية، ومركزاً لأيالة

(٣) مثل كرمنشاه ومنطقة لورستان في جنوب كردستان الشرقية بسبب المذاهب الدينية.
(٤) الوضع السياسي الراهن لدول العالم يتجه الآن نحو الديمقراطية وحقوق الإنسان وسياسة الحوار والتفاهم. لكن بنظري هذه المشكلة لا يمكن حلها إلاّ بالقوة، وإلاّ فبالحماية الدولية وهذا ما ليس معلوماً حالياً.
(٥) جرى ذلك عبر إتصال هاتفي من داخل تركيا لقناة Medye TV في شهر حزيران ٢٠٠٠.

شهرزور[٦]، وكما ورد في التقويم الجغرافي، أنظر وريا جاف كركوك ص١٨. كانت في عصر سرجون الأكدي (٢٥٣٠-٢٤٤٧ ق.م) مدينة عريقة جداً سميت أرابخا[٧]، هذه المدينة واقعة بين سهول جبال زاگروس لاسيما في شمالها الشرقي. وتقع في الجنوب منها بزهاء ١٠٠كم سلسلة جبل حمرين، وهذه السلسلة الجبلية من الناحية الجغرافية تعتبر نهاية حدود كُردستان التي تمتد نحو مندلي[٨].

كانت لكركوك قديماً أسماء عديدة منها (كركوك، كركيني، كرخ، أو كرك سلوخ، أو كرك سلوق، كوركوره، گرگر... الخ)، ثم تطور الى كركوك[٩]، وهذا الإسم الأخير إستُعمل لأول مرة في القرن التاسع الهجري. مهما يكن من أمر فقد إستُعملت الى جانب كلمة كركوك كلمة مرادفة مثل (گورگور) أو (گرگر) في التاريخ القديم وردت في المصادر القديمة. ثم كلمة (گورگور) التي تأتي في اللغة الكُردية بمعنى القوة، وإذا كان المقصود گرگر فإنها تعني النار الملتهبة القوية إذ أنها إشارة الى قوة نيران نفط كركوك، وهي تشهد على كُردية هذه المدينة الكُردية العريقة من الناحية اللغوية. وأما كلمة (باوه) فالمراد بها التبجيل والتقديس في اللغة الكُردية مثل: باوه نور، باوه شاسوار، و(باوه گورگور) كانت عند الكُرد المعتنقين للديانة الزرادشتية العريقة كلمة مقدسة، وتنعكس في الفلكلور الكُردي شعراً[١٠]. وإذا كان اعداء الشعب الكُردي لايعتبرونها مدينة كُردية فلماذا يرحّلون الكُرد عنها؟! أو مَن هم أولئك المرحلون عنها؟

إن سكان مدينة كركوك كما جاء في (قاموس الأعلام) لشمس الدين سامي ثلاثة أرباعهم من الكُرد والربع الآخر يتكون من التركمان والعرب وغيرهما. وتقع المدينة على بعد(١٦٠) كيلومتراً جنوب شرقي الموصل هذا حسب المصادر القديمة. ويجدر بنا هنا أن نورد بعض الوثائق القديمة حول كُردية مدينة كركوك في التاريخ، منها تقرير (عصبة الأمم) الذي وضعته لجنة خاصة أوفدت الى المنطقة – كُردستان – في السنوات (١٩٢٢-١٩٢٤) حيث بلغ عدد سكان لواء كركوك (١١,٦٥٠) نسمة حسب قومياتها، وعلى ذلك التقسيم بلغت نسبة الكُرد ٤٢,٥٪، ونسبة العرب ٣١,٩٪، ونسبة التركمان ٢٣,٤٪، والقوميات أخرى ٢,٢٪، وتبلغ النسبة الإجمالية ١٠٠٪[١١]. كذلك الوثائق الإدارية للواء كركوك إبان تشكيل الدولة العراقية في العشرينات كانت عبارة عن مركز لواء كركوك، ضم ما يلي: كركوك (مركز اللواء)، داقوق، آلتون كوپري، قره حسن، شوان، ملحه وقضاء كفري وكان تابعاً

(٦) شمس الدين سامي، قاموس الاعلام، استنبول ١٨٩٨. والصفحة ١٥٣، كركوك، وريا الجاف.
(٧) ليلى نامق الجاف، كركوك لمحات تاريخية، منشورات خبات، أربيل ١٩٩٢، ص١٨.
(٨) د. رفيق شواني كركوك الى أين؟ جريدة برايەتى، عدد ٢٨٩٩ في ١٩٩٩/٨/١٢.
(٩) ليلى نامق الجاف، الصفحة ٣٠ تقول في كتابها إن كلمة كركوك إستعملت من قبل علي اليزيدي في كتاب ظفرنامه في القرن التاسع الهجري.
(١٠) في الفلكلور الكردي وردت كلمة باوه گرگر كثيراً في الشعر.
(١١) تقرير عصبة الأمم، مسألة الحدود بين تركيا والعراق، مطبعة الحكومة، بغداد ص٢١. وفي مجلة هاواري كركوك، عدد (٤) لسنة ١٩٩٩، ص١٧٩.

لكركوك وعبارة عن المناطق الإدارية الآتية: كفري (مركز القضاء)، طوز، قره تپه، قلعة شيروانة، شبيچة، وقضاء چمچمال أيضاً الذي كان يضم: مركز چمچمال، آغجلر، وقضاء گيل وضم مركز گيل، وسنگاو[١٢]. وهنا نسأل أين قضاء الحويجة من هذه التشكيلة الإدارية؟ مع أنه كان يومئذ بإسم ملحة وكانت ناحية تسكنها أغلبية كُردية، وكانت تسمى في باديء الأمر (شورجه) أي الأرض المملّحة، ثم صارت (ملحة) العربية إذ كانت ناحية. وفي عام ١٩٦٢ تحولت ملحة الى قضاء بإسم الحويجة يتبع كركوك[١٣]. مكافأة معلمي كُردستان لوزارة المعارف بصدد تعيين وتأسيس مديرية معارف كُردستان ومركزها في كركوك، دليل على كُردية كركوك في تلك المنطقة الكُردية، ووجود دائرة المفتش العام لكُردستان في كركوك. أنظر مجلة هاواري كركوك العدد (٤) في عامي ١٩١٣ و١٩٣٢، ثم عدد السكان الكُرد لمحافظة كركوك في الإحصاء العام لسنة ١٩٥٧ حيث بلغ عدد السكان الكُرد (١٨٧٥٩٣) نسمة مقابل (١٠٩٦٢٠) نسمة من العرب، و(٨٣٣٧١) نسمة من التركمان[١٤].

إن قانون اللغة المحلية رقم (٧٤) لعام ١٩٣١ الذي نُشر في جريدة الوقائع العراقية عدد ٩٨٩ في حزيران عام ١٩٣١، إضافة الى نواقصه أقرَّ إستخدام اللغة الكُردية في المحاكم والدراسة في كركوك. في ٣٠ حزيران عام ١٩٢٢ بعثت (عصبة الأمم) بلجنة الى مدينة الموصل للتحقيق حول الوضع القومي للسكان في ولاية الموصل، وأوضحت اللجنة نتيجة التحقيق ما يلي:

«لا الترك ولا العرب يملكون الحق بإلحاق ولاية الموصل ببلادهم، لأن سكان هذه الولاية هم من الكُرد[١٥]».

في عملية الإحصاء العام لسنة ١٩٧٧ وبسبب سياسة التعريب، وجلب الآلاف من العوائل العربية، والتلاعب بنتيجة العملية الإحصائية، إنخفضت نسبة الوجود الكُردي في مدينة كركوك. هذا إضافة الى هدم الأحياء وترحيل الكُرد من المحافظة[١٦]. ورغم كافة مظاهر التعريب في كركوك ومناطقها فإن المصادر القديمة والعلمية تثبت تاريخياً كوردية هذه الدينة مع أن السلطات العراقية المتعاقبة تخفي هذه الحقيقة، وتنكر كورديتها وكُردستانيتها، وأعدت وتعدُّ خططاً مدروسة، وميزانيات ضخمة لتغيير الواقع الكُردي وتعريب المدينة.

ونبين أدناه أسباب سياسة وخطة تعريب كركوك، ثم الأشكال المختلفة لهذه السياسة في تنفيذ تغيير الواقع الجغرافي لكركوك حسب التاريخ الحديث، والعمل لها معززة بالوثائق. ويمكننا إرجاع سبب البدء بعملية التعريب الى الموقع الجغرافي لكركوك في هذه المنطقة للأسباب التالية.

(١٢) مجلة هاواري كركوك، عدد (٣) آذار ١٩٩٩ ص١٥.
(١٣) مجلة هاواري كركوك، عدد (٤) آذار ١٩٩٩ ص٥٠.
(١٤) وزارة الداخلية، مديرية النفوس العامة، المجموعة الإحصائية لتسجيل عام ١٩٥٧، لوائي السليمانية وكركوك، مطبعة العاني بغداد. كذلك في كتاب وريا الجاف، أربيل ١٩٩٧، ص٢٥٢.
(١٥) نجم عمر السورچي مصير ولاية الموصل (كُردستان الجنوبية) ما بعد عام ٢٠٠٠، الطبعة الثانية السليمانية ١٩٩٩ ص١٧.
(١٦) د. نوري الطالباني، منطقة كركوك ومحاولات تغيير واقعها القومي، لندن ١٩٩٥، ص٧٠-٧١.

١- الموقع الستراتيجي لمدينة كركوك في المنطقة من حيث التنقل والإقتصاد.
٢- مركز طريق التنقل، وربط مدن الشمال العراق بوسط العراق بواسطة شبكة من الطرق.
٣- وجود خزين هائل من البترول في هذه المدينة، يكفي لسد حاجة الكثير من البلدان للنفط.
٤- وفي العهد العثماني كانت طريقاً رئيسية وذات أهمية تجارية ومرورية بين الدولة العثمانية وإيران من سنجار والموصل وأربيل وپردي (آلتون كوپري)، ماراً بكركوك وداقوق نحو كفري وخانقين، ومندلي، ثم الى إيران عبر كرمانشاه.

إن الموقع الستراتيجي هذا لمدينة كركوك جعل خصوم الشعب الكُردي والدولة العراقية يعملون على الدوام لتغيير ومسح الواقع الكُردي في هذه المدينة الكُردية، بهدف سلب وإغتصاب خيرات الكُرد وثرواتهم النفطية. لذلك بدأوا بتغيير واقعها وإستخدموا أشكالاً مختلفة لفصلها عن كُردستان والكُرد. إن سياسة تغيير الواقع الجغرافي للشعب الكُردي بدأت على الأكثر في المناطق الحدودية والمحاذية بين أراضي كُردستان والأراضي العربية والتركية والفارسية في المناطق الستراتيجية، بهدف تضييق وتقليل مساحة أرض كُردستان ومسح السمة القومية للشعب الكُردي في تلك المناطق[١٧] من الناحيتين الإقتصادية والجغرافية.

إن الأسلوب المتبع لتغيير الواقع الجغرافي لمدينة كركوك يعود بالأساس الى تجاهل عصبة الأمم لهذه المسألة في حزيران عام ١٩٢١ نتيجة إستفتاء لأهالي مدن كُردستان مثل كركوك والسليمانية والموصل للموافقة على إلحاق ولاية الموصل بالدولة العراقية الحديثة، حيث أن الشعب الكُردي في هذه المدن رفضوا في عام ١٩٢١ النتائج المحرفة للإستفتاء بقوة، وطالب أهالي هذه المدن بإستقلال هذا الجزء من كُردستان. وكانت نتيجة إستفتاء آراء حزيران عام ١٩٢١ مناقضة تماماً لطموح ورغبات الشعب الكُردي[١٨]، وعلى العكس لم يُعمل بالنتائج وأُلحقت ولاية الموصل قسراً بالدولة العراقية، وطالب أهالي مدينة كركوك في هذا الإستفتاء بإدارة كُردية مستقلة، كما وقف أهالي السليمانية ضد هذا الإستفتاء ولم يشاركوا فيه[١٩].

منذ ذلك اليوم يجري التستر على كافة الحقائق التي تثبت كُردية مدينة كركوك من قبل الدولة العراقية بالتنسيق مع دسائس وخطط شركة نفط العراق، وجرت محاولات لإثارة الفتن بين سكان المدينة وإدامتها، وتعرض السكان الكُرد نتيجة دسائسهم هذه الى الترحيل والمآسي. بدأت هذه الخطط في الخمسينات[٢٠]، وفي الموصل بداية القرن العشرين ولاسيما في العشرينات منه.

تتألف سياسة تعريب كركوك، وتنفيذها تتألف من مرحلتين:

المرحلة الأولى: الإستعداد وجلب العرب وإيجاد النفوذ العربي في مناطق كركوك وگرميان ليتمكنوا

(١٧) ليلى نامق، نفس المصدر ص٨. كذلك نوري طالباني، ص١٦.
(١٨) درية عوني، الأكراد خصام أم وئام، القاهرة ١٩٩٣.
(١٩) نجم عمر سورچي، نفس المصدر، ص ٥٥.
(٢٠) د. نوري طالباني، نفس المصدر، ص١٠٠.

من ترسخ أقدامهم شيئاً فشيئاً في محافظة كركوك وزيادة وجودهم ونفوذهم فيها، وقد بدأت هذه السياسة منذ الثلاثينات في عهد الملك غازي ووزارة ياسين الهاشمي.

المرحلة الثانية: وسياسة هذه المرحلة عبارة عن تنفيذ خطط مؤامرة تعريب كركوك التي بدأت بعد تأسيس الدولة العراقية ومن قبل الإنكليز، وإكتشاف النفط في عام ١٩٢٧ في المدينة لتغيير الواقع القومي والجغرافي للمدينة[٢١]، وعدم الإعتراف بكُرديتها.

بدأت أولى خطوات هذه العملية العنصرية للدولة العراقية عملياً في عهد حكومة الملك غازي ووزارة ياسين الهاشمي عام ١٩٣٧، وذلك بإسكان (٢٠) ألف عائلة عربية بإسم (وحدة تسمية الأراضي) حيث نُفذت عملية الإسكان هذه بين الحويجة والمنطقة الواقعة بين داقوق وتازه خورماتو في محافظة كركوك. وبعد هذه العملية قامت الأجهزة العسكرية والأمنية عام ١٩٥٩ بممارسة سياسة متسمة بالعنف رحّلوا خلالها العديد من العوائل الكُردية، وتركت عوائل كُردية أخرى المدينة نتيجة تلك الحملة للسكن في بغداد والمدن الأخرى من كُردستان[٢٢].

وبعد هذه الخطوة يجري تنفيذ مسألة تغيير الواقع الجغرافي لكركوك عبر سياسة ثابتة للدولة العراقية ووفق برنامج منذ حزيران عام ١٩٦٣ بعنف، ثم من عام ١٩٦٨ ضمن أساليب وأشكال هادئة ومختلفة.

كانت هذه السياسة تُنفذ على الأكثر من قبل قيادة الفرقة الثانية بكركوك، مثلاً: كان الزعيم الركن ناظم الطبقچلي يتهم على الدوام الوطنيين الكُرد في المدينة ويثير الفتن، ويقف ضد مطالب وطموحات أهالي المدينة في تطبيق الدراسة الكُردية وتأسيس مديرية معارف كُردستان في كركوك وتحقيق الحقوق الثقافية والمهنية، وتكوين المنظمات الجماهيرية الكُردية. وكان يعتبر كل هذه النشاطات إنفصالية وتهدف الى تشكيل اقليم كُردستان مستقل، وذلك ضمن تقاريره السرية التي كان يرفعها الى وزارتي الدفاع والداخلية في حكومة عبدالكريم قاسم، ويعرّف المطالبين بهذه الحقوق بأنهم مخرّبون وفوضويون، ويدعم علناً وسراً التركمان، ويكوّن العلاقات مع شخصياتهم المناوئة للوطنيين والكُرد. وفي الحقيقة كان ذلك سبب إندلاع الحوادث المؤسفة ليوم ١٥ تموز عام ١٩٥٩ حيث لحقت بالكُرد وبالتركمان على السواء أضرار فادحة، ولايزال الجانبان يعانيان من هذه السياسة ويدفعان ضريبتها، ولم تستفد نتيجة ذلك غير السلطات الحكومية حيث أحكمت سيطرتها على المدينة منذ ذلك التاريخ وبدءت بممارسة سياسة التعريب الى اليوم في المدينة وإهدار خيراتها وثرواتها وترحيل سكانها الأصليين، ولم تشهد المدينة أي تطور غير الدّمار والمآسي[٢٣].

(٢١) على النقيض من رأي د. نوري طالباني، الدولة العراقية أعدت باديء الأمر لتعريب كركوك وذلك بجلب العرب الى المنطقة، ثم بدأت بترحيل الكرد من المحافظة.

(٢٢) مثل عوائل وذوي الشهداء لعام ٢٣/حزيران/١٩٦٣ حيث تركوا كركوك للإقامة في بغداد ومدن كردستان الأخرى، أو رُحِّلَ قسم منهم قسراً.

(٢٣) مدينة كركوك مهملة تماماً من قبل الدولة من النواحي الإعمارية والصناعية والثقافية، ويظهر ذلك جلياً لمن يرى المدينة.

في ذلك العهد أيضاً إتخذت هذه السياسة العنصرية سبلاً وأشكالاً مختلفة لتغيير الواقع القومي لمدينة كركوك. فمنذ عام ١٩٥٩ وبعد أشهر قليلة على حوادث ١٥ تموز تم إغتيال العديد من الشخصيات الكُردية المثقفة والبارزة وشُوِّه الكثيرون أو فقدوا أبصارهم نتيجة رش مادة التيزاب في وجوهم دون أي ذنب إقترفوه إلاّ كونهم كُرداً[٢٤].

هنا تجدر الإشارة الى أنه في الإتحاد السوفيتي سابقاً، وخلال الستينات صدر كتاب كشف عن أن الدولة السوفيتية صرفت ٢٠٠ الف دينار عراقي لإثارة الفتن والقلاقل في مدينة كركوك عن طريق شركة نفط العراق[٢٥].

ولهذا الهدف، تشكلت منظمات سرية بمساعدة سلطات الدولة، تسببت في ترك العديد من الناس بيوتهم وأملاكهم في المدينة، أو ترك بعضهم لمحالهم وأحيائهم[٢٦] خوف القتل أو الإغتيال. حينها بدأت الحملات الإرهابية ووصلت هذه الحملات أوجها في حزيران من العام ١٩٦٣، حيث بدأت في كافة مدن جنوب كُردستان وفي مدن ومحافظة كركوك حملات القمع والقتل والإعتقالات والهدم والسلب، وتطبيق سياسة حرق الأخضر واليابس معاً[٢٧]، وقد نفذ هذه الممارسات الجيش مع الحرس القومي المؤلف من أفراد العشائر العربية[٢٨].

خطط تعريب مدينة كركوك عام ١٩٦٣

في بداية حزيران عام ١٩٦٣ أقتيد الآلاف من أبناء مدينة كركوك وزجّ بهم في سجن المسيب، وقتها تسلم الحرس القومي السلطة، وقد نفذت الممارسات التالية لتغيير السمة القومية لمدينة كركوك، حيث كانوا قد أعدّوا لسياستهم هذه منذ زمن بعيد، مثل:

١- هدم حي الجمهورية في منطقة الشورجة.

٢- هدم وتخريب القرى المحيطة بمدينة كركوك، مثل قرى: پةنجا، علي جَوَل بور، چيمن، سونه كولي، ياروەلى، چالاو، هنجيرة، قوتان، قوشقايه، شوراو، باجوان، قرەدره، قزلقايه، ولي پاشايي.

وقد تواجدت معظم هذه القرى بالقرب من الحقول النفطية، وفي (قرية قرەدەره) تم اعدام ستة أشخاص رمياً بالرصاص.

٣- حرق، وسلب، وترحيل معظم قرى محافظة كركوك، عدا القرى المنيعة والنائية حيث كان يتم

(٢٤) مثل محمد أمين شربتچي في يوم ١٩٥٩/١٢/١٢، وإغتيال الصحفي الكردي صديق بلوكيني ومفوض الشرطة قادر بابان، عدا رش التيزاب في وجوه المواطنين الكرد.

(٢٥) برنامج كاروان في تلفزيون Med لقاء مع الدكتور جبار غفور يوم ٢-٨-٢٠٠٠، الكتاب محفوظ في أرشيف الدولة السوفيتية.

(٢٦) حصلت على هذه المعلومات من أحد معارفي بمدينة كركوك.

(٢٧) بدأت في بداية شهر حزيران عام ١٩٦٣والبعض يقول بدأت في ١١ حزيران.

(٢٨) بداية شهر حزيران عام ١٩٦٣ أعدم الكثيرون رمياً بالرصاص، مثلاً ١٤ شخصاً في قرية بيره سبان، كما وقتلوا عدداً من الرعاة والطرشان والمجانين.

قصفها عن بعد بالمدافع وهدمها وحرق محصولاتها وإجبار السكان على تركها.

٤- قتل العشرات من الشيوخ والنساء والأطفال في قرى محافظة كركوك من قبل الحرس القومي[٢٩].

٥- قطع الإتصالات والتنقل بين قرى المحافظة ومركز مدينة كركوك.

٦- إعتقال وإبعاد المئات من الأشخاص الأبرياء من أهالي المدينة الى سجن المسيب.

٧- إخلاء وترحيل القرى الكُردية العائدة لناحية دوبز (دبس) في جانبي المنطقة شرقها وغربها، حيث أن جانبها الثاني يقع في الطرف المقابل لناحية ديبەگه (كنديناوه)، حيث يعتبر مركزاً غنياً بالنفط، وأسكنت في المنطقة بدل سكانها الأصليين من الكُرد العوائل العربية المولفة من عشائر العرب الرحل[٣٠].

٨- زرع منطقة كركوك وحواليها بمئات الربايا والمعسكرات، بشكل أصبحت المنطقة ثكنة عسكرية، وإكتسبت ملامحها منذئذ وحتى اليوم شكل العنف والقتل ضد الشعب الكُردي.

٩- فصل عدد كبير من العمال الكُرد من شركة نفط كركوك، ونقل صغار الموظفين من نفس الشركة الى مدن العراق الأخرى.

١٠- تشكيل المرتزقة من الكُرد (الجحوش) نتيجة لعلاقة الدولة ببعض الأشخاص، بإغداق الأموال عليهم، أو بواسطة التهديد بهدم قراهم إذا لم يحملوا السلاح للدولة.

١١- جلب عدد من العشائر العربية الى منطقة كركوك، وتسليح أفرادها بأشكال مختلفة، كمرتزقة (جحوش) أو شرطة[٣١].

١٢- البدء بتغيير الأسماء الكُردية، ووضع أسماء عربية بدلاً عنها لمختلف الأماكن في كركوك، مثلاً قەسابخانه، أبدل أسمها الى (المجزرة) ومحلة تسن الى (تسعين) ثم (تسعين الجديدة).

١٣- تهجير عوائل وذوي الپيشمرگه في مراكز مناطق مثل: ريدار في شوان، ولَيلان، ودوبز (دبس)... الخ، لاسيّما منذ عام ١٩٦٤ فلاحقاً حيث انها تابعة لمحافظة كركوك.

١٤- قطع البطاقة التموينية عن عوائل وذوي الپيشمرگه، كما منع نقل المواد الغذائية والمحروقات من المدن الى القرى إلاّ قليلاً أو بصعوبة، كالسكر والشاي وغيرها من المواد الضرورية.

١٥- اعدام (٢٨) كُردياً بريئاً من أهالي مدينة كركوك كالشيخ معروف برزنجي ورفاقه، في يوم ١٩٦٣/٦/٢٣ بتهمة مشاركتهم في حوادث ١٤ تموز ١٩٥٩ في كركوك (الذكرى السنوية الأولى لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨)، بعد أن أفرج عنهم في المرة الأولى، وإعتقالهم ثانية عند مجيء البعثيين الى الحكم في عام ١٩٦٣ وإتهامهم بالشعوبية[٣٢].

(٢٩) د. نوري طالباني، ص٥٥.
(٣٠) د. نوري طالباني، ص٥٧.
(٣١) د. نوري طالباني، ص٥٦.
(٣٢) د. جمال نبز، المستضعفون الكرد وإخوانهم المسلمون، لندن ١٩٩٥، ص٩٧ و٩٨، الهامش ٢٣.

١٦- إحراق عدد من قرى منطقة شوان عند سفوح جبل خالخالان للمرة الثانية، خلال عامي ١٩٦٤ و١٩٦٥ بحجة إقتتال فصائل البيشمركه مع القوات الحكومية.

إن شكل تغيير الواقع القومي لمدينة كركوك الذي أشرنا اليه أعلاه، شمل -كمرحلة تغيير الهوية أو الواقع الكُردي للمدينة وتعريبها- الفترة منذ تأسيس الدولة الملكية العراقية حتى حزيران عام ١٩٦٣[٣٣].

إن حملة تعريب مدينة كركوك وحواليها في المناطق النفطية والقريبة من المحافظة هدأت الى حد ما بسقوط البعثيين في نفس العام ١٩٦٣ وإنهيار سلطة (الحرس القومي). وهذا الأسلوب الجديد الهاديء تمثَّلَ في تعيين الموظفين والعمال العرب في مختلف دوائر محافظة كركوك وشركة نفط كركوك، والمؤسسات الإدارية من مدراء النواحي، وقائممقامي الأقضية، وكذلك في مركز محافظة كركوك، وزيادة فتح المراكز العسكرية، وجلب العسكريين والضباط العرب الى المحافظة ونقل العسكريين والضباط الكُرد من محافظة كركوك الى وسط وجنوب العراق، والعمل على تقليل نسبة المعلمين والموظفين الكُرد في المدينة ونقلهم الى المدن العراقية الأخرى، أو المناطق الأخرى من كُردستان[٣٤].

وخلال الفترة من ١٩٦٣ الى ١٩٦٨ أيضاً غادرت معظم العوائل الكُردية المعروفة مدينة كركوك للسكن في بغداد ومدن كُردستان الأخرى، جراء العنف أو القمع الذي إتبعته الدولة. إن هذه المرحلة من التعريب لمحافظة كركوك منذ عام ١٩٦٣ وحتى ١٩٦٨ تستغرق فترة تسلم البعثيين دفة الحكم في العراق، وهي عبارة عن المرحلة أو الشكل الثاني لتغيير الواقع القومي لهذه المدينة أو المحافظة. مرحلة واقعة بين ثلاث فترات مختلفة من حكم القوميين العرب، كفترة قصيرة من حكم البعثيين الذين تسلموا السلطة نتيجة إنقلاب الثامن من شباط عام ١٩٦٣، ثم سقوطهم ومجيء عبدالسلام عارف وأخيه عبدالرحمن، حيث كان حكمهم خلال الفترة الأولى متسماً بالقمع والعنف، وفي الفترة الثانية بالهدوء. وتمت الإطاحة بالنظام العارفي في ١٧ تموز عام ١٩٦٨ وفرض البعثيون سلطتهم على العراق ثانية بشكل وأسلوب جديدين، وتواصلت حملة تعريب كركوك بأشكال مختلفة يوماً إثر يوم في ظل سلطتهم حتى اليوم، وهي عبارة عن المرحلة أو الشكل الثالث لتعريب كركوك والذي سنستعرضه فيما يلي:

أشكال تغيير السمة الكُردية لمدينة كركوك

١- أحد الأشكال المتبعة لتغيير السّمة الكُردية لمدينة كركوك، إتباع أسلوب العنف المستمر من قبل السلطة حيث ملامح الحكم العرفي بادية على هذه المدينة، وكافة القرارات والتعليمات التي تصدر من الدولة، خصوصاً إذا كانت لصالح المواطنين تستثنى منها محافظة كركوك ولاتشملها هذه القرارات أو التعليمات أو توضع لها ملاحق أو فقرات خاصة بصدد إهمال الكُرد من هذا الحق،

(٣٣) د. نوري الطالباني، حدد في مصدره المرحلة الأولى للتعريب من العهد الملكي حتى ١٩٥٨ لكن لم يجر تحول حتى عام ١٩٦٣ للدخول الى مرحلة أخرى في مشكلة كركوك، أنظر ص ٣٦.

(٣٤) د. نوري طالباني، ص٦٠.

كتوزيع الأراضي على الموظفين والمواطنين[٣٥]. وعلى العكس في مجال الخدمة العسكرية أيضاً لم يجر حساب عادل بالنسبة للكُرد، فقد شملت دوماً الخدمة العسكرية كُرد كركوك والمناطق الخارجة عنها أيضاً ما يسمى بمنطقة الحكم الذاتي وأبناء محافظات تلك المناطق مثل: السلمانية، وأربيل، ودهوك) لاتشملهم الخدمة العسكرية، وذلك لإستفزاز شباب مدينة كركوك ليتركوا بأنفسهم المدينة[٣٦].

خير مثال لإستخدام السلطة العنف وترهيب أبناء المدينة ضربها يوم ١٩٨٥/١٠/١٥ منذ الفجر لطوق على المدينة وأحيائها يرافقه إطلاق الرصاص والـ آر٠ بي. جي، بحجة التفتيش، حيث قاموا بتفتيش البيوت وإعتقال الكثيرين وقتل وجرح عدد من الأشخاص، مثلاً إبن الحاج نصرالدين صاحب محل وأإنته في محلة آزادي.

وقد كان محافظ كركوك واحداً من أعضاء قيادة حزب البعث وعسكرياً على الأكثر، ومنحت له كافة الصلاحيات الإدارية وتنفيذ الأوامر والقرارات العليا الصادرة من الدولة.

٢- بدأوا في عام ١٩٦٨ وفق خطة مدروسة بتعريب مدينة كركوك ومناطقها الأخرى، وعلى سبيل المثال تم نقل معظم الموظفين والمعلمين والعمال الباقين في المحافظة الى مدن وسط وجنوب العراق، ونقل القسم الآخر منهم الى كُردستان[٣٧]. حتى بعد إحالتهم على التقاعد لم يكن بوسعهم العودة الى موطن آبائهم وأجدادهم في أماكن سكناهم الأصلية، إذ قامت السلطات أيضاً بنقل جنسياتهم وهوياتهم المدنية الى منطقة الحكم الذاتي دون علم منهم، كذلك تم فتح قوائم جديدة خاصة بإحصاء عام ١٩٥٧ بإسم العوائل العربية مضافة الى السجلات القديمة[٣٨].

٣- إهمال المدينة كركوك ومناطقها من كل ما من شأنه تطويرها، وعدم إفساح المجال أمام المشاريع العامة والنشاطات الثقافية والفنية الكُردية، حتى باللغة الكُردية، وإن لم تكن هذه النشاطات حول الكُرد، وظاهرة إهمال مدينة كركوك أصبحت علامة فارقة بوجه أهالي المدينة حيث الحزن والكآبة باديان عليها والمدينة أشبه بمدينة محروقة.

٤- ضمن بنود إتفاقية ١١ آذار عام ١٩٧٠ بدأوا منذ عام ١٩٧١ ببناء أحياء جديدة في مدينة كركوك مثل: (حي المثنى، الكرامة، الوحدة، الحرية، الأندلس، غرناطة، البعث، الشرطة، السكك، ألفين دار، عرفة، الرشيد، العروبة، واحد آذار، النور، واحد حزيران، دور الزمن، شقق محلة المصلى، الحجاج، قتيبة، حطين، العسكري، وعشرات الأحياء والمجمعات الأخرى لاسيما على الطريق العام بين كركوك- دوبز (دبس)، كركوك - شوان، كركوك - آلتون كوپري (پردي)، كركوك - الحويجة،

(٣٥) أنظر الهامش (٢٢).

(٣٦) عندما سرّحت الدولة في شهر كانون الأول عام ١٩٨٣ الجنود الكُرد بإسم القومية الكردية، دعت بعد ٨ أشهر أخرى في ١٩٨٣/٨/٢٧ (١٤) مواليداً من الكُرد من خارج منطقة الحكم الذاتي الى الخدمة العسكرية من ١٩٨٣/٩/٧، لكن لم يلبّ معظم المواليد دعوة المديرية العامة للتجنيد.

(٣٧) بعد نكسة ثورة أيلول عام ٧٥ منعت السلطة عودة الموظفين الى مدينة كركوك.

(٣٨) المرسوم الجمهوري رقم ٤ بتاريخ ١٩٧٦/١/٢٩.

كركوك – داقوق، وفي الأحياء الكُردية داخل مدينة كركوك بُنيت أحياء ودور للعوائل العربية ذات العشرة آلاف مثل أحياء: آزادي، رحيماوا، إسكان، طريق بغداد، شورجه، إمام قاسم... الخ وهذه الظاهرة مستمرة حتى الآن.

٥- تغيير إسم محافظة كركوك بإسم التأميم وفق القرار الرسمي رقم ٣٨ لسنة ١٩٧٦، وإقتطاع الأقضية والنواحي الكُردية منها: قضاء چمچمال تم إلحاقه بالسليمانية، وكفري بديالى، وكلار بالسليمانية، وطوزخورماتو بمحافظة صلاح الدين، وبقي قضاء الحويجة المعرَّب لوحده، ودوبز (دبس)، وشوان، وآلتون كوپري (پردي) تابعة لمحافظة كركوك، وذلك بهدف تقليل نسبة السكان الكُرد في هذه المحافظة الكُردستانية[٣٩].

ومنذ ذلك التاريخ أيضاً شرعوا حثيثاً بتغيير كافة الأسماء الكُردية داخل كركوك كأسماء الأحياء، والشوارع، والمدارس، والأسواق، والمحلات... الخ مثلاً تم تغيير إسم محلة رحيماوا الى حي الأندلس، ومدرسة پيرةميرد الى البكر، ومكتبة آسو الى الطليعة، ومكتبة هندرين الى التأميم.

٦- إبطال الدراسة الكُردية في مدارس كركوك، حيث كان قد تعين معاون مدير عام التربية لشؤون الدراسة الكُردية منها كُردياً يشرف عليها، وكانت تابعة للمديرية العامة للدراسة الكُردية في وزارة التربية[٤٠].

هذا لعمل بدأ منذ عام ١٩٧٤ حيث تحوّلت الدراسة في المدينة عاماً بعد عام ومرحلة بعد أخرى الى الدراسة العربية، وفي شهر آذار من نفس العام تعرضت الكثير من قرى محافظة كركوك الى الحرق والقصف بالمدافع والإخلاء.

٧- بهدف معاداة الكُرد، وبغية إدامة سياستهم، إهتموا دوماً بالتركمان في مدينة كركوك، على سبيل المثال إن القسم الأعظم من موظفي المؤسسات الإدارية في المدينة من التركمان، ولم يجر نقلهم أسوة بالموظفين الكُرد الى المدن الأخرى، اللهّم إلاّ نادراً كأن يقف أحدهم موقفاً معادياً من السياسة البعثية، كما وفسحت السلطات المجال أمام النشاطات الثقافية والفنية التركمانية وتأسيس الفرق الفنية لهم، وإقامة نصبين لشخصيتين تركمانيتين عام ١٩٨٩ في ميدانين بارزين من الميادين وسط المدينة ممن قتلوا في حوادث تموز عام ١٩٥٩. وللحقيقة والتاريخ نقول أن الكثير من العوائل الكُردية جعلوا من بيوتهم ملاذاً آمناً للكثير من الإخوة التركمان أيام الحوادث تلك وأنقذوهم من الموت، مثل عائلة الحاج عزت أغا زيّوهيى وغيرها كثيرة.

٨- غرس عدد كبير من أشجار النخيل في الشوارع العامة للمدينة، وإزالة الحدائق العامة العريقة في كركوك مثل حديقة القلعة على طريق السليمانية عند [حەسيرەكە]، والحدائق الواقعة على جانبي

(٣٩) المرسوم الجمهوري رقم ١٣٩١ بتاريخ ١٩٨١/١٠/٢ المنشور في جريدة الوقائع العراقية رقم ٢٨٥٦ حول نقل الموظفين والعمال الكُرد والتركمان الى جنوب العراق.

(٤٠) معاون مدير التربية في محافظة كركوك لشؤون الدراسة الكُردية كان الأستاذ فاتح حمه بگ، وهو شقيق الشهيد حسيب حمه بگ الذي أستُشهد في ١٩٦٢ مع (١٤) آخرين في قتال مع القوات الحكومية في منطقة برده قارمان.

شارع امام قاسم في محلتي زيوية وعاشور، وحديقة أم الربيعين في محلة (تپه ملا عبدالله)، وتغيير مواقعها بإسم قرية منظمة البعث، ونادي إستراحة الأمن، وبالمؤسسات الأمنية للأحياء. وللهدف نفسه شقت السلطات محلة الشورجة الى شطرين وذلك بفتح شارع واسع، ورحّلت بذلك العشرات من العوائل من دورها ليتسنى لها مسح السمّة الكُردية العريقة للمدينة.

٩- منع البرنامج التلفزيوني أو ما يسمى بالقسم الكُردي في كركوك من بث كافة النشاطات الثقافية والفنية الكُردية لمدينة كركوك، عدا عن طريق الفرق الفنية والثقافية لمدينتي السليمانية وأربيل فحسب، وذلك لكي يثبت أن لا وجود للكُرد في مدينة كركوك وليس لهم قدرات في هذا الصدد. حتى إن السلطات في مدينة كركوك منعت عام ١٩٩٧ إحياء الفنانين والمغنين الشعبيين للأعراس والحفلات في الأماكن العامة والأحياء الشعبية!

١٠- إغلاق المدارس في القرى التابعة لمحافظة كركوك في بداية العام الدراسي ١٩٨٤-١٩٨٥، وقطع طرق السيارات والتنقل بين القرى بحجة وجود نشاطات البيشمرگه، هذا بالإضافة الى منع وصول المواد الغذائية كالسكر والشاي والمحروقات ... الخ اليها. ومنع قبول مرضى القرى في مستشفيات مدينة كركوك كما ومنعت منظمة حزب البعث في أواسط الثمانينات وخصوصاً في عام ١٩٨٧ إستضافة أي من أهالي القرى حتى أقارب الدرجة الأولى في أي بيت كُردي في كركوك. مثلاً في عام ١٩٨٨ وهو عام حوادث عمليات الأنفال السيئة الصيت سُجن الكثيرون وغدوا مجهولي المصير بسبب إستضافتهم لشخص أو واحد من أقاربهم من خارج المدينة. وخلال عامي ١٩٨٧ و١٩٨٨ هُدمت وخُربت كافة قرى وقصبات كركوك وتعرض أهلها الى عمليات الأنفال[٤١].

١١- إبعاد ونقل آلاف المواطنين الكُرد وفق القرار رقم ١٣٩١ بتاريخ ١٩٨١/١/٢٠ الصادر من مجلس قيادة الثورة الى جنوب العراق[٤٢].

١٢- عدم إفساح المجال لفوز العديد من الكُرد الذين رشحوا أنفسهم لإشغال منصب عضوية البرلمان (المجلس الوطني العراقي) علماً أنهم حصلوا على نسب كبيرة من الأصوات، في الإنتخابات التي جرت بتاريخ ١٩٨٠/٨/٢٠[٤٣].

١٣- في عام ١٩٨٦جرت حملات إعتقال وقتل وإعدامات بحجة وقوع بعض التفجيرات والتهرب من الخدمة العسكرية لكُرد المدينة، وبلغت الحملات من الكثافة درجةً أُعدم فيها الكثيرون رمياً بالرصاص أمام إنظار الناس في أحياء: رحيماوا، إسكان، شارع الجمهورية، ملعب الإدارة المحلية، وكان أفراد السلطة يتقاضون كلفة الرصاص من ذويهم تحقيراً لهم. وأُعدم معلمون مناضلون مثل: عبدالقادر ملا عمر بگتي، ورؤوف يابة، وشيرزاد شيخ حسين جباري في الأمن

(٤١) مثل الشيخ حسن في قرية حسن قباغي في منطقة شوان، وهو مفقود الى الآن.

(٤٢) حسب هذا القرار يحق لكل مواطن في منطقة الحكم الذاتي شراء قطع الأرض السكنية في محافظات العراق وبغداد عدا: [نينوى، التأميم، ديالى] ومن ينقل سجل نفوسه الى منطقة الحكم الذاتي من كركوك تمنح له قطعة أرض ومبلغ ١٥٠٠ دينار عراقي.

(٤٣) مثل الشيخ سعاد الطالباني، حيث حصل علي نسبة عالية من الأصوات وغيره.

العامة ببغداد بعد سحب دمائهم منهم. وتكررت نفس حملات الإعتقالات والإرهاب في عام ١٩٩٤ حيث أعتُقل العشرات من أبناء المدينة، وأعدم جراءها العقيد أسعد أغا في سجن ابي غريب رمياً بالرصاص، وكذلك المهندس الكهربائي الذكي عارف فقي فتاح، وكان يجري يومياً تسليم العديد من جنازات القتلى والمعدومين من سجني أبي غريب وبغداد الى جوامع مدينة كركوك لتُعاد بعدها الى ذويهم في السليمانية وأربيل، وذلك فقط لإرهاب أهالي كركوك وثني عزائمهم. كما كان يجري رمي العديد من الجثث بملابسها الكُردية في مقبرة الشيخ محي الدين بكركوك حيث كان رجال الأمن وعملاء الحكومة يدفنونها صباحاً أو ظهراً في مكان قرب المقبرة على طريق جامع (برتكية) وقد سمّى أبناء المنطقة المكان باسم (مثوى الغرباء)[٤٤].

١٤- طرد وترحيل الكُرد من كركوك بمختلف الحجج كأن يكون أحدهم من أفراد البيشمرگه، أو في الخارج، أو هارب من الخدمة العسكرية، والجيش الشعبي، فكانوا يسحبون منهم بطاقة المواد التموينية، ويطردونهم الى مدن كُردستان الأخرى، وهناك كان يواجه عدداً من المشاكل أيضاً.

١٥- منع شراء وبيع العقارات والدور بين الكُرد أنفسهم عدا الى العرب[٤٥]. بهذا الصدد وُزعت الأراضي السكنية على الآلاف من عرب وسط وجنوب العراق الذين جيء بهم الى كركوك ودفعت لهم النقود وعينوا بمختلف الوظائف في كركوك ومناطقها، وأصبحوا جواسيس للحكومة على الكُرد. كما وصدر قرار من الحكومة يقضي بأن الكُردي الذي يغيّر بطاقة الأحوال المدنية الخاصة به ويغادر الى منطقة ما يسمى بالحكم الذاتي أو مدن جنوب العراق سيُمنح له قطعة أرض سكنية مع (١٥٠٠) دينار عراقي[٤٦].

١٦- نقل مواقع المؤسسات والدوائر الحكومية والخدمية، وأي موقع أو منظر مدني من الأحياء الكُردية الى المناطق التي تم تعريبها في جنوب مركز المدينة، حتى يحرم أبناء المناطق الكُردية من هذه المؤسسات والخدمات. عدا هذا وُجدت في مدينة كركوك كبرى المؤسسات الإرهابية للسلطة مثل: لجنة مكافحة النشاط المعادي، هيئة كركوك، المنظومة الشمالية، قيادة الفيلق الخامس، قيادة حماية النفط في كركوك، المطار العسكري للطائرات الحربية والسمتيه... الخ.

(٤٤) د. نوري طالباني. وقد رأيت بنفسي هذه المقبرة في ١٩٨٨/١٩٨٧ يقع بجانب مقبرة الشيخ محي الدين في المدينة.

(٤٥) أنظر وريا جاف، نفس المصدر ص ١٣٨ و١٤٤.

(٤٦) و(٤٧) كل بيت ينتقل من نفس الحي الى بيت آخر أو من حي الى آخر عليه اعلام أمن الحي، أو شعبة الشؤون الداخلية. هذه الوثيقة أدناه شاهدة على ما نقول:

وثيقة عدم التعرض رقم ٤ ، ٣٧ في ١٩٨٧/٥/١٢

يسمح للمدعو بنقل أثاثه من محلة الاسكان رقم الدار ٧٠٤٥٤ الى نفس المحلة ٧ ، ٥٠٧ المرقمة على أن تبقى نافذة المفعول لمدة عشرة أيام من تاريخ صدورها.

سعدي رشيد صالح

نسخة منه الى:
محافظة / س.د./ للتفضل بالعلم لطفاً
شرطة التأميم/ أمن التأميم/ مختار المحلة للعلم لطفاً.

١٤- إنتقال محل سكن العائلة من حي الى آخر كان يتم بموافقه مؤسسة أمن المحلة أو الحي واللجنة الأمنية لمحافظة كركوك حسب الإستمارة الخاصة للجنة وكانت تصدر بصعوبة بالنسبة لمن كانوا مسجلين في دائرة النفوس في المدينة، أما من المسجلين في مناطق خارج المدينة فكان مستحيلاً أو نادراً جداً[٤٧].

١٨- بعد مآسي ثورة أيلول ١٩٦١، في عام ١٩٧٥ جرى توجيه كتاب رسمي من الإدارة المحلية الى المكتبة المركزية العامة في كركوك يقضي بإعادة الكتب الكُردية من المكتبة المذكورة الى شعبة المحافظة، ووضع في سجل كتب المكتبة الخطوط الحمراء تحت أسم كل كتاب من الكتب الكُردية، مدونة عليها عبارة (سُحب بكتاب رسمي رقم ... بتاريخ / /١٩٧٦ للأسف لا أتذكر التاريخ بالضبط (الكاتب)[٤٨].

وعدا ذلك لم ترد الى المكتبة أية مجلة أو كتاب كُردي جديد من العام ١٩٧٤ وحتى الآن، ماعدا وجود دولاب يحوي عدداً من الكتب غير النافعة والسياسية والتاريخية، وضعت ثمة عمداً لمعرفة الأشخاص المتابعين لهذه الكتب لاغير.

١٩- خصصت الدولة العراقية ميزانية كبيرة لتعريب محافظة كركوك والمناطق المجاورة لها، لاسيما لإسكان العوائل العربية في المدينة وحواليها، وخير مثال على ذلك فشل المفاوضات بين الثورة الكُردية وحكومة بغداد وتجدد الإقتتال عام ١٩٧٤بعد إتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠، ثم ولّدت تلك الحروب الحرب بين العراق وإيران، ثم إحتلال الكويت من قبل العراق بسبب مياه الخليج وشط العرب والنفط، حيث لحقت بالعراق خسائر قُدرت بمليارات الدولارات ولايزال يعاني من وطأتها، وآخرها الحصار الإقتصادي.

٢٠- القبض على حوالي (٧) آلاف مواطن كُردي خلال يومي ١٠ و١١ آذار عام ١٩٩١ أيام إنتفاضة شعب كُردستان كرهائن خوفاً من إندلاع إنتفاضة كركوك، بعدها أطلقوا عندما تغيرت الأوضاع، ومنذ عام ١٩٩١ وحتى شهر آب من عام ٢٠٠٠ وحسب ما أوردته الوسائل الإعلامية تم ترحيل (١٥٨٣٩) عائلة قوام أفرادها (٩٣٨٨٨) شخصاً من كركوك الى المناطق المحررة من كُردستان وخصوصاً محافظة السليمانية[٤٩].

(٤٧) وجدت ذلك بام عيني في عامي ١٩٨٧ و١٩٨٨ عند إنهماكي بإعداد رسالتي في الماجستير على سجل الكتب الكردية، ولم يبق ٩٥٪ من الكتب الكردية في المكتبة المركزية العامة في كركوك، ونقلت الى شعبة الإدارة المحلية لإتلافها.

(٤٨) إلقاء القبض على (٧٠٠) مواطن كردي نشر في كافة وسائل الإعلام الكردية، وكذلك إذاعتي مونتي كارلو، وصوت أمريكا.

(٤٩) رفعت مذكرة في بداية العام ٢٠٠٠ الى كوفي عنان، أنظر جريدة كوردستانى نوێ، عدد ٢٢١٥ في ٢٠٠٠/٨/٣: عبارة عن (١٦١) عائلة كردية يبلغ عدد أفرادها (٩٣٠) شخصاً. أنظر نفس المصدر السابق عدد ٢٢٠٦ في ٢٠٠٠/٧/٢٤. وفي عام ١٩٩١ حتى عام ٢٠٠٠/٢/٨ بلغ عدد العوائل المرحلة ١٥٨٣٩ عائلة، والمرحلون من كركوك الى أربيل من عام ١٩٩٧ حتى ١٩٩٩/٥/٢١ عبارة عن (٥٢١) عائلة حسب مجلة كركوك العدد ١ ص١٠٩-١٣١ لسنة ١٩٩٨ (١٣١) عائلة. العدد (٢) ص١٣١-١٣٧ (٢٠٥) عائلة العدد ٣ ص١٢٣-١٢٥ (٩٣) عائلة العدد (٤) ص١٦٤-١٦٦ (٩٢) عائلة المجموع الكلي (٥٢١) عائلة.

٢١- بعد إنتفاضة شعب كُردستان في آذار وربيع عام ١٩٩١، قررت الدولة العراقية رسمياً إلحاق القرى التابعة لمحافظة كركوك بمناطق ما يسمى بالحكم الذاتي، ونقلت سجلات نفوسهم وهويات الأحوال المدنية الى محافظات هذه المناطق بحجة تغيير نفوسهم في كركوك، وتم ترحيل المئات من هذه العوائل ولازال هذا العمل مستمراً حتى الآن. هذا بالإضافة الى قيام الدولة بترحيل العوائل بحجة كون أحد أفرادها أو عمله في المنطقة الخاضعة لإقليم كُردستان العراق، وسحب البطاقة التموينية عنها.

٢٢- عدم توزيع إستمارة البطاقة التموينية الشهرية على كافة العوائل التي ترى الدولة فيهم أنهم يسكنون في مدينة كركوك بشكل غير شرعي، حتى وإنْ كانوا في الأصل من سكنة كركوك، ويحرّم أطفالهم من القبول في المدارس أيضاً.

٢٣- عدم الإعتراف بشهادة خريجي جامعات كُردستان وعدم قبولهم حتى بالنسبة الى جامعة صلاح الدين - أربيل، حيث كانت الدولة إعترفت بها رسمياً ودستورياً، هذا علاوة على قيام الدولة بقبول الطلبة العائدين من الجامعة المذكورة الى كركوك بمرحلة أو مرحلتين أدنى أو إعادتهم مجدداً الى المرحلة الأولى للدراسة في الجامعة، لكن هذه الخطوة أيضاً الغيت بعد عام ١٩٩٤.

٢٤- إعتقال أو سجن أحد أفراد العائلة لإجبارهم على الرحيل والحضور مع أثاثهم أمام مركز الشرطة للتأكد من رحيلهم حتى يتم إطلاق سراح العضو المسجون للعائلة. وأكبر حملة من هذا القبيل حدثت يوم ١٩٩٧/٥/١٧ وإستمرت لمدة ثلاثة أيام وشملت كافة أحياء وازقة المدينة، وكانت قوات الطواريء تجوب البيوت برفقة اللوريات بحثاً عن العوائل الكُردية بغية ترحيلهم وإعتقالهم، وشملت الحملة كل شخص كُردي بغض النظر عن إختلاف درجته الوظيفية والإجتماعية[٥٠]. ثم توقفت الحملة فجأة نتيجة الضغوطات الدولية، بدأت بعدها بشكل متقطع وترحيل عدد من العوائل كل مرة.

٢٥- منع إلقاء الكلمات وخطب الجمعة باللغة الكُردية في جوامع كركوك، وقد نُفذ هذا القرار إعتباراً من تموز عام ٢٠٠٠.

٢٦- إسكان العرب من سكان مدينة البصرة الذين تركوها في عام ١٩٨٧ إثر القصف المدفعي في الحرب في الحرب العراقية الإيرانية في كركوك[٥٠].

٢٧- لم يكن مسؤول محطة تلفزيون كركوك من أصل كُردي أبداً، ولم يهتم بأي شكل من الأشكال بالمدينة.

٢٨- بعد كل هذه المحاولات ومختلف الأساليب لتغيير الملامح الكُردية لمدينة كركوك، قاموا بتهديد المواطنين وتوعدهم بالرحيل أو مصادرة أموالهم وممتلكاتهم فيما إذا لم يسجلوا أنفسهم عرباً وهم كُرد أصلاً أباً عن جد. وتعود بدايات هذه المحاولة الى عام ١٩٩٦. وفي عام ١٩٩٧ طلبوا من

(٥٠) دليل حقيقة هذا البحث بإسمي في قائمة أسماء محلة حي العسكري بكركوك/ تسلسل الرقم ٩ الأسماء من مجموع أسماء (٨٠) عائلة.

العشائر الكُردية (الكاكائية، والطالبانية، والداوده) الساكنة في مناطق داقوق وطوزخورماتو بترك قراهم وبيوتهم وممتلكاتهم أو أن يسجلوا أنفسهم عرباً في دوائر النفوس[٥١]. وقد إتصلت الدولة بنفسها بهم لهذا الغرض. وبعد حملات التعريب، وتحرير كركوك بشكل خاص والإقتتال الداخلي الكُردي إشتدت وتفاقمت هذه المحاولة من جانب السلطة[٥٢]!

موقف المعارضة العراقية من كركوك

بعد توضيح مختلف جوانب المحاولات الرامية لتغيير وتعريب مدينة كركوك، وحسب ما يقتضيه البحث، نستعرض فيما يلي رأي ووجهة نظر المعارضة العراقية المتواجدة خارج العراق حول كُردية مدينة كركوك.

تتلخص آراء معظم فئات المعارضة العراقية في أن مدينة كركوك ليست مدينة كُردية للشعب الكُردي فحسب، وأن من الخطر أن ينظر اليها الساسة والمثقفون الكُرد بإعتبارها مدينة كُردية فقط. لذلك يؤكدون صراحة على التعددية القومية وحق الجميع في المدينة.

بعض منهم يعتبر كركوك مدينة تركمانية، ويمكن الرد على هؤلاء بالوثائق والدلائل العلمية وبالحقائق التاريخية الملموسة التي تثبت في المصادر كُردية هذه المدينة الكُردستانية، وتم عرضها خلال هذا البحث، وهي عبارة عن مصدر (شمس الدين سامي، قاموس الأعلام ١٨٩٨) القائل بأن ثلاثة أرباع سكان مدينة كركوك من الكُرد، هذا إضافة الى بيان عدد سكان لواء كركوك في سنة ١٩٢٢ و١٩٢٤ وفق تقرير عصبة الأمم، وكذلك الإحصاء العام للواء كركوك حسب اللغة الأم في عام ١٩٥٧ الذي يثبت أن أغلبية السكان كانوا من الكُرد رغم التلاعب الذي تعرضت له هذه السجلات من قبل الدولة العراقية، لكن يشكل الكُرد الأغلبية. فلماذا يجري إنقاص نسبة الكُرد في المدينة وترحيلهم منها، ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم، وأراضيهم، ومحو أسماء أصحابها الشرعيين من سجلات دوائر الطابو في المدينة والقرى بشكل رسمي من قبل الدولة. خير مثال لهذا إعلان المديرية العامة لزراعة (التأميم) المنشور في جريدة الثورة العراقية يوم ٢٠ تشرين الثاني ٢٠٠١ في جريدة الثورة العراقية، وفيه يطلب من أصحاب الأراضي في قرية (ياروَلي) التي تبعد (٧) كيلومترات من كركوك الحضور وإطفاء أسمائهم من قطع الأراضي المرقمة (٢٢، ١/١٢٠، ١٣٤، ٢٥، ١٣٥، ٣٨) من المقاطعة (٥٨) ياروَلي. والشيء نفسه بالنسبة للقرى التالية التي تعرض أهلها لعمليات الأنفال وهي: (قزلقاية، چيمن الكبير، دوبزني) حيث نُشر إعلان بشأن مسح الفلاحين لأسماءهم عن حق التملك على أراضيهم في هذه القرى.*

(٥١) برنامج كاروان الخاص بكركوك لقاء مع الدكتور جبار غفور في Med TV.

(٥٢) نشرت هذه الأخبار من قبل أفراد هذه العشائر في عام ١٩٩٦ و١٩٩٧ بعدها زاروا بغداد لهذا الهدف وقيل لهم أمّا أن تسجلوا عرباً أو تتركون قراكم وترحّلوا عنها.

* حفر الآبار الإرتوازية في مناطق سالهيى، شوان، جباري، ليلان على تخصيصات القرار ٩٨٦ (النفط مقابل الغذاء والدواء) الصادر من الأمم المتحدة للعرب الرحل المجلوبين الى هذه المناطق، خلافاً للقرار المذكور ودون علم الأمم المتحدة.

أما ما يتعلق بالتركمان، فثمة مصادر تاريخية تؤكد أن هذه الأقلية التي تعيش حالياً في كُردستان، وتسكن كركوك تنتمي الى الشعب المسمى بالشعب التركماني وهي من شعوب آسيا الوسطى. ومن ناحية اللغة تعتبر لغتهم من إحدى اللهجات التركية، والتركية لغة أورال – التيكية[٥٣]، يعود أصلهم الى جبل آلتاين، وقد إستقدمهم في القرن التاسع الهجري= ٨٣٣ ميلادي الخليفة العباسي المعتصم بالله بهدف حمايته ضد مناوئيه، من خراسان وبلاد ما وراء البحر الى بغداد[٥٤].

وخير ما ينبغي أن يقوم به الكُرد والتركمان والأقليات الأخرى في كُردستان –كونهم عاشوا زمناً طويلاً معاً – هو التعايش الأخوي فيما بينهم والعمل من أجل خير الجميع وتقدم الوطن والتفكير من أجل مستقبل أكثر اشراقاً ورفعة للجميع. مع هذا متى ما تهيأت ظروف جيدة للشعب الكُردي في كُردستان فلن يتمتع الكُرد لوحدهم بثمرة هذه الظروف بل كافة الأقليات الأخرى أيضاً كالتركمان والكلدان والأرمن.

وأما عن كُردية مدينة كركوك فإن عادت هذه المدينة الى أصحابها الشرعيين الكُرد فلاشك يكون ذلك من مصلحة الجميع وخيرهم، وإلاّ سيتضرر الجميع ويخسرون المدينة وخيراتها، لذلك فمن الأفضل أن يتحدوا ويتكاتفوا، لاسيما في الوضع السياسي الراهن حيث يجري تطبيق النظام الديمقراطي وتسود لغة التفاهم والحوار بين الجميع، ومسيرة الشعوب تخطو نحو هذا النظام، وتبتعد عن المنافسة والعداء غير الشريفين.

سبيل معالجة مشكلة كركوك

إن مسألة كركوك وكُرديتها حق تاريخي مشروع ذو سجل نضالي طويل، كانت فيه كركوك دوماً نقطة عدم الإلتقاء الرئيسية بين الكُرد والحكومة المركزية التي جعلت المشكلة الكُردية أكثر تعقيداً، وتعرضت الحركة التحررية القومية الشعب الكُردي من أجل ذلك الى حروب طويلة نجمت عنها مآسٍ وويلات، وعمليات إبادة جماعية وقصف كيميائي وتدمير للبنى التحتية القومية والإقتصادية، ومن الممكن إيجاد سبل لمعالجة مسألة كركوك.

١– تأكدت كُردية كركوك تاريخياً ومنذ القدم للرأي العام العالمي والدولي، من قبل معظم المصادر القديمة التاريخية والجغرافية للمؤرخين الترك والعرب والأوربيين، والتي أكدت بالدلائل والوثائق التاريخية كُردية كركوك، وهذا يمهد سبيل المطالبة بالحق الكُردي في هذه المدينة.

٢– عرض مشكلة كركوك بشكل مستمر كجزء رئيسي من القضية القومية أمام الرأي العام العالمي والسياسة الدولية، والإستفادة من الظروف المناسبة، لأن التأكيد المتواصل له فوائده في تطوير المسألة.

٣– إن ترحيل المواطن وطرده من موطن آبائه وأجداده هو في حد ذاته عمل يتنافى وبنود الإعلان

(٥٣) د. عبدالواحد وافي، علم اللغة، القاهرة ص٢٠٨.
(٥٤) جريدة الحياة، عدد ١٣٣٤٨ يوم ١٩٩٩/٩/٢٤.

العالمي لحقوق الإنسان والقانون الدولي. إثارة هذه المسألة معززةً بالوثائق تفيد بلاشك في إحالتها الى محكمة العدل الدولية ومتابعتها(٥٥).

٤- إن ترحيل كُرد كركوك عمل يناقض القرار الدولي ٦٨٨ الصادر من الأمم المتحدة في ١٩٩١/٤/٥ نتيجة حرب الخليج الثانية، والنزوح المليوني للشعب الكُردي. ونتيجة القمع الذي تعرض له الشعب الكُردي وجماهير الشعب العراقي في جنوب العراق، وإن نقض هذا القرار يخلّ بأمن المنطقة ويثير المشاكل، ويعتبر كذلك خرقاً لحقوق الإنسان.

٥- القيام بمسيرات كبرى وشاملة في كُردستان في الظروف المناسبة، وعند خروج جماهير غفيرة أو الإستفادة من اخطاء الدولة العراقية يكون له زخمه وفاعليته لدى الرأي العام العالمي، لاسيما وأن الشعب الكُردي يملك حالياً قنوات فضائية يستطيع من خلالها عرض مشاكله.

٦- إستذكار مشكلة كركوك، والنظر اليها كمشكلة إنسان وأرض، وليس كجانب إنساني فقط. وذلك بتنظيم مذكرات خاصة الى البرلمان الأوربي، والكونگرس الأمريكي، وهيئة الأمم المتحدة.

٧- تنظيم وتأسيس المحافل والمراكز الخاصة بحل مشكلة كُرد كركوك، وإنقاذ المدينة من المَسي، وإعادة العرب الساكنين في المدينة من قبل الدولة الى أماكنهم الأصلية، وإعادة المرحلين الكُرد سكان المدينة الأصليين الى مواطن آبائهم وأجدادهم في كركوك والمناطق التي تنسحب منها القوات العسكرية ومختلف المؤسسات والأجهزة القمعية، ووضع المدينة تحت الرقابة الدولية ومنظمة الأمم المتحدة، كل ذلك يتم بالإعتراف رسمياً بكُردية المدينة في المحافل والأوساط الدولية.

٨- حث مجلس الأمن الدولي على إيقاف عمليات مصادرة ثروات وأملاك وأراضي أهالي المحافظة وعدم إفساح المجال لإستثمار الأراضي الزراعية في المحافظة من قبل الأصحاب غير الشرعيين والمتسلطين. وهو ما سيؤدي الى إيقاف عملية التعريب، ووضع حد لجلب العوائل العربية الى محافظة كركوك. وعلى هذه المحافل والمراكز مواصلة النشاطات السياسية والقانونية حسب الظروف المناسبة، والعمل على دفع النشاطات والجهود النضالية الى الأمام من أجل مسألة كركوك، وتغيير نشاطاتها حسب الظروف.

٩- عدم فسح المجال لإنتشار المرحلين هنا وهناك في إقليم كُردستان، والقيام بجمعهم كافة على الأقل في مكان أو مكانين في أربيل والسليمانية لأن ذلك تكون له فوائده للرأي العام العالمي والدولي، إضافة الى الإستفادة من المحافظة على كُردية مدينة كركوك، وعدم نسيانها من قبل الجيل الجديد والقادم، لاسيما إذا إستمرت أوضاع المدينة على هذا الشكل.

١٠- ينبغي على مختلف مؤسسات حكومة اقليم كُردستان والأحزاب السياسية ومنظمات حقوق الإنسان في كُردستان الإهتمام المتواصل بمسألة مدينة كركوك، مما يعني الإصرار على المطالبة وعدم التخلّي عن المدينة، وهذا ما يدفع بالمسألة أكثر الى الأمام، وإلاّ فان إهمال هذا الجانب كمشكلة مدينة الموصل يؤدي الى نسيانها، فالعمل من أجل كركوك يقتضي أن نكون قد أخذنا

(٥٥) برنامج كاروان، Med TV، ٢٠٠٠/٦/٢٥ نفس المصدر.

العبرة من مشكلة الموصل.

١١- جعل وجود الظاهرة الثقافية، ومختلف اللهجات الكُردية المحلية في المحافظة، والمثقفين والكتاب وكبار الشعراء فيها منذ القدم دلائل ووثائق دامغة على كُردية مدينة كركوك. حتى أن كركوك ليست فيها مقبرة عربية واحدة لذلك حتى مقابرها تتعرض لعملية التعريب. فهذه مقبرة [حواش] العائدة لعشيرة الكاكائية في قره (علي سراي) تنقل اليها القبور القديمة لعرب (العظيم) لأن الحكومة تدفع لهؤلاء مقابل نقل كل قبر مبلغ ١٠٠ الف دينار دينار عراقي (طبع) لذوي الميت المنقول، بزعم أن تلك المنطقة كان عربية في الأصل. أنظر جريدة (الصحفي = روژنامةنوس) عدد ٣٤ في (١٥) أيلول/ ٢٠٠٠ هيئة الصحفيين الحرة.

١٢- دعوة موسسات ومنظمات حقوق الإنسان، ولجنة حقوق الإنسان الدولية الإطلاع على الأوضاع المعيشية لكُرد محافظة كركوك في المجمعات وأماكن تواجدهم بعد طردهم من المدينة، من النواحي الإقتصادية والصحية وحتى إنقطاع الأواصر الإجتماعية بين هذه العوائل وإنتشارهم في المناطق البعيدة والمختلفة، وهذا ما يناقض المباديء العامة للإعلان العالمي لحقوق الإنسان على المستوى الدولي، وأن يجعل من هذه المعاناة شواهد حية على إنقطاع شمل الكثير من العوائل المرحلة من كركوك، بهدف حل مشكلة أهلها، وإنهاء عملية التعريب، وتغيير الواقع القومي للمحافظة.

النتيجة

١- مشكلة كركوك، مشكلة قومية صرفة، فقد بُدِيء بتغيير السّمة القومية الكُردية لمدينة كركوك منذ تأسيس الدولة العراقية في حزيران عام ١٩٢١.

٢- قبل أن تبدأ الدولة العراقية بتهجير الكُرد من مدينة كركوك، قامت بإسكان العشائر العربية في منطقة الحويجة عام ١٩٣٧.

٣- محاولة تعريب محافظة كركوك نُفذت في البداية بشكل هاديء، لكن في حزيران من العام ١٩٦٣ ونيسان عام ١٩٧٤، وربيع عام ١٩٨٧، وعام ١٩٨٨ بدأت بشكل عنيف.

٥- أنشأت الدولة العشرات من الأحياء والقرى والمجمعات السكنية لعرب الجنوب والوسط في كركوك وحواليها، وقامت بتغيير الأسماء والتراث والثقافة الكُردية رسمياً فيها.

٦- إتباع مختلف الأشكال لعملية تعريب كركوك وتطبيقها.

٧- إعتبار مناطق شوان، قره حسن، قرى ناحية پردي (آلتون كوپري)، قادر كرم، جباري، وقرى منطقة دوبز (دبس) في محافظة كركوك مناطق عسكرية، وتمّ تحريم الوجود الكُردي في هذه المناطق وأي فرد كُردي يلقى القبض عليه في هذه المناطق مصيره الموت أو الأنفال.

٨- يتم تطبيق القوانين الخاصة في محافظة كركوك دوماً بسبب الوجود الكُردي فيها على العكس من المحافظات العراقية الأخرى.

٩- تنوي الحكومة العراقية قطع الشعب الكُردي عن أرضه شيئاً فشيئاً وفق مختلف القرارات،

وإبعاده عنها.

١٠- إتبعت الحكومة العراقية دوماً سياسة إثارة الفتن بين الكُرد والتركمان في كركوك، ولم يستفد أحد من هذه السياسة غيرها هي.

١١- عدد القرى والقصبات التي هدمتها الدولة في محافظة كركوك بلغ (٧٧٩) قرية وقصبة تم هدمها في عام ١٩٨٧، وهدمت مناطقها مجدداً عام ١٩٨٨ أثناء عمليات الأنفال السيئة الصيت، عدا قرى قضاء داقوق حيث تم تعريبها وتسجيل السكان عرباً قسراً وإعتبار المنطقة منطقة عسكرية.

١٢-لم يجر عمل شيء حتى الآن، فمسألة كركوك تتعقد بشكل أكثر وأكثر، لذا على الأوساط الكُردية العمل لها كتلة واحدة وصوتاً واحداً وفق برنامج منظم، وإتباع مختلف السبل لعرض وإثارة المسألة.

١٤- لاتتعامل الدولة في كركوك مع الكُردي كمواطن أو إنسان اعتيادي، فالباقين في المحافظة ينتظرهم مصير مجهول.

جدول رقم (١)

عدد سكان لواء كركوك حسب القوميات في عام ١٩٢٢ - ١٩٢٤ وفق تقرير عصبة الأمم

القوميات	النسبة
الكُردية	٤٢,٥
العربية	٣١,٩
التركمان	٢٣,٤
أخرى	٢,٢
المجموع	١٠٠

الجدول يبين حقيقة أن الكُرد يشكلون في لواء كركوك نسبة ٤٣٪ من مجموع السكان، والعرب أقل من ٣٢٪ والتركمان فقط ٢٣٪، هذا وتلاعبت الدول بهذا الجدول.

جدول رقم (٢)

جدول خاص حسب نسب السكان وفق اللغة الأم في لواء كركوك حسب الإحصاء العام لسنة ١٩٥٧

لغة الأم	مدينة كركوك	لواء كركوك	المجموع الكلي للواء كركوك
العرب	٢٧١٢٧	٨٢٤٩٣	١٠٩٦٢٠
الكُرد	٤٠٠٤٧	١٤٧٥٤٦	١٨٧٥٩٣
الترك	٤٥٣٠٦	٣٨٠٦٥	٨٣٣٧١
الكلدان والسريان	١٥٠٩	٩٦	١٦٠٠٥

جدول رقم (٣)

القومية	الأحصاء العام لسنة ١٩٥٧	الأحصاء العام لسنة ١٩٧٧
الكُرد	٪٤٨,٣	٪٣٧,٥٢
العرب	٪٣٨,٢	٪٤٤,٤١
التركمان	٪٣١,٤	٪١٦,٣١

التكيف الإجتماعي لمرحّلي مدينة كركوك

دراسة ميدانية في مدينة كركوك

عبدالحميد برزنجي
وطاهر حسو زيباري

مقدمة

بالرغم من أن ظاهرة الهجرة قديمة في تاريخ الإنسان، إلاّ أنّ المحاولات لتطوير نظرية خاصة بالهجرة لم تحقق تقدماً ملموساً، وينظر معظم العلماء في ميادين العلوم الإجتماعية الى الهجرة على أنها مشكلة ديموغرافية، إقتصادية، سياسية، وإجتماعية، وأخيراً نفسية. حيث أن المهاجر يدخل في عملية إتخاذ قرار قبل أن يتحرك فعلاً وتلعب شخصيته وثقافته دوراً في التفاعل مع المجتمعات الجديدة، إذ يهتم علماء الإجتماع بدراسة عملية الهجرة من حيث تأثيرها على العلاقات الإجتماعية للمهاجر، وكذلك بدراسة الإختلافات والفروق في النظم الإجتماعية والثقافية بين المجتمعات المصدرة والمجتمعات المستقبِله[1].

وبصدد مسألة تكيف المهاجرين في المدينة، فقد حظيت بإهتمام علماء الإجتماع الحديث وبصورة رئيسة من أعضاء مدرسة شيكاغو الحضرية وفي مقدمتهم (روبرت پارك، وآرنست برجي ولويس ويرث). حيث يرى هؤلاء الباحثون أنه إذا كان التركيب الإجتماعي للمهاجرين مماثلاً بين المجتمع المصدر والمجتمع المستقبِل، فإن حدة التكيّف الإجتماعي تقل. وإذا كانت ثَمّةَ دراسات تناولت الهجرة من الريف الى المدن الكُردية، فيما يتعلق بخصائصهم والأسباب الكامنة وراء هجرتهم، فإن الدراسات التي تناولت تكيف المهاجرين تُعَدّ قليلة أو يفتقر إليها المجتمع الكُردي، ولاسيما في مجال الهجرة الحضرية الداخلية، وهي ظاهرة حديثة نسبياً، حيث بدأت الحكومة العراقية بالتهجير القسري للمدن الكُردية، وتعريبها وطمس الهوية الكُردية فيها كمدينة كركوك وغيرها، مما ترك آثاراً سلبية على نفسية المهجّر أو المرحّل.

وبما أن المجتمع الكُردي في كُردستان العراق يمرّ بمرحلة التنمية والتحديث منذ تشكيل الحكومة

(١) الدكتور عبدالله أبو عياش، والدكتور إسحق يعقوب القطب، الإتجاهات المعاصرة في الدراسات الحضرية، وكالة المطبوعات، ط١ الكويت ١٩٨٠، ص٢٠٤.

الكُردية في الإقليم عام ١٩٩٢، فإن موضوع التكيّف يعتبر ذو أهمية خاصة في المرحلة الإنتقالية، إيماناً من الباحثَين ان الانسان هو جوهر التنمية والتحديث في المجتمع وأن المجتمعات التي ليس بوسعها تطوير رأسمالها البشري لن تستيطيع تحقيق شيء من التقدم.

وفي الواقع أن العيش في بيئة حضرية بما لها من مقومات إقتصادية وإجتماعية وثقافية يودي الى الى تحديث الأفراد بتغيير قيمهم وإتجاهاتهم وأنماط سلوكهم، لأن تغيير القيم والأفكار شرط جوهري في عملية التنمية. هذا ويدور البحث حول المباحث التالية:

١- أبعاد البحث

١-١- مشكلة البحث وأهميتها

يعد موضوع تكيّف المهاجرين في المدينة من الموضوعات الهامة في جميع مجالات العلوم الإجتماعية بصفة عامة، والإجتماع بصفة خاصة، وقد حظي هذا الموضوع بإهتمام عدد من الباحثين من إتجاهات مختلفة سواء من الناحية الثقافية أو النواحي الإجتماعية والسياسية والإقتصادية أو النفسية، وإن كانت ثمة دراسات تناولت المهاجرين الى المدن وخصائصهم وأسباب هجرتهم، فإن الدراسات التي عالجت تكيّف هؤلاء تعد شحيحة في منطقة الشرق الأوسط.

وفي الواقع أن ظاهرة تكيّف المهاجرين في مدن اقليم كُردستان العراق لم يجر بعد دراستها دراسة وافية ومستفيضة من قبل الباحثين الإجتماعيين أو غيرهم من المتخصصين في الاقليم. لذلك فإن إختيار هذه المشكلة (مشكلة التكيّف الإجتماعي لمرحلي مدينة كركوك)، لم يأتِ عن طريق الصدفة أو الإختيار العشوائي من وجهة نظر الباحث، إنما كان إختياراً واقعياً لعدة أسباب منها:

١- كونها تمثل مشكلة هامة بالنسبة للسياسة العامة لحكومة الاقليم.

٢- لعل مدينة أربيل - عاصمة الإقليم - تعد من أهم مدن الإقليم حالياً من النواحي السكانية والإقتصادية والسياسية والثقافية، ما كان سبباً في تدفق المهاجرين من المدن الكُردية الأخرى سواءً عن طريق الهجرة القسرية أو الطوعية.

٣- حظي موضوع الهجرة والمهاجرين كموضوع للبحث بإهتمام كبير من قبل عدد من الباحثين. إلاّ أن أغلب الدراسات كان مركّزة على جوانب معينة كالهجرة من الريف الى المدن، أي أنها تهتم بالهجرة الداخلية. أما هذه الدراسة فتعالج نوعاً آخر من أنواع الهجرة الداخلية، وهي الهجرة المدنية القسرية (الهجرة من مدينة الى مدينة أخرى) حيث أنها ترتبط بعوامل سياسية أكثر من العوامل الإقتصادية والإجتماعية وغيرها.

٤- تعتبر هذه الدراسة الأولى من نوعها في كُردستان في مجال التكيف الإجتماعي للمهاجرين، الى جانب كونها نقطة إنطلاق للباحثين المتخصصين نحو المزيد من الأبحاث النظرية والتطبيقية لدراسة الهجرة بأنواعها في المجتمع الكُردي أولاً. وثانياً هي محاولة رائدة لدراسة فئة من المواطنين المهاجرين من مدينة كركوك، لتقوم بتشخيص المشكلات التي تعانيها تلك الفئة... ووضع نتائج

الدراسة التي تم التوصل إليها أمام المسؤولين في الإقليم لوضع الخطط الكفيلة بمواجهة هذه المشاكل التي تعترض سبيل هؤلاء وتكون سبباً في عدم تكيّفهم أو عودتهم الى موطنهم الأصلي.

٥- ومن الأسباب أيضاً رصد نمط تكيّف المرحّلين من مدينة كركوك، ومعرفة اتجاهاتهم فيما يخص بعض القضايا الإجتماعية والسياسية والثقافية التي لها علاقة مباشرة بالتكييف الإجتماعي في البيئة المدنيّة.

٦- أهمية ظاهرة الهجرة، فهي ظاهرة عالمية يكاد لايخلو منها أي مجتمع إنساني.

٧- كما يمكن أن تتعدى فائدة هذه الدراسة نطاق مجتمع موضوع البحث (مدينة أربيل) لتشمل بقية مرحّلي مدينة كركوك على مستوى مدن الاقليم، وتبرز في هذا الجانب أهمية مشكلة موضوع البحث في جانبها الكمّي.

٨- إن البحث مساهمة في إثراء البحث العلمي في مجال علم الإجتماع الحضري.

١-٢ أهداف البحث

يسعى البحث لتحقيق عدة أهداف منها:

١- معرفة الآثار والنتائج المترتبة على ترحيل المواطنين من مدينة كركوك.

٢- معرفة العوامل المرتبطة بتكيّف المرحلين مع مظاهر الحياة الجديدة.

٣- محاولة دراسة أبعاد المشكلة لتطوير حلول ترتكز على نتائج البحث العلمي. الأمر الذي يمكننا من معرفة الوسائل التي يمكن عن طريقها تحسين الظروف المعيشية للمرحلين، وتسهيل إندماجهم الإجتماعي.

٢- تحديد مفاهيم البحث

٢-١- مفهوم التكيف الإجتماعي Social Adjustment

تعتبر عملية التكيّف الإجتماعي من العمليات الديناميكية، لأن المجتمع كما يقول (ماكيفر) دائم التغيير، فإذا ما إستقرت أوضاعه في بعض الأحيان من قبيل المصادفة فسرعان ما يصيبه شيء من الإضطراب وتعود اليه حالة عدم التوازن، ولهذا فإن الإنسان في نظر (ماكيفر) في حاجة دائمة الى تكييف سلوكي مع المجتمع وبإستمرار[٢].

ويقصد بمصطلح التكيّف أيضاً، تلك العملية التي يحقق الفرد من خلالها حالة من الإنسجام والإتفاق والإتزان في سلوكياته وعلاقاته بأصدقائه وأفراد أسرته وبيئته المحلية ومجتمعه الكبير يُشبع

(٢) ر. م ماكيفر وتشارلزبيج، المجتمع، ترجمة د. علي أحمد عيسى، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ج١ القاهرة ١٩٦١، ص١٦٢ - ١٦٤.

من خلالها حاجاته ورغباته مع تقبل ما يفرضه المجتمع عليه من مطالب وإلتزامات، وما يرتضيه لنفسه من قيم ومعايير[٣].

والتكيّف مصطلح من مصطلحات علم الأحياء أيضاً يُقصد به تغيير يصيب الكائن الحي يتماشى مع بيئته الطبيعية والمادية، وقد نُقل المصطلح الى العلوم الإنسانية، ففي علم النفس يقصد به التغيير الحاصل في نمط سلوك الفرد الذي يظهر في محاولة التوافق مع الموقف الجديد. أما في علم الإجتماع، فيقصد به تعديل السلوك وفقاً لشروط التنظم الإجتماعي وتقاليد الجماعة والثقافة[٤].

ومن خلال التعاريف السالفة الذكر يمكننا إستنباط تعريف معقول لمصطلح التكيف في هذه الدراسة، وهي عملية قبول المهاجر لمواقف جديدة وتعلّمها ويتمثل ذلك في مظهرين هما الثقافي والبنياني. وبهذا الصدد يتبنى الباحث تحديد (چوردن) لأنه يفضل تحليلاً بينهما. فالتكيف الثقافي عبارة عن عملية تبني النظم الثقافية بما فيها من سلوك وقيم ومواقف سائدة في المدينة[٥].

يتضح مما سبق أن عملية التكيف لا تتم إلاّ إذا تمكن المهاجر من تحقيق بُعدين أساسيين هما البعد البنياني والبعد الثقافي.

٢-٢ مفهوم المرحّل

يُقصد بالمرحّل في هذه الدراسة كل شخص كُردي هاجر من مدينة كركوك وإستقر في مدينة أربيل، سواء أكانت هذه الهجرة بطريقة قسرية أو طوعية.

٣- مدخل نظري لدراسة الهجرة والتكيف الإجتماعي للمهاجرين في المدينة.

حظي موضوع تكيّف المهاجرين في المدينة بإهتمام علماء الإجتماع بصورة عامة وعلم الإجتماع الحضري بصورة خاصة، ويعتبر كل من (روبرت بارك) و(أرنست برجس) من أوائل العلماء الذين إهتموا بظاهرة التكيف، ومساهمتهما تتمثل في تحديدهما لظاهرة التكيّف بالآتي:

> «إنها عملية إختراق وإندماج، يكتسب خلالها الأفراد والمجموعات ذاكرات ومشاعر ومواقف من مجموعات وأشخاص آخرين، وذلك بمقاسمتهم تجاربهم وتاريخهم ليندمجوا معهم في حياة ثقافية مشتركة»[٦].

وقد تعددت المداخل النظرية التي تناولت ظاهرة تكيّف المهاجرين في المدينة، وتعددت الدراسات الإجتماعية المتعلقة بالمتغيرات المستقلة التي تؤثر فيها، إلاّ أن أغلب التحديدات والدراسات تركز على جانبين هما[٧]:

(٣) د. ماجدة كمال علام، طريقة العمل مع الجماعات، مدخل للتكيف - التنمية - التقويم والإشراف - المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ١٩٩٠، ص١٤.
(٤) د. عبدالقادر القصير، الهجرة من الريف الى المدن، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٩٢، ص٢٣٤.
(٥) ياسين على كبير، المهاجرون في طرابلس - دراسة حالة التماثل، ط١، معهد الإنماء العربي بيروت ١٩٨٢ ص١٠٩.
(٦) المصدر نفسه، ص١٥.
(٧) عبدالجليل قريرة الحسناوي، إنماط التكيف الإجتماعي للعائدين من المجهر بمدينة سبها، ط١، منشورات كلية الآداب والتربية بجامعة سبها، ليبيا ١٩٩٤، ص٢١.

١- الجانب الثقافي

٢- الجانب البنياني

والملاحظ أن التغييرات النظرية التي طورت فيما يتعلق بتكيّف المهاجرين قد تمت في المجتمع الأمريكي مثل النظرية الوصفية وأنماطها التحليلية من قبل (ريگنسيتين) ١٨٨٥م وآخرين، والنظرية الإقتصادية من قبل العالم (بوجوي) ١٩٥٩، والنظرية الإجتماعية من قبل (روسي) ١٩٢٢، والنظرية المركبة من قبل كل من (ليسلي) وريتشارد سون ١٩٦١[٨].

وبالرغم من أن الأنماط أو النظريات المطروحة أعلاه، حاولت تبين الحقائق بإستعمال طريقة المسح في جميع البيانات المتعلقة بخبرات ودوافع المهاجر، ولكن يبدو أن هذه النظريات فشلت في الوصول الى فهم الحقائق المتعلقة بالموضوع. ولايمكن فهم ومعرفة أبعاد وأسباب ظاهرة الهجرة عن طريق الأخذ بنظريات أو نماذج تحليل مجزّاة، فهي لاتستطيع الوصول بنا الى الحقائق العلمية الموضوعية.

لذا كان على الباحث الموضوعي أن يلتزم بمنهجية الإستقصاء الشامل والمتكامل للظروف الخاصة بالتحولات الإقتصادية والإجتماعية والثقافية والسياسية... الخ على مستوى المجتمعات البشرية. فثمة إختلافات في الجوانب الثقافية والإجتماعية والسياسية والإقتصادية، وهو أمر تجب علينا مراعاته. ومن هنا تبرز أهمية الإهتمام بنتائج الدراسات الميدانية التي أجريت في منطقة الشرق الأوسط عن تكيّف المهاجرين في مجتمعات عربية مماثلة للمجتمع الكُردي، أو في الدول النامية الأخرى التي تشابه ظروفها الإقتصادية والإجتماعية والسياسية الى حدّ كبير ظروف مجتمعنا.

وبالنسبة لمدى تكيّف مرحلي مدينة كركوك في مدية أربيل، فان تكيفهم تقل حدته، لأن التركيب الإجتماعي والإقتصادي للمجتمع المصدِر (كركوك) مماثلٌ الى حد ما مع التركيب الإجتماعي والإقتصادي للمجتمع المُستقبِل (أربيل)، ونجد أن هناك تفاوتاً بين التركيب الإجتماعي للمجتمعات الريفية ومجتمعات المدن الكبيرة، ويقل التفاوت في مجتمعات المدن المتوسطة والصغيرة، أي أن التكيف الإجتماعي للمهاجرين من القرى يكون أسرع في حالة إستقرارهم في المدن الصغيرة والمتوسطة.

وتشير بعض الدراسات التي تناولت موضوع قياس مدى تكيّف المرحّلين في المدينة الى ثلاثة مؤشرات رئيسية هي:[٩]

١-التثقيف (Acculturation): أي قدرة المهاجرين على القيام بأدوار جديدة وفق معطيات المجتمع الجديد، وإكتساب عادات وقيم المجتمع والتطبع بها.

٢- التواؤم الشخصي (Personal Adaotion): إذ أن تواؤم الفرد مع النمط المعيشي الحضري يقلل

(٨) لمزيد من التفصيل حول هذه النظريات أنظر: د. صالح علي الزين. ود: زينب محمد زهري، قضايا في علم الإجتماع والانثرويولوجيا. وأنظر، نظرية وأسس منهجية وتطبيقية، ط١، منشورات جامعة قاريونس - بنغاري ١٩٩٦، ص٤٩-٧١.

(٩) د. عبدالله أبو عباس ود وإسحق القطب، المصدر السابق ص٢٠٤ - ٢٠٥.

من إحتمالات وقوعه في المشاكل الإجتماعية كالإقبال على الإنتحار والجريمة والإصابة بالأمراض النفسية.

٣- عدم تمركز المرحّلين في قطاع واحد من القطاعات الإقتصادية أو السياسية أو الإجتماعية في مجتمع المدينة، إذ أن هذا التمركز يتناسب تناسباً عكسياً مع التكيف، حيث يلتف المرحّلون حول أنفسهم وتقل فرص الإندماج مع غير بني جنسهم أو دينهم أو جماعتهم.

والواقع أن هذه المؤشرات طُبقت على النهاجرين من المجتمعات الريفية الى المجتمعات الحضرية، إلاّ أنها قريبة الشبه مع مجتمع الدراسة لوجود التماثل الى حد ما بين المجتمع المصدِر (كركوك)، والمجتمع المستقبِل (أربيل) من ناحية التركيب الإجتماعي.

من الدراسات الرائدة في مجال تكيّف المهاجرين دراسة الدكتور ياسين علي الكبير عن تكيّف المهاجرين بمدينة طرابلس الغرب بليبيا، والدراسة قريبة من موضوع دراستنا، واُجريت عام ١٩٧٣. وقد توصل الباحث في تلك الدراسة الى وجود تباين بين المبحوثين في تمثُّل الثقافة الحضرية. كما بينت نتائج الدراسة وجود علاقة إيجابية بين السنّ والتكيّف من خلال متوسط درجات المهاجرين على مقياس التكيّف لأربع فئات وفق مراحل السن المختلفة من الأدنى الى الأعلى على التوالي (٤، ٩٦، ٥٢، ٠٢، ٧، ٩٧، ٨)[١٠]. كما بينت الدراسة علاقة التعليم بالتكيّف، فالحاصلين على مؤهلات علمية عليا من المهاجرين ذوي درجة تكيف أعلى مع الحياة الحضرية من ذوي المؤهلات العلمية الدنيا[١١].

أما بشأن نوع العمل ومستواه، فإن نتائج الدراسة تدل على أن هناك علاقة إيجابية بين نوع عمل المهاجر ودرجة تكيفه، فقد بينت النتائج أن متوسط درجات تكيّف المهاجرين حسب طبيعة العمل، بناءً على التصنيف المهني الذي حُلّلت بموجبه بيانات الدراسة فيما يتعلق بهذا المتغير كانت على النحو التالي:

الموظفون ١١,٥٣، المنتجون المهرة ١١,٣٣، المنتجون نصف المهرة ٦,٧٣، المنتجون غير المهرة ٥,٦٩[١٢].

أما بخصوص متغير مدة الإقامة بالمدينة فتتضح علاقته بالتكيف على إعتبار أن التمثل والتكيّف مع الحياة الحضرية يتطلب فترة زمنية قد تطول أو تقصر[١٣]. وبناء على هذا التصور النظري الذي قدمناه، فإننا سنحاول إختبار الفروض التالية:

١- من المحتمل وجود علاقة بين التعليم والتكيّف، فكلما كان مستوى التعليم بين المهاجرين عالياً، كلما زاد تكيفهم، وبالعكس.

٢- توقع وجود علاقة بين تكيّف المهاجرين وطول إقامتهم في المدينة المستقبِلة.

(١٠) ياسين علي الكبير المصدر السابق، ص١٤٧.
(١١) المصدر نفسه، ص١١٤.
(١٢) عبدالجليل قريرة الحسناوي، المصدر السابق، ص٢٥.
(١٣) ياسين علي الكبير، المصدر السابق، ص٢٥.

٣- من المحتمل وجود علاقة بين السن والتكيّف، حيث يبدو صغار السن ذوي درجات تكيف أعلى من كبار السن.
٤- نتوقع وجود علاقة بين نوع العمل والتكيّف، فأصحاب المهن العليا أكثر تكيّفاً من أصحاب المهن الدنيا والعاطلين عن العمل.
٥- يؤدي رضا المهاجرين عن الظروف الإقتصادية والإجتماعية الى إرتفاع مستوى تكيّفهم .
٦- إن العامل السياسي هو أهم العوامل المحركة لهجرة سكان مدينة كركوك الى مدينة أربيل.

الإجراءات المنهجية للبحث

أولاً - مجتمع البحث والعَيّنة

لما كان من المتعذر علينا، بل من المستحيل القيام بالبحث على جميع المرحّلين من سكان مركز مدينة كركوك الى مركز مدينة أربيل، فقد إضطررنا الى أخذ البيانات التي تهم موضوع بحثنا من عينة تمثل المرحّلين تمثيلاً صحيحاً. وإنسجاماً مع موضوع البحث فقد وقع الإختيار على العينة العشوائية البسيطة من بين أنواع العينات لدراسة مجتمع البحث، وهذه العيّنة تضمن لجميع وحدات مجتمع البحث فرصاً متساوية في الإختيار(١٤).

ومجتمع البحث يتكون من سكان مركز مدينة كركوك المرحّلين الى مدينة أربيل، وتم إختيار (١٠٠) عيّنه من مجتمع البحث، وقام الباحثان بتوزيع إستمارات الإستبيان على مراجعي بناية محافظة كركوك في مدينة أربيل، وأخذ بعض العينات من المرحّلين المتواجدين في بعض أحياء مركز مدينة أربيل (حي آزادي، ومحلة ٩٢، وحي زانكو).

ثانياً - أداة البحث

الأداة التي إستُخدمت في هذه الدراسة التي وجد أنها أنسب أدوات البحث لتحقيق هدفها هي (إستمارة الإستبيان)، وهي نموذج يضم مجموعة من الأسئلة التي توجه للأفراد أثناء المقابلة بعد الحصول على بيانات معينة. وكانت الإستمارة تحتوي على (٢٣) سؤالاً، والأسئلة متناسقة فيما بينها لتؤدي الغرض الذي وضعت من أجله... بعد عملية جمع البيانات ميدانياً، تمت عملية مراجعة الإستمارات للتأكد من صحة الأجوبة، وبعدها تم تفريغ البيانات بالأسلوب اليدوي، ثم جرى تحليلها.

ثالثاً - منهج البحث

المنهج Method هو الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته للظاهرة أو للمشكلة بغية إكتشاف

(١٤) د. عبدالباسط محمد حسن، (أصول البحث الإجتماعي ط٣ المكتبة الإنكلو- مصرية، القاهرة ١٩٩١، ص٢٦٦.

الحقيقة[١٥]. وفي دراسة التكيّف الإجتماعي لمرحّلي مدينة كركوك إستخدمنا منهج الدراسة الإستطلاعية أو الكشفية للتعرف على المتغيرات الموثرة في الظاهرة. وتهدف البحوث الكشفية الى التعرف على ظاهرة معينة بإكتشاف معارف وأفكار جديدة بطريقة تساعد على تحديد مشكلة بحثية متبعة، ووضع أو إستخلاص بعض الفروض بصورة يسهل إختيارها[١٦]. أي أن هذا النوع من البحوث ينير لنا الطريق للتعرف على أهم الفروض التي ينبغي أن توضع موضع البحث والتجربة في بحوث تالية أو في المستقبل.

رابعاً - مجالات البحث

إشتملت الدراسة على (١٠٠) عيّنة من مرحّلي مدينة كركوك القاطنين في مركز مدينة أربيل، وعليه فقد حددنا مجالات البحث على النحو التالي:

١- المجال البشري

شمل المجال البشري للبحث سكان مركز مدينة كركوك فقط من المرحّلين الى مدينة أربيل (هجرة قسرية أوطوعية) فإستبعد البحث المرحّلين من محافظة كركوك لكون البحث يتعلق بالهجرة الحضرية الداخلية.

٢- المجال المكاني (الجغرافي)

يحدد المجال المكاني للبحث بناية محافظة كركوك في مدينة أربيل، وبعض أحياء المدينة كحي آزادي، ومحلة ٩٢، وحي زانكو.

٣- المجال الزماني

الفترة الزمنية التي إستغرقها البحث الميداني كانت من ٢٠٠٠/٧/٢٠ لغاية ٢٠٠٠/٩/٥.

خامساً - الوسائل الاحصائية

إستخدم البحث مقياس الوسط الحسابي في تحليل بيانات البحث، وهو عبارة عن جمع كل القيم ثم قسمة مجموع هذه القيم على عدد أفراد العيّنة، ويمكن الإعتماد عليها في إيجاد القيمة المتوسطة للبيانات المتوفرة لدينا.

(١٥) د. احمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجة، وكالة المطبوعات، ط٢ ١٩٧٥، ص٣٣.
(١٦) د. غريب محمد سيد أحمد، تصميم وتنفيذ البحث الإجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية ١٩٨٩، ص٤٠.

جدول رقم (١) يوضح جنس المبحوثين

الجنس	العدد	النسبة ٪
ذكر	٥٩	٥٩
أنثى	٤١	٤١
المجموع	١٠٠	١٠٠

جدول رقم (٢) العلاقة بين متغير السن ومستوى التكيّف

العمر / مدى الإنسجام	٢٠-٢٩		٣٠-٣٩		٤٠-٤٩		٥٠-٥٩		٦٠-٦٩		المجموع	
	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪
راضٍ عن الإقامة	٨	٤٧,٠٥	١٠	٤١,٦٦	١٢	٤٦,١٥	٦	٣١,٥٧	٤	٢٨,٥٧	٤٠	٤٠
راضٍ الى حد ما	٥	٢٩,٤١	٨	٣٣,٣٣	٧	٢٦,١٥	٤	٢١,٠٥	٢	١٤,٢٨	٢٦	٢٦
غير راضٍ	٤	٢٣,٥٢	٦	٢٥	٧	٢٦,٩٢	٩	٤٧,٣٦	٨	٥٧,١٥	٣٤	٣٤
المجموع	١٧	١٠٠	٢٤	١٠٠	٢٦	١٠٠	١٩	١٠٠	١٤	١٠٠	١٠٠	١٠٠

جدول رقم (٣) يوضح حجم العائلة

حجم العائلة	العدد	النسبة
٢-٤	٢٤	٢٤
٥-٧	٤١	٤١
٨-١٠	٣٣	٣٣
١١-١٣	٢	٢
المجموع	١٠٠	١٠٠

جدول رقم (٤) يوضح العلاقة بين التعليم ومستوى التكيّف

مدى الإنسجام / مستوى التعليم	راضٍ عن الإقامة		راضٍ الى حد ما		غير راضٍ		المجموع	
	العدد	النسبة ٪	العدد	النسبة ٪	العدد	النسبة ٪	العدد	النسبة ٪
أمي	٤	٢٣,٥	٣	١٧,٦	١٠	٥٨,٩	١٧	١٧
يقرأ ويكتب	٣	٢٣,٥	٤	٣٠,٨	٦	٤٦,٢	١٣	١٣
إبتدائي	٨	٤٠,٠	٦	٣٠,٠	٦	٣٠,٠	٢٠	٢٠
متوسطة	٨	٤٤,٤	٤	٢٢,٢	٦	٣٣,٣	١٨	١٨
ثانوي	٣	٥٠	٢	٣٣,٣	١	١٦,٤	٦	٦
معهد	٥	٥٥,٦	٣	٣٣,٣	١	١١,١	٩	٩
جامعي فما فوق	٩	٥٣	٤	٢٣,٥	٤	٢٣,٥	١٧	١٧
المجموع	٤٠	٤٠٪	٢٦	٢٦٪	٣٤	٣٤٪	١٠٠	١٠٠٪

سادساً- عرض وتحليل النتائج

أظهرت الدراسة النتائج التالية:

تشير بيانات الجدول رقم (١) الى أن (٤٧,١٪) من صغار السن كانوا من ذوي درجات تكيّف مرتفع، وأن (٢٩,٤٪) تكيّفهم متوسط، وأن (٢٣,٥٪) تكيفهم منخفض أو غير راض عن الإقامة. فكلما تقدمت السن قلَّ التكيّف، إذ إنخفضت نسبة التكيّف لدى كبار السن (٦٠-٦٩) سنة الى (٦-٢٨٪) من ذوي التكيف المرتفع و(١٤,٣٪) تكيفهم متوسط و(٥٧,١٪) تكيفهم منخفض. وهذه النتيجة تساعدنا على برهنة الفرضية القائلة بإحتمال وجود علاقة بين السن والتكيّف، حيث يظهر أن درجة تكيّف صغار السن أعلى من كبار السن، وان متوسط أعمار المرحّلين يبلغ ٤٣,٤ سنة*. وهذا يعني أن مستوى تكيّف المرحّلين متوسط... إذ أثبتت الدراسات أن الأفراد في سن العشرين والثلاثين يهاجرون في العادة أكثر من الفئات العمرية الأخرى، لأنهم يكونون قادرين على تحمل أعباء السفر ومشقات التكيّف للأوضاع الجديدة التي يهاجرون إليها[١٧].

نستنتج من هذه البيانات أن الغالبية من المبحوثين يقعون ضمن الفئة الفعالة إقتصادياً في المجتمع مما يشكل عبئاً أو كاهلاً على حكومة الاقليم وأجهزة الإدارة المحلية في مدينة أربيل من حيث تقديم الخدمات الضرورية وتوفير فرص العمل لهم.

وبصدد جنس المبحوثين، تشير بيانات الجدول رقم ٢ الى أن ٥٩٪ من المرحّلين كانوا ذكوراً، وأن

(١٧) د. عبدالله أبو عياش، وإسحق القطب، المصدر السابق، ص ٢٠٦.

٤١٪ من الإناث.

ظهر من جدول رقم ٣ أن ٢٤٪ من الأسر تقع ضمن الأسر التي يتراوح عدد أفرادها ما بين (٢-٤) أفراد، وأن ٤١٪ منها يتراوح عدد أفرادها بين (٥-٧) أفراد، بينما ٣٥٪ منها يتراوح عدد أفرادها بين ٨-١٢ فرداً.

بلغ مجموع أفراد عينة البحث (٥٦٠) شخصاً من مجموع الأُسر التي خضعت للبحث الميداني، وبلغ متوسط عدد أفراد الأسرة الواحدة (٥,٦) أشخاص وبالتالي يقع حجم أسرة العينه ضمن الأسر متوسطة الحجم، وهي نسبة قريبة من حجم الأسرة الكبيرة. وقد يعزى إرتفاع حجم الأسر بين مرحّلي مدينة كركوك الى إرتفاع خصوبتها من ناحية والحفاظ على الجنس الكُردي في مدينة كركوك مقابل الجنس العربي من ناحية أخرى. ويبدو أن العامل النفسي أثّر على نفسية المرحّلين في المدينة نتيجة التعريب أو الترحيل القسري، وبالتالي الحفاظ على هويتهم الكُردية في كركوك.

ويوضح الجدول رقم (٤) المستوى التعليمي للمرحّلين، حيث يتبين لنا من الجدول في الصفحة السابقة وجود علاقة بين متغير التعليم ومستوى التكيف، إذ تشير البيانات الى إنخفاض مستوى التكيف لدى ذوي المؤهلات العلمية الدنيا بنسبة ٤٦,٢٪، و ١٧,٦٪ مستواهم متوسط، و٢٣,٥٪ مستوى التكيف لديهم مرتفع. هذا بينما يشكل إرتفاع مستوى التكيف لدى ذوي المؤهلات العلمية العليا بنسبة ٥٣٪ و٢٣,٥٪ مستواهم متوسط، و ٢٣,٥٪ مستواهم منخفض. وهذه النتيجة تساعدنا على برهنة فرضية البحث القائلة بأنه كلما إزداد مستوى التعليم إرتفع مستوى التكيف وبالعكس.

إن التعليم يمثل دوراً مهماً في عملية التكيف الإجتماعي، فَذوي المؤهلات العلمية من المهاجرين يتكيفون بشكل أقوى وأعمق مع الحياة الحضرية الجديدة. وتشير الدراسات الإجتماعية الى وجود إرتباط أو علاقة بين متغير مستوى التعليم والتكيف. فكلما كان مستوى التعليم أعلى يكون التكيف أفضل لدى المهاجرين في المدينة وبالعكس، بسبب وجود علاقة بين التعليم ورضا المرحّلين عن الظروف الإقتصادية والإجتماعية. إذ تقل فرص العمل في المدينة أو تتضاءل أمام ذوي المؤهلات العلمية الدنيا، وقد لايندمجون مع البيئة الجديدة. فالتعليم أحد مؤشرات الفقر، لأن الركود الإقتصادي للفرد هو أحد أسباب الفقر[١٨].

ونستخلص من نتيجة التحليل حول علاقة متغير التعليم بمستوى التكيف أن (١٧٪) من أفراد العيّنه (المرحّلين) هم أميون، ونسبة ٥٨,٩٪ مستوى التكيف منخفض لديهم، وهي نسبة ليست بالقليلة، وهذا يعني أن المرحّلين لم يندمجوا مع الحياة الحضرية الجديدة بصورة عالية. وبصدد الفرضية القائلة بإحتمال وجود علاقة بين متغير مدة الإقامة في المدينة المستقبِله وتكيّف المرحّلين، يوضح لنا الجدول رقم (٥) هذه العلاقة.

تشير بيانات الجدول رقم (٥) الى المدة التي قضاها المرحّل في مدينة أربيل ومدى تكيفه في

(١٨)عبدالرزاق فارس، الحكومة والفقراء - من يستفيد من الإتفاق العام، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٢٥، س٢٠، ت٢ نوفمبر ١٩٩٧، ص٣٣.

جدول رقم (٥) يبين العلاقة بين متغير مدة الإقامة ومستوى التكيّف

مدة الإقامة / مدى الإنسجام	١–٥		٦–١٠		١١–١٥		١٦–٢٠		٢١–٢٥		المجموع	
	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪
راض	٩	٢٤,٣	١٢	٣٩,٧	٧	٣٨,٩	٦	٨٥,٧	٦	٨٥,٧	٤٠	٤٠
راض لحد ما	١٣	٣٥,١	٩	٢٩	٣	١٦,٧	١	١٤,٣	—	—	٢٦	٢٦
غير راض	١٥	٤٠,٥	١٠	٣٢,٣	٨	٤٤,٤	—	—	١	١٤,٣	٣٤	٣٤
المجموع	٣٧	١٠٠	٣١	١٠٠	١٨	١٠٠	٧	١٠٠	١٨	١٠٠	١٠٠	١٠٠

المدينة، حيث ظهر أنّ نسبة ٣٧٪ من المهاجرين قد مضى على قدومهم الى المدينة بين ١–٥ سنوات. وأن ٤٥,٥٪ غير راضين عن الإقامة، أي مستوى تكيفهم منخفض وهي نسبة عالية. وأن ٣٥,١٪ منهم مستوى تكيّفهم متوسط. وأن ٢٤,٣٪ من المرحّلين راضين بالإقامة، أي مستوى تكيفهم مرتفع. وأن نسبة ٧٪ تراوحت مدة إقامتهم في المدينة بين ٢١ – ٣٠ سنة، وأن ٨٥,٧٪ من المرحّلين راضون عن الإقامة، وبذلك يكون مستوى تكيفهم مرتفعاً، وأن ١٤,٣٪ غير راضين عن الإقامة وهي نسبة قليلة جداً، ويبلغ متوسط مدة إقامة المرحّلين في مدينة أربيل ٨,٩٧ سنوات.

نستخلص من هذه البيانات أن غالبية المرحّلين لم تتكيف مع ظروف بيئة الحياة الجديدة، وذلك بسبب قصر إقامتهم. وهذا لايتفق مع فرضية البحث ومع الدراسات الأخرى عن التكيف الإجتماعي، إذ بينت دراسات الهجرة كدراسات (الكبير) عن وجود علاقة بين متغير مدة الإقامة والتكيّف على إعتبار أن التمثل والتكيّف مع الحياة الحضرية يتطلب مدة زمنية قد تطول أو تقصر[١٩].

تشير بيانات الجدول رقم (٦) إلى الأسباب التي أدت الى هجرة الكُرد من مدينة كركوك الى أربيل،

جدول رقم (٦) يبين أسباب الهجرة الى مدينة أربيل

الأسباب	العدد	٪
الترحيل من قبل الحكومة	٦٦	٦٦
توفر فرص العمل في المدينة	٢٢	٢٢
الإلتحاق بالعائلة والأقارب	٠٥	٠٥
أسباب أخرى	٠٧	٠٧
المجموع	١٠٠	١٠٠

(١٩) د. ياسين الكبير، المصدر السابق، ص ١١٤.

حيث ظهر أن نسبة ٦٦٪ من المرحّلين يعود سبب هجرتهم الى الترحيل القسري من قبل الحكومة المركزية في بغداد، وذلك لتعريب المدينة وطمس هويتها الكُردية. وهذا يعني أن الغالبية العظمى من المرحّلين جاؤوا الى أربيل بدون رغبتهم وقسراً، ولذلك لايندمجون بصورة جيدة مع المجتمع المستقبل، ويرغبون بالعودة الى موطنهم الأصلي، أنظر الجدول رقم (١). بينما جاءت نسبة ٢٢٪ من المرحّلين بسبب وجود توفر فرص العمل في مدينة أربيل، و٥٪ منهم جاؤوا للإلتحاق بالعائلة والأقارب، و٧٪ يعزى جاؤوا لأسباب أخرى (سياسية) كإنتمائهم الى حرب كُردي معين في موطنه.

نستخلص من نتيجة التحليل أن الأسباب التي دفعت بالكُرد من أهالي مدينة كركوك بالهجرة الى مدينة أربيل هي أسباب سياسية بالدرجة الأولى وإقتصادية بالدرجة الثانية، وبتعبير آخر يبدو أن العامل السياسي من أهم العوامل المحركة للهجرة الى مدينة أربيل، عكس الدراسات الإجتماعية والحضرية عن الهجرة التي تؤكد على العامل الإقتصادي بالدرجة الأولى.

وبصدد مَن يود المرحّل أن يكون جاره في المدينة المستقبِلة، يوضح الجدول رقم (٧) ذلك:

جدول رقم (٧) عمن يريد المرحّل أن يكون جاره

المتغيرات	العدد	النسبة
أحد الأقارب	٢٦	٢٦
أحد الأصدقاء	٢٤	٢٤
لا فرق	٤٦	٤٦
لا أعرف	٠٤	٠٤
المجموع	١٠٠	١٠٠٪

يوضح الجدول رقم (٧) من يود المرحّل أن يكون جاره في المدينة، إذْ ظهر بأن ٤٦٪ من المرحّلين لايفرقون بين الجار سواء أكان من سكنة مدينة أربيل أو مدينته الأصلية (كركوك)، وهذا يعني أن المحوثين يتفاوتون فيما بينهم حينما يؤكدون وجود رغبة في أن يكون الجار من أحد الأصدقاء أو الأقارب وبنسبة ٥٠٪ من المرحّلين. وهذا يدل على عدم إندماجهم في المجتمع المستقبِل من ناحية، وإستمرار الصلة أو العلاقات بين المرحّلين وأقاربهم من ناحية أخرى.

وبصدد فيما إذا كان ثمة إختلاف بين بيئة المرحّل وبيئة المدينة المستقبلة يوضح الجدول رقم (٨) ذلك. حيث تشير بيانات الجدول رقم (٨) الى وجود تفاوت بين بيئة المرحّل وبيئة المدينة المستقبِلة (أربيل)، إذ قالت نسبة ٤٨,١٪ بوجود تفاوت في العادات والتقاليد، ونسبة ٣٣,٦٪ تشير الى سوء معاملة الناس في المدينة مع المرحّلين، ونسبة ١٢٪ ترى أن زينة أو جمال مدينة المرحّل تختلف عما هي عليه في المدينة المستقبِلة.

وبصدد قيام المرحّل بزيارات الى موطنه الأصلي، فالجدول رقم (٩) يوضح ذلك. حيث يتبين لنا من

جدول رقم (٨) يبين الإختلاف بين بيئة المرحّل الأصلية وبيئة المدينة المستقبِلة

المتغيرات	العدد	النسبة
العادات والتقاليد	٦٣	٤٢,١
معاملة الناس بينهم ومعك	٤٤	٣٣,٦
زينة أو جمال المدينة	١٧	١٢,٩
وسائل الراحة	٠٦	٠٤,٦
أمور أخرى	٠١	٠٠,٩
المجموع	١٣١	١٠٠٪

جدول رقم (٩) يبين زيارات المرحّل الى موطنه الأصلي

المتغيرات	العدد	النسبة
نعم	٣٦	٣٦
لا	٤٤	٤٤
أحياناً	٢٠	٢٠
المجموع	١٠٠	١٠٠٪

جدول رقم (١٠) يبين مدى الرغبة لدى المهاجرين في العودة الى الموطن الأصلي

المتغيرات	العدد	النسبة
نعم	٨١	٧١
لا	١١	١١
أحياناً	٠٨	١٨
المجموع	١٠٠	١٠٠٪

الجدول أعلاه أن المرحّل يقوم بإستمرار بزيارات الى موطنه الأصلي وبنسبة ٣٦٪، وهي نسبة ليست بقليلة. وهذا يعني وجود الرغبة والإتصال المستمر مع الموطن دون إنقطاعه رغم الظروف الصعبة التي يمرّ بها المرحّلون. فيما لايستطيع ٤٤٪ منهم القيام بزيارات الى موطنهم الأصلي رغم وجود الرغبة الشديدة للعودة الى مدينته. ونستخلص من التحليل انه ما دام المرحّل يروم العودة أو يقوم بزيارات الى موطنه بإستمرار أو أحياناً فإنه لايستطيع أن يتأقلَمَ أو يتكيف مع الظروف الجديدة رغم وجود إفتراض بأنه كلما مكث المرحّل فترة طويلة في موقعه الجديد كلما تمكن من التكيف مع حياة البيئة الجديدة.

وبصدد فيما إذا كان ثمة رغبة للمرحّل بالعودة الى موطنه الأصلي، فالجدول رقم (١٠) يوضح ذلك.

يتضح لنا من الجدول (١٠) وجود رغبة قوية للمرحّلين للعودة الى موطنه الأصلي، إذ نرى ٨١٪

منهم يرغبونب العودة الى مدينة كركوك، ما يعني أن الغالبية العظمى منهم تود العودة الى الموطن الأصلي. إلاّ أن آمالهم لاتتحقق بسبب عدم مقدرة بعضهم على العودة لإنتمائهم الى التنظيمات الحزبية في المدينة المستقبلِة أولاً، وثانياً لتوفر فرص العمل فيها، وثالثاً لتكيُّف بعضهم مع الظروف السياسية والإجتماعية والإقتصادية في مدينة أربيل.

وعما إذا كانت هناك ثمة مشاكل تواجه المرحّلين في مدينة أربيل، فالجدول رقم (١١) يوضح ذلك:

يتضح لنا من الجدول رقم (١١) أن ٧٨٪ من المرحّلين واجهتهم مشاكل أثناء إقامتهم في المدينة المستقبلِة، بينما لم تواجه ٢٢٪ من المبحوثين.

جدول رقم (١١) عما إذا كانت هناك مشاكل تواجه المرحلين في أربيل

المتغيرات	العدد	النسبة
نعم	٧٨	٧٨
لا	٢٢	٢٢
المجموع	١٠٠	٪١٠٠

جدول رقم (١٢) عن المشاكل التي تواجه المرحلين أثناء إقامتهم في أربيل

المتغيرات	العدد	النسبة
مشاكل عمل	١٥	١١,٩
مشاكل إجتماعية	١٣	١٠,٣
مشاكل سكن	٦١	٤٨,٤
مشاكل سياسية	١٨	١٤,٢
مشاكل معيشية	١٩	١٥
مشاكل أخرى	-	-
المجموع	١٢٦	٪١٠٠

وتفسير ذلك أنهم واجهتهم مشاكل في المدينة المستقبلِه أثناء الإقامة، وخاصة مشكلة السكن، أنظر الجدول رقم (١٢) حيث تعاني مدينة أربيل من أزمة سكن بسبب التهجير القسري والطوعي إليها من مناطق كُردستان الأخرى وكذلك لإرتفاع الخصوبة السكانية، والحصار المزدوج على كُردستان من قبل الأمم المتحدة والعراق في آن واحد.

تشير بيانات الجدول رقم (١٢) الى نوع المشاكل التي تواجه مرحلي مدينة كركوك في مدينة أربيل، حيث ظهر أن ٤٨,٤٪ منهم لديهم مشاكل سكن، ثم من لديه مشاكل ظروف المعيشة ونسبتهم ١٥٪، ثم ذوي المشاكل السياسية ونسبتهم ١٤,٢٪. وهكذا نستخلص بالنتيجة أن للمهاجرين مشاكل عديدة

تواجههم في المدينة المستضيفة. وعند إختيار الفرضية القائلة بأن رضا المهاجر عن الظروف الإقتصادية والإجتماعية يؤدي الى إرتفاع تكيفه، فإنها لاتنطبق مع واقع تحليل البحث من جهة، ومع الدراسات الإجتماعية والإقتصادية من جهة أخرى.

وعن نوعية العمل الذي قام بها المرحّلون قبل وبعد الترحيل، يوضح لنا الجدول رقم (١٣) وكالآتي:

لجدول (١٣) أعلاه يوضح نوع العمل الذي يمارسه المرحّل قبل وبعد ترحيله، حيث ظهر أن ٢٣٪ من المرحّلين كانوا موظفين قبل مجيئهم الى مدينة أربيل وإرتفع عددهم الى ٣٩٪ بعد الترحيل، ما يعني أن البطالة كانت متفشية بين المرحّلين في موطنهم، ووفرت حكومة الإقليم لهم فرصاً عديدة للعمل والتغيير حيث أثّر على رفع مستواهم المعيشي والتكيف مع المجتمع الجديد، و٣٣٪ منهم كانوا يعملون سابقاً في مهن حرة، بينما إنخفض عددهم بعد الهجرة الى ٢٤٪. كما إرتفعت نسبة المرحّلين

جدول رقم (١١) عما إذا كانت هناك مشاكل تواجه المهاجرين في أربيل

نوع العمل	العمل الحالي	نوع العمل	نوع العمل	نوع العمل
موظف	٣٩	٣٩	٢٣	٢٣
عامل	٠٧	٠٧	٠٧	٠٧
پيشمرگه	١٥	١٥	٠٨	٠٨
كاسب	٢٤	٢٤	٣٣	٣٣
عاطل	٠٣	٠٣	١٦	١٦
عمل آخر	١٢	١٢	١٣	١٣
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠٪

المنخرطين في صفوف الپيشمرگه من ٨٪ الى ١٥٪ خلال فترة الدراسة، فيما إنخفضت نسبة العاطلين عن العمل بعد الترحيل من ١٦٪ الى ٣٪.

نستنتج مما تقدم أنه بالرغم من وجود علاقة طردية بين درجة تكيّف المرحّل ونوع عمله من جهة وتحسن ظروف عمله نسبياً بعد الهجرة، إلا أن إختيار هذه الفرضية قد لايتفق بعض الشيء مع مجتمع البحث. ويعزى ذلك الى نوعية المشاكل التي يعانيها المرحّل أثناء الإقامة. أنظر الجدولين (١١ و١٢) من ناحية، وعدم كفاية دخله من ناحية أخرى أنظر الجدول رقم (١٤). وثالثاً: رغبة المرحّل بالعودة الى موطنه بأية وسيلة كانت أنظر الجدول رقم (١٠)، وهذا يعني أن تكيّف المرحّل نسبي بينما

تؤكد الدراسات الإجتماعية والحضرية عن التكيف الإجتماعي أنه كلما إرتفع المركز الوظيفي للمرحّل كلما إزداد تكيفه وتمثله للثقافة الحضرية المستقبِله نظراً لإتساع دائرة إتصالاته وتفاعله مع أبناء المدينة بحكم موقعه الوظيفي وما ينعكس على شخصيته من مكانه إجتماعية وإقتصادية وإدارية[٢٠].

ويوضح الجدول رقم (١٤) مدى كفاية دخل المهاجر:

يتضح لنا من الجدول رقم (١٤) أن مصاريف الدخل لمرحّلي مدينة كركوك غير كافية لسد متطلبات الحياة الحضرية المعاصرة، حيث ظهر ذكر ٥٠٪ منهم ذلك بينما قال ٢٨٪ منهم أن دخلهم كافٍ الى حد ما و٢٢٪ ذكروا بأن دخلهم كافٍ تماماً، وهي نسبة قليلة مقارنة بالنسب الأخرى.

جدول رقم (١٤) يبين مدى كفاية دخل المهاجر

كفاية الدخل	العدد	النسبة
كافٍ	٢٢	٢٢
كافٍ الى حد ما	٢٨	٢٨
غير كاف	٥٠	٥٠
المجموع	١٠٠	٪١٠٠

نستنتج مما تقدم بأن إنخفاض الدخل أو عدم كفايته يرجع بالدرجة الأولى الى أن غالبية المرحّلين يعتمدون على الراتب بنسبة ٦١٪، أنظر الجدول رقم (١٣) وراتب الموظف محدود لايكفي لسد متطلبات المعيشة في المدينة. وهذا يعني أن المرحّلين قد لايتأقلمون مع ظروف وطبيعة المدينة مادام هناك شعور بعدم الرضا من الظروف الإقتصادية والمعيشية. أما ما يتعلق بمصادر الدخل، فالجدول رقم (١٥) أدناه يوضح ذلك:

تشير بيانات الجدول رقم (١٥) الى أن مصادر دخل المرحّلين حيث ظهر أن مصدر دخل ٦١٪

جدول رقم (١٥) يبين مصادر دخل المهاجرين

مصادر الدخل	العدد	النسبة
راتب شهري	٦١	٦١
مساعدة من منظمة إنسانية	–	–
مساعدة من حزب معين	٠٨	٠٨
مساعدة من الأقارب	١١	١١
مصدر آخر	٢٠	٢٠
المجموع	١٠٠	٪١٠٠

(٢٠) د. عبدالجليل قريرة الحسناوي، المصدر السابق، ص ٢٦.

منهم يأتي من الراتب الشهري، ومصدر دخل ٢٠٪ منهم من مصادر أخرى كالعمل الحر. بينما يتألف مصدر دخل ١١٪ منهم من مساعدة الأقارب، و٨٪ منهم من مساعدة يتلقونها من أحزاب وطنية.

والواقع أن جماعات الأقرباء والجيرة والأصدقاء يؤدون دوراً مهماً في مساعدة المهاجر على التكيّف مع الحياة الحضرية في المدينة المستقبِله، وخاصة في بداية إستقرارهم.

وعن تقديم المساعدة والعون للمهاجر عند وصوله الى أربيل فإن لدينا الجدول رقم (١٦):

الجدول رقم (١٦) تقديم المعونة والمساعدات للمهاجر لدى وصوله الى أربيل

الجهة المانحة للمساعدة	نعم	النسبة	لا	النسبة
أهالي المدينة	–	–	–	–
جهة حكومية	١٥	٤٦,٩	–	–
الأقاري والأصدقاء	١٢	٣٧,٥	–	–
منظمات إنسانية	٥	١٥,٦	–	–
جهة أخرى	–	–	–	–
المجموع	–	–	–	–

يتضح لنا من الجدول رقم (١٦) حول مساعدة المهاجر عند وصوله لأول مرة الى أربيل وجهة المساعدة لهم، بأن ٦٢٪ من المبحوثين أجابوا بعدم تلقيهم لأي مساعدة، بينما أجاب ٣٢٪ منهم بالإيجاب. وظهر أن ٤٦,٩٪ من العينة قد تلقوا مساعدة من حكومة الإقليم و٣٧,٥٪ منهم أجابوا بان المساعدة جاءت من الأقارب والأصدقاء، وأن ١٥,٦٪ أجابوا بأن المساعدة قُدمت لهم قبل منظمات إنسانية. ونستخلص من هذه البيانات بأن تقديم المساعدة والعون أمر ضروري للمهاجر عند وصوله لأول مرة الى مدينة ليتمكن من التكيف نسبياً، ويحصل على عمل ما ويبدأ بالإستقرار. ومن الملاحظ أن مجموعات الأقارب تلعب دوراً ملحوظاً في مساعدة المهاجر على التكيف مع البيئة الجديدة.

وتشير نتائج الدراسات التي أجريت على المهاجرين في الدول النامية عامة والدول العربية الى الدور الذي تلعبه مجموعات الأقارب في تكيف المهاجرين. فقد أوضحت دراسة د. محمود عودة عن الهجرة الى مدينة القاهرة، أن الأغلبية من عينة الدراسة أظهرت أنهم وجدوا التسهيلات عند نزولهم بالقاهرة وطبيعة التسهيلات هي إقتصادية أولاً وإجتماعية ثانياً[٢١]. كما أن جماعات القرابة الكُردية

(٢١) د. محمود عوده: الهجرة الى مدينة القاهرة، دوافعها إنماطها وآثارها الإجتماعية، القاهرة يناير ١٩٧٤، نقلاً من عبدالجليل الحسناوي، المصدر السابق.

في الخارج تقوم بتقديم التسهيلات الضرورية للمهاجر الكُردي، إذ تعمل على تمكين الأقرباء والأصدقاء المهاجرين من إيجاد العمل والإستقرار خاصة في بداية الوصول الى المدينة الجديدة. وتتفق نتائج بحثنا مع نتائج الدراسات السابقة حول الدور الذي تلعبه جماعات القرابة في تكيّف المهاجرين، حيث أن نسبة ٣٧,٥٪ من مجتمع البحث الذين تلقوا المساعدة من الأقارب نسبة ليست بالقليلة. يوضح لجدول رقم (١٧) الأماكن التي يقضي فيها المرحَّلون أوقات فراغهم، حيث ظهر بأن (١٢,١٪) من عينة البحث يقضون أوقات فراغهم في المسجد، و ٢٠,١٪ يقضونها في زيارة الأقارب

والجدول رقم (١٧) عن كيفية قضاء المرحّلين لأوقاتهم

قضاء أوقات الفراغ	العدد	النسبة
بالمسجد	١٨	١٢,١
زيارة الأقارب	٣٠	٢٠,١
مع الأصدقاء	٣٥	٢٣,٤
مع الأهل	٥١	٣٤,٢
في الأندية والمراكز الثقافية	١٠	٠٦,٧
أماكن أخرى	٠٥	٠٣,٥
المجموع	١٤٩	١٠٠

و ٢٣,٤٪ منهم في الجلوس مع الأصدقاء و٣٢,٢٪ في الجلوس مع الأهل وهي أعلى نسبة، وهذا يعني أن هناك نقص في وجود أماكن الراحة في المدينة ليقضي المرحَّل فيها أوقات فراغه، أو أن وضعه المعيشي والإقتصادي لايسمح له بمغادرة المنزل والجلوس في الأماكن العامة والحدائق والمتنزهات.

والجدول رقم (١٨) في الصفحة التالية هو عن البرامج التي تثير إهتمام المهاجر في الستلايت أو التلفاز: ويتضح لنا من الجدول المذكور أن أن ٢٤,٢٪ من المهاجرين يتابعون البرامج والأخبار الوطنية، و٢٧,٥٪ منهم يتابعون الأخبار العالمية، و٢٢,٢٪ يهتمون ببرامج الأخبار العالمية، ثم الأخبار والبرامج الوطنية، حيث يسود الإقليم الإستقرار ومظاهر إعادة أعمار الوطن والبناء مواكبة لروح العصر.

ومن الدراسات التي أوضحت دور وسائل الأعلام في تحديث الأفراد، البحث الذي قام به العالم الأمريكي (الكس أنكلز Angles) لبلدان العالم الثالث في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية. فقد كشفت تلك الدراسة عن وجود علاقة إيجابية بين متغيّرَي التعرض لوسائل الإتصال وتحديث الأفراد، ذلك أن

جدول رقم (١٨) البرامج التي تثير إهتمام المرحّلين في
الستلايت والتلفاز

نوع البرامج	العدد	النسبة ٪
برامج وأخبار وطنية	٣٧	٢٤,٢
برامج وأخبار عالمية	٤٢	٢٧,٥
أخبار إقليمية	٠٧	٠٤,٥
برامج رياضية	١٣	٠٨,٥
برامج دينية	٣٥	٢٢,٩
برامج فنية	١٩	١٢,٤
برامج أخرى	–	–
المجموع	١٥٣	٪١٠٠

الزيادة في التعرض لوسائل الإعلام تؤدي الى زيادة في التمركز السكاني والتعليم والإرتقاء في السلم المهني(٢٢).

٦- النتائج العامة للبحث

إن الغرض الأساسي من هذه الدراسة هو معرفة مدى تكيّف المهاجرين [هجرة طوعية وقسرية] من أهالي مدينة كركوك والقاطنين في مدينة أربيل (عاصمة إقليم كُردستان – العراق)، وبعد تحليل نتائج البحث، توصلنا الى النتائج الآتية:

١- تنص الفرضية الأولى على أن (من المحتمل وجود علاقة بين التعليم والتكيّف، فكلما كان مستوى التعليم بين المهاجرين عالياً، كلما زاد تكفيهم وبالعكس).

ومن دراسة النتائج تتضح عدم صحة الفرضية، إذ ثبت من البحث الميداني أن (٦١٧) فرداً من العيّنة (المهاجرين) هم أميون شكلوا نسبة ٥٨,٩٪ ومستوى التكيف لديهم منخفض، بينما بلغت نسبة التعليم العالي ١٧٪، ونسبة ٢٣,٤٪ مستوى تكيفهم منخفض. وهي نسبة ليست بقليلة – وهذا يعني أن المهاجرين لم يندمجوا مع الحياة الحضرية الجديدة، أي أن نتائج البحث جاءت عكس الدراسات الإجتماعية الأخرى، التي تؤكد على المؤهلات العلمية العليا.

(٢٢) عبدالله الهمالي وعبدالقادر عرابي، التغيير الإجتماعي- أسسه وتطبقاته، ط١، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والأعلام، طرابلس ١٩٨٤، ص ١٠٥.

٢- تقول الفرضية الثانية (نتوقع وجود علاقة بين تكيّف المهاجرين وطول إقامتهم في المدينة المستقبِلة).

وقد تبين من دراسة النتائج عدم صحة الفرضية، إذ ثبت من البحث الميداني أن متوسط إقامة المهاجر في مدينة أربيل بلغ (٩) سنوات، وأن نسبة ٣٧٪ من أفراد العيّنة بلغت مدة إقامتهم فيها بين ١-٥ سنوات، وهي فترة طويلة مقارنة بمدة الإقامة. ويعزى عدم التكيف الى عدم رضا المهاجر عن الظروف الإقتصادية والإجتماعية والسياسية في المدينة المستقبِلة، رغم وجود التماثل بين بيئة المهاجر المصدرة والبيئة المستقبلة من حيث اللغة واللباس والعادات وغيرها من عناصر التكيّف الإجتماعي.

٣- تنص الفرضية الثالثة على أن من المحتمل وجود علاقة بين السنّ والتكيف، حيث يُظهر صغار السن درجة تكيّف أعلى من كبار السن. وقد تحققت صحة هذا الفرضية في حدود النتيجة الآتية:

بلغ متوسط أعمار المهاجرين ٤٣,٤ سنة، وهذا يعني أن مستوى تكيّفهم متوسط، ومن الطبيعي أنّ يكون لعامل العمر أثر قوي في تمثل الثقافة الحضرية والتكيّف معها.

٤- تقول الفرضية الرابعة (نتوقع وجود علاقة بين نوع العمل والتكيف، فأصحاب المهن العليا أكثر تكيفاً من أصحاب المهن الدنيا والعاطلين عن العمل).

ولكن من دراسة النتائج تتضح عدم صحة هذه الفرضية الى حدّ ما. إذ ثبت من البحث الميداني أن ٣٩٪ من المهاجرين هم موظفون ونسبة دخل هؤلاء محدودة الى حد ما، حيث يعاني المهاجرون من عدم كفاية الدخل بنسبة ٥٠٪ من أفراد العيّنة زد على ذلك المشاكل التي يعاني منها المهاجر، وخاصة مشكلة السكن وبنسبة ٤٨٪ من نوع المشاكل.

٥- تقول الفرضية الخامسة (يؤدي رضا المهاجر عن الظروف الإقتصادية والإجتماعية الى إرتفاع مستوى تكيّفه).

وعند إختيار هذه الفرضية، فإن نتائج البحث لاتنطبق مع واقع الفرضية، حيث يعاني أغلب المهاجرين من مشاكل عديدة في المدينة المستقبِلة (أنظر الجدول رقم ١٢)، فـ ٥٠٪ من المهاجرين دخلهم غير كاف لسدّ متطلبات الحياة الجديدة، و٨١٪ منهم يرغبون بالعودة الى موطنهم الأصلي كركوك، وهذا يعني عدم تكيّفهم بشكل جيد مع بيئة المدينة الجديدة رغم توفير حكومة الإقليم لمتطلبات الظروف المعيشية لهم الى حدّ ما. وذلك بإصرارهم على العودة الى موطنهم الأصلي.

٦- تنص الفرضية السادسة الى أن (العامل السياسي هو أهم العوامل المحرِّكة لهجرة سكان كركوك الى مدينة أربيل). ولقد تحققت صحة هذه الفرضية بحدود النتيجة التالية:

إن نسبة ٦٦٪ من المهاجرين كان سبب هجرتهم الى مدينة أربيل هو الترحيل القسري من قبل الحكومة المركزية في بغداد وهي أسباب سياسية، وهذه النتيجة هي عكس الدراسات الإجتماعية والحضرية عن الهجرة والتي تؤكد على العامل الإقتصادي بالدرجة الأولى.

وفي إطار جدوى هذا البحث، وإنطلاقاً من نتائجه، يمكننا التوصل الى التوصيات التالية:

١- ضرورة إقامة مركز للدراسات الإجتماعية في جامعة صلاح الدين، هدفه دراسة الآثار والنتائج المرتبة على ترحيل الكُرد من قبل الحكومة المركزية في بغداد، زد على ذلك دراسة الهجرة من الريف الى المدن لخلق حالة من التوازن السكاني في الإقليم.

٢- تشجيع إجراء المزيد من الأبحاث الميدانية والندوات والحلقات الدراسية عن المرحلين على مستوى كُردستان ومن كافة الجوانب.

٣- من الضروري إرسال نتائج البحوث الميدانية للمرحلين أو المهاجرين الى منظمات الأمم المتحدة والجهات المختصة ذات العلاقة لدراسة النتائج والآثار المترتبة على الهجرة، وحثهم على محاولة عودة المهجرّين الى موطنهم، ومحاولة إيقاف ظاهرة الترحيل من المدن الكُردية غير المحررة الى كُردستان.

٤- ضرورة إهتمام وسائل الإعلام المرئية وغير المرئية في الإقليم بأوضاع المرحّلين حتى يتمكنوا من الإندماج في المجتمع والمساهمة في حل المشكلات التي يعانون منها.

٥- ضرورة توفير مستلزمات العيش للمهاجرين من كافة النواحي في بداية إستقرارهم في المدينة.

جامعة صلاح الدين/ أربيل

كلية الآداب

قسم الإجتماع

إستمارة الإستبيان حول البحث الموسوم: التكيف الإجتماعي لمهاجري مدينة كركوك

دراسة ميدانية في مدينة أربيل

الباحث: عبدالحميد علي سعيد / كلية الآداب

الباحث: طاهر حسو الزيباري / كلية الآداب

ملاحظات حول ملء الإستمارة:

١- إن المعلومات الواردة في الإستمارة سرية ولاتستخدم إلا للأغراض العلمية فقط.

٢- يرجى الإجابة بصراحة على أسئلة الإستمارة لما فيه خير المجتمع والعلم، وحتى لاتضيع الجهود المبذولة في هذا البحث هدراً.

٣- ضع علامة (×) أمام العبارة التي تراها مناسبة.

١- العمر: ( )

٢- الجنس: ذكر ( ) أنثى ( )

٣- عدد أفراد العائلة: ذكور ( ) أناث ( ).

٤- المستوى التعليمي: أمي ( ) يقرأ ويكتب ( ) إبتدائي ( ) متوسطة ( ) ثانوي

( ) معهد ( ) جامعي فما فوق ( ).

٥- كم مضى على قدومك الى المدينة؟

من ١-٥ سنوات ( ) من ٦-١٠ سنوات ( ) من ١١-١٥ سنة ( ) من ١٦-٢٠ سنة ( ) من ٢١ سنة فأكثر ( ).

٦- ما أسباب هجرتك الى المدينة؟

الترحيل من قبل الحكومة ( ) توفر فرص العمل في المدينة ( ) الإلتحاق بالعائلة أو الأقارب ( ) أسباب أخرى تذكر ( ).

٧- هل أنت راض عن إقامتك في المدينة؟

راضي ( ) راضي الى حد ما ( ) غير راضي ( ).

٨- من تفضل أن يكون جاراً لك؟ أحد الأقرباء ( ) لا فرق ( ) لا أعرف ( ).

٩- هل بيئة المدينة تختلف عن بيئتك من حيث؟

العادات والتقاليد ( ) معاملة الناس مع بعضهم أو معك ( ) زينة أو جمال المدينة ( ) وسائل الراحة ( ) أمور أخرى تذكر ( ).

١٠- هل تقوم بزيارات الى موطنك الأصلي؟ نعم ( ) لا ( ) أحيانا ( ).

١١- هل لديك رغبة في العودة الى موطنك الأصلي؟ نعم ( ) لا ( ) لا أدري ( ).

١٢- هل واجهتك مشاكل أثناء إقامتك في المدينة؟ نعم ( ) لا ( ).

١٣- في حالة الإجابة بـ(نعم) فما نوع المشاكل التي واجهتك؟ مشاكل عمل ( ) مشاكل إجتماعية ( ) مشاكل سكن ( ) مشاكل سياسة ( ) مشاكل معيشية ( ) مشاكل أخرى تذكر ( ).

١٤- عند وصولك الى أربيل لأول مرة هل قدمت لك أية مساعدات نقدية أو عينية؟

نعم ( ) لا ( ).

١٥- في حالة الإجابة بـ(نعم) فما هي الجهة التي قدمت المساعدات؟

أهالي المدينة ( ) جهة حكومية ( ) منظمات إنسانية ( ) الأقارب والأصدقاء ( ) جهة أخرى تذكر ( ).

١٦- هل تشتغل في الوقت الحاضر؟ نعم ( ) لا ( ).

١٧- ما نوع العمل الذي كنت تزاوله قبل عملك الحالي؟

موظف ( ) عامل ( ) پيشمرگه ( ) كاسب ( ) عاطل ( ) عمل آخر تذكر ( ).

١٩- هل يكفي الدخل لمصاريف الأسرة؟

كاف ( ) كاف الي حد ما ( ) غير كاف ( ).

٢٠- ما هي مصادر هذا الدخل؟

راتب شهري ( ) مساعدة من منظمة إنسانية ( ) مساعدة من حزب معين ( ) مساعدة من الأقارب ( ) مصدر آخر تذكر ( ).

٢١- أين تقضي أوقات فراغك؟

بالمسجد ( ) زيارة الأقارب ( ) الجلوس مع الأصدقاء ( ) الجلوس مع الأهل ( ) التردد على الأندية والمراكز الثقافية ( ) أماكن أخري تذكر ( ).

٢٢- ما هي البرامج التي تثير إهتمامك أكثر من غيره في التلفزيون أو الستلايت؟

أخبار وطنية ( ) أخبار عالمية ( ) أخبار إقليمية ( ) أخبار رياضية ( ) برامج دينية ( ) برامج فنية ( ) برامج أخرى تذكر ( ).

شكراً على تعاونكم

منطقة كركوك في العصر العباسي

قادر محمد اشكبني
كلية الآداب/ جامعة صلاح الدين

مقدمة

هذا البحث محاولة لإظهار صورة تاريخية عن منطقة كركوك في العهود الإسلامية، بدءً بالفتوحات الإسلامية للمنطقة حسب المعلومات المتوفرة، والتطرق الى المراحل التاريخية للترابط السياسي لمنطقة كركوك؛ حتى مجيء المغول وإحتلال بغداد وسقوط الخلافة العباسية عام ٦٥٦هـ=١٢٥٨م، إذ أننا بسبب قلة المصادر التاريخية لدينا أكدنا بشكل أكثر على العصر العباسي.

فهذا الموضوع يلقي الضوء على المعلومات التاريخية المدونة في المصادر التاريخية حول منطقة كركوك، للتوصل الى نتيجة تعكس الثقل التاريخي للشعب الكُردي ومركزه في منطقة كركوك، في عصر لم يكن إسم كركوك قد عُرف أو إشتُهر، وكانت للمنطقة أسماء أخرى عديدة. إن أهمية هذا البحث تكمن في انه يمكن أن يكون سابقةً في مجال المتابعة التاريخية للمنطقة في القرون الوسطى، عندما كانت كركوك مدينة في دور التشكيل والتكوين.

لقد شهد الوضع الديموغرافي للمنطقة تحولات بارزة، وأهمية بحث كهذا تظهر أكثر عندما تكون البحوث الأكاديمية الخاصة في هذا المجال شحيحة؛ بل يحق القول أن أي عمل من هذا القبيل في الوقت الحاضر هو في حد ذاته خطوة بداية وباكورة محاولات وجهود، لأن جُلَّ ما ورد عن كركوك أو الكتابات والآراء المخصصة لهذه المنطقة أما أنها تشير الى تاريخ المنطقة القديم، أو الى التاريخ الحديث والمعاصر لها. وبين الأمرين أهمل التاريخ الوسيط لمنطقة كركوك، وهذا ما حفَّزَنا لكتابة هذا البحث في فرصة كهذه.

أولاً- الأسم التاريخي والموقع الجغرافي

إن العصر الذي تتناوله هذه الدراسة، عبارة عن عصر إزدحمت فيه وتوسعت عدد من المدن والمناطق، أصبحت أسماؤها الآن أثراً بعد عين، وكثير من الأماكن لم تكن لها شهرة تُذكر في تلك العهود غَدَت حالياً معروفة وعامرة بالسكان، وهذه كظاهرة تدخل في خانة الزمكانية المتجسدة لهذا التحوّل.

إن كركوك لم تشتهر بين المدن عصرئذ كمدينة، بل أن المنطقة التي وقعت فيها مدينة كركوك الحالية عُرفت هي والمناطق المجاورة لها بأسماء عديدة أخرى، وكان أشهر المدن في منطقة كركوك وقتئذ، مدينة دقوقا (داقوق)* حيث دُونت حولها في المصادر بعض المعلومات التاريخية.

ومعظم الإقليم الذي يضم حالياً محافظة كركوك، عُرف آنذاك مع قسم من المناطق المحيطة به بـ(كورة باجرمي)[١] إو (كورة باجرمق)[٢]، كلمة الكورة وردت في ذلك العهد بمعنى منطقة عامرة واسعة أو مدينة[٣].

ولو تأملناها بعناية فانها حسب المفاهيم الجغرافية والإدارية الحالية تقابل الإقليم أو المحافظة[٤]. ويظهر أن لفظة (باجرمي) أو (باجرمق) أطلقت على منطقة شاسعة شكلت منطقة كركوك قسماً منها. وحدد (إبن خرداذبة) ثلاثة مناطق منها بأسماء (خونيا سابور، دقوقا، خاينجار)[٥]، ويبدو أنها كانت متاخمة للموصل[٦]، وحسب عالم المدن (إبن الفقيه) فإن جبل شعران (جبل قنديل)، كان يبدو من (باجرمي) وكأنه جبل ظليل مكسوّ بالثلج شتاءً وصيفاً، وما أن تترك دقوقا حتى تتراءى لك قمة قنديل[٧]، وعلى هذا تكون حدود (باجرمي) الشمالية قد إمتدت حتى منطقة پشدر، وضمت حدودها من الجنوب مناطق واسط وتكريت، ومن الشرق إقليم شهرزور.

وفي كثير من المصادر وردت كلمة باجرمي لإستخدامها في الحديث حول هذا الإقليم خلال بداية مجيء الدين الإسلامي الحنيف الى المنطقة حتى حوالي القرن الرابع الهجري = العاشر الميلادي، أما بعد هذا التاريخ فلاحقاً فقد بدأت تظهر أسماء مدن أخرى في المنطقة، منها قصبة (كرخ جدان) الواقعة بين خانقين وشهرزور، وكانت تشكل حداً فاصلاً بين ولاية العراق وإقليم شهرزور[٨]، ويبدو أنها كانت تقع في أقصى شرق منطقة كركوك على الحدود العراقية الإيرانية الحالية، وإشتهرت في القرنين السادس والسابع الهجري = الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين.

كما ورد في المصادر إسم (كرخيني)، وأطلق على قلعة واقعة في وادٍ بين دقوقا وأربل (هَولير)،

* دقوقا = داقوق: من الناحية الجغرافية كانت عهود بداية الدعوة الإسلامية تابعة لإقليم الجزيرة، وكانت لفترة مركزاً للخوارج في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، وعرفت بـ(طاووق) أيضاً. على أحمد دهمذا: لغت نامة، زير نظر: محمد محين وسيد جعفر شهيدي طهران: ١٣٧٧هـ.ش، جـ٧، ص ١٠٩٥٨.

(١) البلاذري: فتوح البلدان، تحقيق صلاح الدين المنجد، (القاهرة ١٩٥٧) ق٢، ص٣٢٥، الطبري: تاريخ الأمم والملوك تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت د.ت) ج٢، ص ٥٨، ج٩، ص ١٧٦.

(٢) إبن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، (ليدن: ١٣٠٢هـ)، ص ١٢٩؛ إبن عبدالحق: مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، (القاهرة: ١٩٥٤)، ج١، ص ١٤٧.

(٣) محمد معين: فرهنگ فارسي، (طهران: ١٣٧٦هـ.ش)، ج٣، ص ٣١١٩، ٣١٢١.

(٤) حسام الدين النقشبندي: شهرزور في محافظة السليمانية، مجلة كاروان (المسيرة)، أربيل ١٩٨٨، العدد ٦٦، ص ١٤٨.

(٥) أنظر المسالك والممالك، بريل ١٨٨٩، ص ٩٤.

(٦) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت ١٩٦٩، ص ٣٧٠.

(٧) مختصر كتاب البلدان، ص١٣٢، لكن جبل قنديل لايمكن رؤيته من داقوق.

(٨) ياقوت الحموي: معجم البلدان، بيروت ١٩٧٩، ج٤، ص ٤٤٩.

وتطرق الرحالة وعالم المدن الإسلامي المعروف ياقوت الحموي المتوفى ٦٢٦هـ = ١٢٢٩م الى هذه القلعة وذكر بأنه رآها بنفسه وهي قائمة على تلة شاهقة، وحواليها عامر، ولها رابض[٩]. لكن ورد إسم نفس المكان عند المؤرخ أبن الأثير الذي عاصر ياقوت الحموي بإسم بلاد كرخيني ضمن حوادث عام ٦٢٨هـ = ١٢٣١م عند حديثه عن حملة التتر من آذربيجان الى أنحاء بلاد كرخيني ودقوقا[١٠].

وحسب هذه المعلومات فإن قلعة كرخيني من الناحية الجغرافية واقعة بين أربيل وداقوق التي تضم قريباً أو بعيداً مدينة كركوك الحالية، وإن قلعة كرخيني هي نفس قلعة كركوك جاءت من الإسم كرخيني** لأنه ورد إسم المنطقة قبل العصر الإسلامي أيضاً بـ(كرخ) أو (بيت كرخي) أو (گرگر)[١١]، وكلمة كرخ أو كرخيني، طرأت عليها تغييرات من حيث التلفظ.

وفي العهد الإسلامي ولأول مرة تشكّل إسم كركوك وشاع على الألسن، مع أن من الصعب تحديد تاريخ ذلك بدقة، لكن في المصادر العربية تأخر ورود إسم كركوك مقارنة بمثيلاتها من المصادر الفارسية. ويجدر القول بصراحة أنه فيما يخص ذلك العصر تواجهنا مشكلة وهي أن المصادر العربية لم تدون أسماء المدن الكُردية في الغالب كما هي، بل أجرت عليها تغييرات لاسيما إذا كان اللفظ خاصاً بإسم مكان أو شخص أو كان الإسم غريباً على اللغة العربية، لذلك حرّفت هذه المصادر بعضاً من هذه الأسماء من حيث إقتطاع عدد من أحرفها أو إضافة حرف مكان آخر أو ما شابه.

كما ونلاحظ أن المصادر الفارسية مناسبة وأكثر دقة الى حد ما من حيث الحفاظ على أسماء المناطق الكُردية، وهذا ما يمكن أن نلمسه أثناء دراستنا للتاريخ الكُردي في العصر الإسلامي. ولاشك أن سبب ذلك يعود الى التقارب اللغوي بين الكُردية والفارسية، ولنا في هذا الصدد نماذج حية لا حاجة بنا للدخول في التفاصيل لأنها تبعدنا عن البحث الذي نحن بصدده.

وسبب إسهابنا القول في هذا المجال أنه قد ورد سابقاً إسم كركوك تخميناً في كتاب (ظفرنامه) الفارسي في بداية القرن التاسع الهجري = الخامس عشر الميلادي عند الحديث حول حملة تيمورلنگ من بغداد الى داقوق، وقلعة كركوك عام ٧٩٦هـ = ١٣٩٣م[١٢].

وهكذا يتبين أن المنطقة عرفت بكركوك في نهاية القرن الثامن الهجري = الرابع عشر الميلادي، ولاشك أن وجود إسم كركوك يعود الى تاريخ أسبق من هذا، حيث لافائدة من التخمين قبل الحصول على معلومات وافية من هذه الناحية.

(٩) ن.م ج٤ ص٤٥٠، أنظر ابن الحق، ن.م، ج٣، ص ١٥٧.
(١٠) الكامل في التاريخ، بيروت ١٩٧٨، ج٩، ص ٣٨٥-٣٨٦.
** وللأستاذ توفيق وهبي آراء أخرى بهذا الصدد، للإطلاع أكثر على الأسماء القديمة لكركوك أنظر مقاله بعنوان «الأصل في تسمية كركوك»، ومحمد حسن روژبياني، مجلة هاواري كركوك، العدد ٣، أربيل ١٩٩٩، ص ٢٨-٤٠.
(١١) جمال بابان، أصول أسماء المدن والمواقع العراقية، بغداد ١٩٧٨، ص ٢٤٧.
(١٢) أنظر الشامي: ظفرنامه بسعي وإهتمام: فلكس تاور، بيروت ١٩٣٧، ص١٤٤-١٤٥ وقارنه مع البزدي: ظفرنامه بتصحيح وإهتمام محمد عباسي، طهران ١٣٣٦، ج١ ص ٤٩٦.

ثانياً- التاريخ السياسي

شهدت منطقة (باجرمي) نهاية عام ١٦هـ = ٦٣٨م مجيء الجيش الإسلامي بعد إندحار الجيش الساساني في معركة جلولاء المشهورة، حيث جهز سعد بن أبي وقاص قائد جيش المسلمين حملة بقيادة هاشم بن عتبة، فتقدم مع الأشعث إبن قيس الكندي زاحفاً نحو الأمام ومروا بمنطقة رازانات، وتمكنوا من إخضاع دقوقا وخاينجار، وفتحوا كامل منطقة باجرمي حتى حدود شهرزور(١٣).

وهكذا أصبحت المنطقة بعد إنتشار الدين الإسلامي فيها جزءً من العالم الإسلامي، وحُكمت منذ الخلافة الراشدية كسائر الممالك الإسلامية الأخرى من قبل الخلافة. ويبدو أن إدارة المنطقة كانت في عهد الأمويين في يد والي الكوفة وذلك بسبب البعد الجغرافي للمنطقة، وبعد ثورة العباسيين عام ١٣٢هـ = ٧٥٠م أصبحت المنطقة جزءً من الإمبراطورية العباسية المترامية وتلقت أوامر الحكم من بغداد.

إن عدم وجود المدن الكبرى والممالك المستوطنة الواسعة في المنطقة وندرة وقوع الأحداث السياسية البارزة فيها وعدم تناول مؤرخي ذلك العصر في مدوناتهم لهذه المعلومات والحوادث، والتي لم تكن بذات أهمية حسب نظر ذلك العهد، كل هذه الأسباب كانت وراء عدم وجود الأخبار عنها. ولذلك ترانا مضطرين بغية ملء صفحة من التاريخ السياسي للمنطقة أن نعتمد على الوثائق والمعلومات التاريخية التي سُجلت في المصادر القديمة حول المدن والمناطق القريبة من كركوك، وذلك لأنها كانت من الناحيتين السياسية والإرادية تابعة للمناطق المعروفة القريبة، وتحت تأثير نفس الأوضاع السائدة في تلك المناطق.

ويمكننا تناول المناطق الثلاث دقوقاً وشهرزور وأربل (أربيل)، التي كانت في العصر الاسلامي من المناطق الكُردية المعروفة كمثلث يضم منطقة كركوك، وذلك بسبب توفر المعلومات التاريخية حولها، إضافة الى وجود المعلومات التاريخية عن منطقة كرخيني نفسها، ومن خلالها يمكن أن نلمس الترابط السياسي بين مناطق كركوك.

مدينة دقوقا الواقعة جنوب مدينة كركوك الحالية بحدود (٤٥) كيلومتراً كانت من أشهر مناطق (باگرمي) (كركوك) في العصر العباسي، وكانت المدينة تحكم في نهاية القرن الثاني الهجري = الثامن الميلادي من قبل رجل كان يدعى أبي ضرغام العجلى، وكانت المدينة على ما يبدو تضم يومئذ قصر الحكمدارية أيضاً(١٤)، وبسبب قربها من عاصمة الخلافة (بغداد) حظيت بالإهتمام وإعتمدت الخلافة في أوقات الشدّة إضافة الى المناطق الأخرى على سكان هذه المنطقة أيضاً(١٥).

في بداية القرن الرابع الهجري = العاشر الميلادي وبعد الضعف الذي أصاب الخلافة العباسية كان الخلفاء يوكلون أمر بعض مناطقهم لقادتهم والمعتمدين لديهم. فنلاحظ أن الخليفة المقتدر بالله

(١٣) البلاذري: فتوح البلدان، ق٢، ص ٢٢٥.
(١٤) إبن الأثير: الكامل، ج٥، ص ١٧٤.
(١٥) أنظر الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج١٠، ص ١٢٥.

أوكل أمر مدينة دقوقا (داقوق) وعدد آخر من المناطق في عام ٣٠٨هـ = ٩٢٠م الى أحد قادته المدعو (بدر الشرابي)[١٦]. ويبدو أن المنطقة تعاقب على حكمها أتباع الخلافة وأوكل أمرها في عام ٣١٧هـ = ٩٢٩م الى (أبو الهيجاء بن حمدان)[١٧] من حمدانيي الموصل، وهكذا حُكمت فترة من قبل الحمدانيين، كما ويظهر أن المنطقة حُكمت في عهد الخليفة الطائع بالله ٣٦٢هـ – ٣٨١هـ = ٩٧٤م – ٩٩١م من قبل الخلافة[١٨].

بعد ضعف سلطة الخلافة المركزية وإنحسار الدولة وإزدياد سلطة الحمدانيين في الموصل والمناطق الأخرى من الجزيرة، برزت هنالك الدولة العقيلية وأصبحت الوريثة لهؤلاء. وفي هذه الأثناء نفسها وتحديداً في عام ٣٨١هـ = ٩٩١م برزت إمارة كُردية بإسم إمارة (عنّازي) في مناطق حلوان، وخانقين، وقرمسين (كرمانشاه)، ومن الثابث أن سلطة هذه الإمارة إمتدت حتى منطقة كركوك. وفي عام ٣٨٧هـ = ٩٩٧م حاول أحد قادة الدولة العقيلية وإسمه (المقلد ابن المسيب) إحتلال دقوقا. وفي العام نفسه أراد أحد قادة أمير البطائح (وكانت منطقة مستنقعات وقصب وبردي واقعة بين بغداد والبصرة) بإسم جبرائيل بن محمد أن يجرب حظه ويحتل بعض المناطق. فجمع من حوله الناس وإشترى عُدّة القتال وجهّز جيشاً وحاول أن يمرّ عبر دقوقا، لكنه وجد نفسه محاصراً من قبل المقلد، وكان الأهالي قد أستنجدوا بجبرائيل لحمايتهم، ويظهر أن المنطقة وقتئذ لم تكن خاضعة للسلطة السياسية للخلافة ودول الجوار، وكانت تُدار من قبل شخصين مسيحيين*** ولم يكن الشعب راضياً عن حكمهما، وقد عاثا فساداً حسب إبن الأثير، فبعثوا بآكنجياني ممثلهم الى جبرائيل لإنقاذهم من ظلم هذين الشخصين، ولذلك أخضع جبرائيل دقوقا وحكمها فترة قصيرة، وكان حاكماً رفيقاً بأهالي المنطقة ورجلاً عادلاً مقتدراً. بعدها تم إخضاع داقوق من قبل المقلد العقيلي، ثم خضعت لسلطة محمد بن عنّاز أمير الإمارة العنازية الكُردية، ثم خضعت تارة أخرى لسلطة العقيليين. ثم سيطر على المدينة القائد البويهي فخر الدولة بن غالب، وعاد في هذه الأثناء جبرائيل بن محمد الى المنطقة ثانية وأستطاع بدعم وإتفاق مع أمير كُردي يدعى الأمير (موسك ابن چكو) أن يطرد المسؤولين التابعين

(١٦) إبن الأثير: ن.م، ج٦، ص ١٦٦.
(١٧) ن.م، ج٦، ص ٢٠١.
(١٨) محمد جميل الروژبياني، مدن كردية قديمة، (السليمانية) ١٩٩٩، ص٦.

*** يبدو أنه وبعد إنتشار الدعوة الإسلامية في منطقة كركوك، بقي عدد من الناس على دياناتهم القديمة منهم النصيرانيين، وليست لدينا معلومات حول تاريخهم في السنوات اللاحقة لمجيء الإسلام، فأحياناً يبرز إسمهم في الأحداث، ويبدو أنه كان لهم دور في المنطقة. وكانت (باجرمي) قبل إنتشار الدين الإسلامي الحنيف فيها مركزاً للنصرانية. وحسب المسعودي فإن رسل السيد المسيح (ع) وصلوا دقوقا وخانيجار. أنظر مروج الذهب ومعادن الجوهر، تنقيح شارل پلا، بيروت ١٩٦٦، ج٢، ص ٣٦٠.
وفي حدود عام ٣٠هـ جال أحد رسل السيد المسيح (ع) وإسمه مارادي بعض مناطق كُردستان وحلّ في نصيبين وباجرمي، ودعا الناس الى الديانة النصرانية (بطرس نصري الكلداني، ذخيرة الأذهان، الموصل ١٩٠٥م، ج١، ص ٣٦) وأنظر كذلك ص ١٠٥. وأشير الى وجود أبرشية، وقد ورد إسمها في تاريخ الكنيسة النسطورية (أنظر توما المرجي، كتاب الرؤساء، ترجمة ألبير ايونا، الموصل ١٩٦٦،ص ٨٥-٩٤). أنظر مينورسكي، شهرزور، دائرة المعارف الإسلامية، القاهرة ١٩٦٩، ج١٣، ص ٤٢٠).

لفخر الدولة، ولكن لم تمض فترة طويلة حتى إحتل المقلد العقيلي المنطقة ثانية[١٩]. ربما إستغرقت هذه المنافسات والصراعات فترة لم يحدّدها المؤرخون القدماء، لكن بشكل عام جرت هذه الحوادث في نهاية القرن الرابع الهجري = العاشر الميلادي.

ويبدو أن المنطقة كانت وحتى عام ٤٢١هـ = ١٠٢٩م خاضعة لسلطة العقيليين، حيث حاصر الأمير أبو الشواك العنازي في هذا العام مدينة دقوقا، التي كان يحكمها مالك بن بدران العقيلي، وطلب منه أبو الشواك تسليم المدينة، لأن المنطقة كانت سابقاً جزءً من المناطق الخاضعة لدولة والده القوية، أي: [الأمير محمد بن عناز]. ويبدو أن بدران تلكّأ في باديء الأمر ولم يعترف له بهذا الحق، لكن بعد أنْ بلغ به الأمر أشدّه سلّم المدينة[٢٠]. وهكذا أصبحت المنطقة ثانية جزءً من ممالك الإمارة العنازية، فإضافة الى تعقيد الوضع السياسي للمنطقة بقيت دقوقا تابعة لسلطة الإمارة.

نلاحظ انه بعد حملة الترك الغزيّين على سلطة الإمارة العنازية، لم يتمكن السلطان طغرل بگ السلجوقي من القضاء على السلطة الكُردية في المنطقة قضاءً تاماً، حيث إعترف في عام ٤٤٣هـ =١٠٥٢م بهذه السلطة مبقياً على الأمير مهلهل بن محمد العنازي على مناطق سيروان، ودقوقا، وشهرزور، وسامخان[٢١]. وقد واصلت الإمارة العنازية حكمها لتلك المناطق زهاء ١٣٠ عاماً أي حتى عام ٥١١هـ =١١١٧م[٢٢].

تاريخ منطقة كركوك في الفترات اللاحقة يميل الى الوضوح الى حدّ ما؛ إذ يبدو انها خضعت بعد عام ٥١١هـ = ١١١٧م لسلطة الإمارة القفچاقية التركمانية، وهذه الإمارة لم تشتهر في التاريخ وليس ثمة معلومات وافية حولها، وجُلُّ ما ذُكر عنها هو: أن سلطتها كانت تضم قلاع شهرزور، ومنطقة كرخيني (كركوك)، ووجدت قبل عام ٥٢٦هـ = ١١٣١م. وقد ورد إسم هذه المناطق عندما هاجمها السلطان مسعود السلجوقي (٥٢٥هـ – ٥٤٧هـ)، ويظهر كذلك أن قفچاق إبن أرسلان تاشي التركماني هو المؤسس الحقيقي لهذه الإمارة الذي وقد بسط حكمه على كافة التركمان في المنطقة، بعد أن عزّز مكانته وسلطته[٢٣].

تعرضت المنطقة إضافة الى اقليم شهرزور في عام ٥٣٤هـ = ١١٣٩م الى حملة الأمير عماد الدين زنگي، الذي يعتبر مؤسس الدولة الأتابكية الزنگية في الموصل، وإستطاع إخضاعها[٢٤]. وعلى هذا كانت مدينة دقوقا أيضاً خاضعة للزنگيين، لأن الخليفة العباسي (المقتفي بأمر الله) هاجمها عام

(١٩) الروذ راوري: ذيل تجارب الأمم، إعتنى بالنسخ والتصحيح ه.ف أمدروز، مصر ١٩١٦، ج٣، ص ٣٠٠. ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص ١٨٧-١٨٨.
(٢٠) أبن الأثير، ن.م، ج٧، ص ٣٤٦.
(٢١) ن.م، ج٨، ص ٥٧.
(٢٢) ن.م، ج٧ ص٢٤٥ فاسيلي نيكيتين، كُرد وكردستان، ترجمة الى الكردية، خاليدي حسامي، (هيدي) أربيل ٢٦٩٨ كُردي، ص ٥٢٩.
(٢٣) إبن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق عبدالقادر أحمد طليمات، القاهرة ١٩٦٣، ص٤٣، ٥٧-٥٨. محسن محمد حسين، أربيل في العهد الأتابكي، بغداد ١٩٧٦، ص ١٧٩.
(٢٤)أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين النووية والصلاحية، بيروت، د.ت، ج١، ص ٣٣.

٥٥٠هـ = ١١٥٥م، وتمكن من إحتلالها ثم إنسحب منها بسبب ضغط الزنكيين[٢٥].

وهكذا أصبح إقليم شهرزور أيضاً جزءً من دولة أتابكية الموصل، التي تعاقب على حكمها العديد من الأمراء والحكام حتى وفاة الأمير سيف الدين غازي الثاني في عام ٥٧٦هـ =١١٨٠م، إذ تولى أخوه عزالدين مسعود أتابكية الموصل[٢٦]. وكانت إدارة شوؤن أربيل وشهرزور، وجزيرة إبن عمر آنذاك مناطة بمجاهد الدين قايماز، والأتابك الجديد في الموصل أي الأمير عزالدين، وما لبث أن إعتُقل قايماز عام ٥٧٩هـ = ١١٨٣م من قبل الأتابك وزُجّ به في السجن. وإنتهز وكلاء ومساعدو قايماز في المنطقة الفرصة ولجّوا في عنادهم معلنين العصيان على الأتابك، وإتباعهم السلطان صلاح الدين الأيوبي، فغدت أربيل وجزيرة إبن عمر منطقتين خاضعتين للسلطان صلاح الدين، ودقوقا تابعة للخليفة، أما الموصل وشهرزور فقد بقيتا من نصيب الأتابك عزالدين مسعود[٢٧].

ويظهر أن قسماً من منطقة كركوك وقعت تحت سلطة الخلافة بسبب مدينة دقوقا، لكن أصبحت ثانية فيما بعد جزءً من الممالك التابعة لصلاح الدين الأيوبي[٢٨]. وبموجب إتفاق بين السلطان صلاح الدين الأيوبي، وأتابك الموصل في عام ٥٨١هـ = ١١٨٥م أُلحقت منطقة شهرزور هي الأخرى بالمناطق الخاضعة لسلطة صلاح الدين الأيوبي[٢٩]. ونلاحظ أن مناطق دقوقا وأربيل وشهرزور آنذاك أصبحت جزءاً من الدولة الأيوبية الكُردية، أي أن منطقة كركوك حُكمت فترة من قبل الدولة الأيوبية، ومن الثابت أن السلطان صلاح الدين الأيوبي إستطاع أن يحدّ من سلطة الإمارة القفچاقية في المنطقة، وكان أميرها في خدمة السلطان، فنصّبه الأخير نائباً له على شهرزور[٣٠].

بقيت المنطقة على هذه الحال حتى عام ٥٨٦هـ = ١١٩٠م، في هذه السنة توفي صاحب أربيل زين الدين يوسف، وطلب أخوه المدعو مظفرالدين كوكبري من السلطان صلاح الدين الأيوبي أن يسند اليه إمارة أربيل، وفي المقابل يتخلى هو عن حرّان ويردُّها ويمنحه مبلغاً من المال، كما عرض عليه أيضاً أن يسند إليه أمر منطقة شهرزور، فوافق السلطان ومنحه له علاوة على أربيل وشهرزور منطقتي دربند قرابلي*** وبني قفچاق أيضاً[٣١].

(٢٥) إبن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٤٧.
(٢٦) إبن الأثير، التاريخ الباهر، ص ١٨١.
(٢٧) إبن الأثير، الكامل، ج٩، ص ١٦٣؛ إبن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، مصر ١٩٥٧، ج٢، ص ١٥٣-١٥٤. وأرسن موسى رشيد: دور مجاهدالدين قيماز في سياسة وإدارة إمارتي أربيل والموصل، مجلة الأبحاث، أربيل ١٩٩٠، العدد الثاني والثالث، الجزء الأول، ص ٢٣.
(٢٨) محمد جميل بندي، مدن كردية قديمة، ص ١١.
(٢٩) إبن شاهنشاه، مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق حسن حبشي، القاهرة ١٩٦٨ ص٢٢٣-٢٢٤.
(٣٠) الأصفهاني: الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود صبح، مصر ١٩٦٥، ص ٢٣٥.
**** دربند قرايلي لم يتناوله علماء المدن القدامى، وثمة من يعتقد أن المقصود به دربند بازيان، أنظر محسن محمد حسين، أربيل في العهد الأتابكي ،ص ٧٣ الحاشية رقم (٢).
(٣١) إبن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٢١٠. إبن شداد، النوادر لسلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الأيوبي)، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٦٤، ص ١٤٤.

يبدو أن القفچاقيين في منطقة كرخيني بقيت لهم سلطة ضعيفة، وكانوا يتبعون الخليفة العباسي الناصـرلدين الله. وفي عـام ٥٧٨هـ = ١١٩١م، قـام السلطان مظفرالدين- بإعتـباره يحكم منطقـة القفچاقيين أيضـاً - بإلقاء أميرهم عزالدين حسن بن يعقوب بن قفچاق في السجن. فشكا الخليفة من ذلك معـاتباً السلطان وبعث برسـول الى السلطان صلاح الدين الأيوبي لأن مظفرالدين كان تابعاً له، يطلب إطلاق سـراحه وإعادته الى كرخيني. ولكن ذُكر أن أمـير القفـچاقيين في منطقـة كركوك قـام بأعمـال سلب ونهب، وإخلال بالأمن، وخلقَ المتاعب للسلطان مظفرالدين، لذلك أبلغ السلطان صـلاح الدين الأيوبي رسول الخليفة أن الأمير المذكور عاث فساداً في الأرض[٣٢]. ومن هذا يتبين أن الأمير كان آخر أمراء القفچاقيين في المنطقة في عهد حكم السلطان مظفرالدين.

وكانت مناطق كرخيني وإقليم شـهرزور تتلقى الأوامـر من أربيل، وفي هذه الفـترة كـانت المنطقـة تتعرض أحياناً للتهديدات الخارجية، كما حدث عام ٦١٧هـ = ١٢٢٠م عندما هاجمها التتر، فطلب الخليفة من صاحبي أربيل والموصل جمع جيش في دقوقا. فجهز السلطان مظفرالدين الجيش وتوجه نحو داقوق، ولما علم التتر بذلك تفرقوا[٣٣]. وفي عام ٦٢٢هـ =١٢٢٥م تتحدث الأخبـار عن هجوم السلطان جلال الدين منكبرتي - آخـر سـلاطين الدولة الخـوارزمية - على مدينة دقـوقا، حيث أبلى أهلها في مقاومتـه بلاءً حسناً وصمدوا، ولكن بعد قتـال عنيف تم إخضـاع المدينة، وأبدى السلطان مظفـرالدين بناءً على طلب الخليفـة مقـاومة، لكن لم يتمكن من الصمـود أمـام جيش السلطان جـلال الدين فقبض عليه ثم أخلى سبيله، حيث وقّع مع السلطان جلال الدين وثيقة صلح مظهراً الطاعة له، وأصبحـا متـحالفين[٣٤]. ولكن المنطقة تعرضت بعد عام ٦٢٨هـ = ١٢٣١م الى حملة واسـعة للتتر، الذين أخضعوا أربيل لفترة وقتلوا خلقاً كثيراً، ثم زحفوا نحو كرخيني ودقوقا وأعملوا السيف في رقاب الناس[٣٥]. فـأعد السلطان مظفرالدين مع الخليفـة جيشـيهما متـعقبين أثر التتار الذين أخلوا البلاد. وبعد أن طوى الجيشان المنطقة حتى شـهرزور لم يعثرا عليهم، فعاد السلطان لمرض ألمَّ به الى أربيل، وإنسحب جيش الخليفة نحو (كرخيني).

لكي نثبت أن منطقـة كـرخـيني كـانت تابعـة لإمـارة أربيل، يجـدر بنا أن نشـيـر الى أن السلطان مظفرالدين سجن في حدود عام ٦٢٩هـ =١٢٣١م أحد رجـال حـاشيـته المدعو مجدالدين أسـعد بن ابراهيم الأربلي وزجّ به في زنزانة قلعـة كـرخـيـني[٣٦]، وذلك لأن السلطـان كـان في ريبـة من أمـر مـجدالدين ويشك في العلاقة بينه وبين الخلافة. وبقي مـجدالدين في سـجن قلعة كرخيني حتى وفاة

(٣٢) إبن شداد ن.م، ص١٩٨-١٩٩.
(٣٣) إبن الأثير، الكامل ج٩ ص٣٣٧-٣٣٨.
(٣٤) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق حافظ أحمد حمدي، القاهرة ١٩٥٣، ص ١٩٣. نصرت الله مشكوتي، من السلاجقة حتى الصفوية، بالفارسية طهران ١٣٤٣هـ، ص ١٥٦.
(٣٥) إبن الأثير، الكامل، ج٩، ص ٣٨٥-٣٨٦.
(٣٦) إبن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، الكتاب منسوب لإبن الفوطي، تحقيق مصطفى جواد، بغداد ١٩٣٢، ص ٢٨-٢٩.

السلطان مظفرالدين عام ٦٣٠هـ = ١٢٢٣م، حين وقعت البلاد في يد الخليفة، وعندذ أخلى الخليفة سبيله[٣٧].

هكذا كان يحكم المنطقة إضافة الى شهرزور السلطان مظفرالدين، الذي يبدو أنه نصّب أعواناً أو نواباً له على منطقة شهرزور، وأحد هؤلاء هو عمادالدين زنگي إبن نورالدين شاه أرسلان الذي حكم المنطقة من عام ٦٢٢هـ =١٢٣٣م. وفي هذا التاريخ أيضاً سقطت إمارة أربيل فدخلت البلاد ثانية تحت حكم الخلافة العباسية[٣٨]، إذ أنها كانت حتى عام ٦٥٦هـ = ١٢٥٨م خاضعة لحكم الخلافة، لتقع بعدها تحت الإحتلال المغولي ومنذئذ ولزهاء قرنين من الزمان عانت المنطقة من غياب الحكم المحلي، وسادتها القلاقل وإضطرابات الناجمة عن مرور القوى الغازية والقوية في المنطقة.

ثالثاً- الإستيطان والتكوين

كانت منطقة كركوك في العصر الإسلامي مركزاً لمستوطنات واسعة، وكانت احدى أهم مدن المنطقة مدينة دقوقا، ثم شهدت منطقة كرخيني إنتعاشاً وتطوراً متزايداً حتى أضحت في حوالي القرن الثامن الهجري = الرابع عشر الميلادي شبه مدينة.

ولايخفى أن لإنتشار الدين الإسلامي الحنيف في المنطقة دوراً في ظهور المدن الجديدة، لأن المدنية الإسلامية أحدثت إزدهاراً إقتصادياً مهماً نجمت عنه الحياة المدينة والإستقرار في المدن[٣٩]. وليس ببعيد أن تكون مدينة كركوك عهدئذ عبارة عن قلعة كرخيني إضافة الى مستوطنات كانت موجودة خارج القلعة[٤٠]. وينبغي القول إن معظم المدن التاريخية كانت في البداية عبارة عن قلعة ثم تطورت وتوسعت. في هذه المرحلة كانت السلطتان السياسية والمعرفية تداران من قبل أصحاب النفوذ في القلعة، لأننا نستطيع أن نجد في القائمين بحراسة القلعة أول جيش وأول العاملين السياسيين، ثم تم تأسيس مجمعات عسكرية في خارجها بسبب التوسع والعمران، ومنه تبدء بواكير المؤسسة الخارجية والبيروقراطية والحاكم القانوني، وكل هذه الأمور تطورت ضمن القلعة قبل وجود أية دائرة أو مؤسسة مستقلة[٤١]، ويمكن أن يكون هذا صحيحاً بالنسبة لمدينة كركوك، كما كانت لبعض المدن الكُردية الأخرى نفس الحالة التاريخية مثل: أربيل، ماردين، آمد... الخ.

لاشك أن الحركة الإقتصادية، كالنشاط التجاري، والإشتغال بالزراعة لعبت دورها في إنعاش منطقة كركوك، وبالتالي في توسّع المستوطنات وتشكيل المدينة. فقد كانت كركوك آنذاك تقع على

(٣٧) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، الدكن ١٩٥٤، ج١، ص ١١١.

(٣٨) الحموي، التاريخ المنصوري، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، عني بنشره ووضع فهارسه بطرس غريار زينويچ، موسكو ١٩٦٠، ص ٣٠٧.

(٣٩) Paul Bairoch Cities and Economic Devlopment, Translated by: Christopher Braidr (London 1988. P, 372.

(٤٠) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٤٥٠.

(٤١) Lewis Mumford: The city in History, (London 1975) P. 121-122.

الطريق التجاري الذي تربط بغداد بأربيل ومنها بالموصل[٤٢] من جهة، ومن جهة أخرى فإن وجود مدينة بكل معنى الكلمة بحاجة الى توفير العمل والمعيشة[٤٣]، حيث أن الزراعة كانت يومها في مقدمة كافة المجالات الإقتصادية***** وهي بحاجة الى الأيدي العاملة، وتؤدي الى زيادة ثقل التجمع المحلي، وبالتالي الى بدء عملية النزوح من المناطق المجاورة، وزيادة السكان في المدينة وإنتعاشها.

ليس واضحاً متى بدأ الإستيطان يتجاوز القلعة الى أطرافها، لكن كما يكشف عن ذلك عالم المدن القديم باقوت الحموي المتوفي ٦٢٦هـ =١٢٢٩م، فإن خارج قلعة كرخيني كذلك كان عامراً بالناس[٤٤]، لأن الحديث عن القلعة ومنطقة كرخيني ورد بشكل مقتضب أو نادر في النصف الأول من القرن السابع الهجري = الثالث عشر الميلادي في المصادر القديمة. من جانب آخر يجب ألاّ ننسى أن قلعة كرخيني في القرن السادس الهجري = الثاني عشر الميلادي كانت عاصمة أو مقر الإمارة القفچاقية[٤٥]، حيث أن قاعدة الإمارة كانت تضم لفترة قلاع شهرزور أيضاً التي يحتمل أن تؤسَّس على الأقل شبه مدينة. وبناءً على هذا فإن كرخيني كانت قبل سقوط الخلافة العباسية مدينة صغيرة – رغم وجوب إعترافنا بحقيقة أنه وحتى قبل ظهور إسم كركوك كانت يُشار دائماً الى قلعتها، والذي له على الأكثر مغزىً عسكري. إذ يقال إن جيش تيمورلنگ هاجم من بغداد الى دقوقا وقلعة كركوك[٤٦]، وورد إسم القلعة لشهرتها ولأنها كانت حصينة، وليس أبداً بمعنى أنها لم تكن توجد خارجها أية مستوطنات، كما هو الحال مع مدينة أربيل، فرغم وجود مستوطنات واسعة في خارج قلعتها منذ القرن الخامس الهجري = الحادي عشر الميلادي لكن أثناء الحروب والغزوات كان إسم قلعة أربيل يرد أكثر من المستوطنات لدورها العسكري ووجود مركز السلطة السياسية فيها.

لكن من حيث التكوين الديموغرافي للمنطقة يجب بيان حقيقة مهمة وهي أن تحديداً دقيقاً لهذا الجانب مليء بتعقيدات كثيرة، للإفتقار لإحصاء تاريخي والمعلومات الضرورية ما جعل الأمر صعباً. ولكن وحسب المعلومات التي بين يدينا يمكننا والى حدّ ما رسم صورة تاريخية لسكان المنطقة.

فقد وُجد الشعب الكُردي في منطقة كركوك منذ أقدم الأزمان واداروا المنطقة بأنفسهم، وأشير الى انها عُرفت في عصور ما قبل التاريخ بـ[آرابخا] وكان تسكنها الأقوام المعروفة الآن بكونهم يمثلون أصول الشعب الكُردي مثل: اللولوئيين الذين حكموا المنطقة[٤٧]، والگوتيين الذين حكموا المنطقة الممتدة من جبال زاگروس حتى منطقة كركوك[٤٨]، فلاشك إذن أبن المنطقة كانت معروفة لا بكثافة

(٤٢) مشترك: أربل، دائرة المعارف الإسلامي، القاهرة ١٩٣١، ج٢، ص ٥٢١.

***** أنظر: Jonathan crusoe: Economic outlook: Guns and Butter Phase two? Iraq in Transition) ed by: Frederic. W. Aelgard U. S. A: 1986 P. 45.

(٤٣) Arnold Toynbee: Cities on the Move (London 1970 P: 198).

(٤٤) أنظر: معجم البلدان، ج٤، ص ٤٥٠.

(٤٥) أنظر: إبن شداد، النوادر السلطانية، ص ١٩٨. أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين، ج٢، ص ١٩٣.

(٤٦) اليزدي، ظفرنامه، ج١، ص ٤٩٦.

(٤٧) رشيد ياسمي، كرد پيوستگي نژادي وتاريخي، طهران د.ت، ج١، ص ٢٦.

(٤٨) محمد مردوخ كردستاني، تاريخ مردوخ، مطبعة أرتشي د.ت، ج١، ص ٦٢.

سكانها الكُرد فحسب، بل حتى إن جبل حمرين عُرف عند قسم من المؤرخين بجبل الكُرد أيضاً[٤٩].

وكان للكُرد وجود في المناطق الواقعة خلف جبل حمرين وحتى شمالي بغداد في العصر الإسلامي. حتى أن الكثير من المناطق الواقعة جنوب وغرب كركوك كتكريت ودسكرة وواسط، التي وجدت فيها قرى وأرياف واسعة كانت مناطق رعي للكُرد والعرب[٥٠]، والمناطق الواقعة شرقي كركوك كخانقين، وبندينجين (مندلي) وقرمسين (كرمانشاه)، وسيروان وسيمره... الخ كانت عصرئذ مناطق كُردية، ومنطقة مثل جبال حلوان عُرفت كمركز إستيطان كُردي[٥١]، بل وأبعد من ذلك وحتى حدود شمال خوزستان في جبال لُرستان، ذكر الى أنها شهدت وجوداً مكثفاً وواسعاً للإستيطان الكُردي فيهافي منطقة واسعة يبلغ إتساعها مسيرة ستة أيام[٥٢]. ولمنطقة كركوك عند طرفها الشرقي حدود مشتركة مع إقليم شهرزور الذي إعتُبر من أشهر الاقاليم الكُردية في العصر الإسلامي، وكان يتألف من منطقة واسعة وكبيرة[٥٣]. وكانت كلها وقتذاك خاضعة لحكم السلطة السياسية الكُردية، وفيها إمارات قوية ذات عز ومنعه مثل: الحسنوية والفضلوية.

كما ويجب أن لاننسى أن المنتاطق الواسعة في الشمال والشمال الغربي من كركوك كانت عبارة عن منطقة كُردية من أهم مدنها أربيل. لذلك وبالرغم من عدم توفرّ المعلومات الديموغرافية عن منطقة كركوك نفسها، فاننا نستطيع الجزم بأن كركوك كانت تقع في قلب إقليم فسيح وواسع يسكنه الشعب الكُردي وقتئذ. أما فيما يتعلق بالوجود العربي في منطقة كركوك فلا تتوفر أيضاً معلومات مباشرة وموثوق بها، مع أن معظم المناطق الكُردية بعد الفتوحات الإسلامية أصبحت بلداناً مفتوحة للعرب، سواء كانوا مقاتلين أو أفراداً في مؤسسات سياسية، أو قبائل ورعاة تستوطن فيها. لقد طرأ في كثير من هذه المناطق الوجود العربي وواضح أن منطقة كركوك أيضاً لم تشذ عن هذه القاعدة، إذ يبدو أن المناطق الجنوبية والغربية والمناطق الريفية من واسط وتكريت ودسكره كان يسكنها إضافة الى الأغلبية الكُردية العرب أيضاً، الذين إستفادوا من المراعي في تلك المناطق[٥٤].

لقد كان مجيء العرب الى هذه المناطق على الأكثر بسبب الجوار الجغرافي لمنطقة كركوك للمناطق العربية السواد****** فكان العرب من أصحاب المواشي والأغنام يترددون اليها طلباً للمراعي، ويسكنون تبعاً لذلك في أماكن متفرقة فيها.

واما فيما يتعلق بمسيرة مجيء التركمان الى المنطقة، فعلينا القول فلا يرد شيء وحتى القرن

(٤٩) إبن خلدون، المقدمة، بيروت د.ت ،ص ٧٤.
(٥٠) الإصطخري، مسالك الممالك، ليدن ١٩٢٧، ص ٨٧.
(٥١) السمعاني، الأنساب، تقديم وتعليق عبدالله عمر البارودي، بيروت ١٩٨٨، ج٥، ص ٥٤.
(٥٢) أبي الفداء، تقويم البلدان، إعتنى بتصحيحه وطبعه رينودو ماك كوكن، باريس ١٨٤٠، ص ٣١٣.
(٥٣) ياقوت الحموي ،معجم البلدان، ج٣، ص ٣٧٥-٣٧٦.
(٥٤) إبن حوقل، صورة الأرض، بيروت ١٩٧٩، ص ٢٢٠.
****** إقليم السواد كان يطلق في العهد الإسلامي على مناطق العراق من الحديثة حتى عبادات، ثم كان يقال بعد ذلك العراق العربي... أنظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٢٧٢-٢٧٥.
(٥٥) Ira Marvin Lapid - us Muslim Cities in the Later Middle Ages (U. S. A: 1976 P. 6).

الخامس الهجري = الحادي عشر الميلادي لدى الحديث عن سكان المنطقة عن الوجود التركي أو التركماني فيها، لكن وبشكل عام في القرن الرابع الهجري = العاشر للميلاد وبسبب ضعف السلطة المركزية للدولة العباسية وانحلالها، طرأ تحول جذري في الحياة السياسية آنذاك وسهّل هذا الضعف فتح مناطق غرب آسيا أمام القبائل التركية التي نزحت من أواسط آسيا اليها، وإستمر تسرّبها الى تلك المناطق طيلة قرنين ونصف، وشيئاً فشيئاً حلّ رؤساء القبائل التركية محل البيروقراطية العربية – الفارسية(٥٥). ويلاحظ أن نزوح التركمان الى المناطق الغربية كان له تأثير على لغتهم وعاداتهم، لذلك فهم يتميزون عن كافة الأتراك الآخرين(٥٦)، بل ثمة مَن يعتقد أن هؤلاء التركمان ليس لهم أية صلة قرابة مع الترك والمغول(٥٧).

بعد أن واجهت المناطق الكُردية من آذربيجان حتى شهرزور فديابكر بين أعوام ٤٢٠ – ٤٤٧هـ =١٠٢٨ – ١٠٥٥م هجمات السلاجقة الغزّ، أصبح هذا التاريخ بداية لمجيء التركمان وإستقرارهم في كُردستان، إذ أنه من الواضح بعد أن إحتل الأتراك السلاجقة بغداد في عام ٤٤٧هـ =١٠٥٥م وصاروا يحكمون الشرق الإسلامي رجحت الكفة لصالح التركمان، فإستقروا ومن موقع القوة في كثير من المناطق ومنها كركوك وحواليها.

إن كيفية إستقرار التركمان في كركوك ليست واضحة، لكنه بدأ يتخذ شكله النهائي في بداية القرن السادس الهجري = الثاني عشر الميلادي، فبعد زوال سلطة الإمارة العنازية الكُردية عن هذه المنطقة عام ٥١١هـ =١١١٧م أخذ التركمان يسارعون في تشكيل السلطة السياسية وتأسيس الإمارة القفچاقية، التي كانت عاصمتها كرخيني، وواصلوا حكمهم بشكل متقطع حتى عام ٥٨٧هـ =١١٩١م، بعدها خضعت المنطقة لحكم السلطان صلاح الدين الأيوبي(٥٨). ويتبين أن الكُرد في بلاد كرخيني ودقوقا كانوا في العهود اللاحقة أيضاً أصحاب سلطة سياسية ولهم أمراؤهم.

لقد مهّدت تلك الظروف لمجيء وإستقرار التركمان في المنطقة، هذا عدا عن وجود مساحة شاسعة من الأراضي، وتوفر مجال العمل، وقرب المنطقة من بغداد، ووجود فجوة في المستوطنات بين المنطقة ذات الأغلبية الكُردية والمنطقة ذات الأغلبية العربية. وهكذا دعت كل هذه الأسباب لزيادة دور التركمان في المنطقة، والإمتزاج بشكل أكثر بسكانها الأصليين، حتى صاروا يعتبرون ثاني قومية في المنطقة بعد القومية الكُردية*******.

(٥٦) بارتولد، التركمان، دائرة المعارف الإسلامية، ج٩، ص ٢٧٦.

(٥٧) أنظر كتاب عنايت الله رضا، إيران والترك في زمن الساسانيين، باللغة الفارسية، طهران ١٣٧٤، ص ٢٩.

(٥٨) إبن شداد، النوادر السلطانية، ص ١٩٨-١٩٩. محسن محمد حسين، أربيل، ص ١٧٩. والقلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق محمد حسين شمس الدين، بيروت ١٩٨٧، ج٤، ص ٣٧٥ بالإقتباس من العمري ،٧٤٩هـ = ١٣٤٨م، مسالك الأبصار.

******* ثمة من يعتقد أن تركمان العراق الحاليين هم من بقايا جيش السلطان مراد الرابع العثماني الذي أخرج العراق من أيدي الصفويين ١٤٠٨هـ = ١٦٣٨م أنظر عبدالرزاق الحسني، العراق قديماً وحديثاً (صيدا: ١٣٧).

رابعاً- النتيجة

يمكننا من خلال هذا البحث الذي يتناول فترة مجهولة من تاريخ كركوك، التوصل الى النتائج التالية:

١- إن منطقة كركوك في عهود بداية إنتشار الدعوة الإسلامية في المنطقة كانت معروفة بـ(باجرمي)، وكانت عبارة عن إقليم واسع، ويبدو أن هذه التسمية عائدة الى عهود ما قبل الإسلام وذات أصل كُردي، ولها صلة بكلمة (باگرمي) الهواء الحار، أو گرم (الحار) الكُردية الأمر الذي يتفق وطبيعة المنطقة الحارة. و(باجرمي) كانت آنذاك تضم ثلاث مناطق وهي، خونيا سابور، ودقوقا، وخانيجار. وكانت مدينة دقوقا أكثر هذه المدن شهرة في التاريخ الإسلامي، وبعد مرور ثلاثة أو أربعة قرون على تثبيت دعائم الدين الإسلامي في المنطقة زالت تسمية باجرمي، وحلت محلها أسماء عدد من المستوطنات الأخرى فيها، مثل (كرخ جدان) و(كرخيني) حيث يعتقد أن هذا الإسم الأخير قد أطلق تماماً على المنطقة التي تقع فيها مدينة كركوك الحالية، وقلعة كركوك هي نفسها قلعة كرخيني السابقة، وحتى تسمية كركوك جاءت من كرخيني وإنتقلت على الشفاه ثم تطورت وأصبحت تعرف بكركوك.

٢- إن التاريخ السياسي لمنطقة كركوك في السنوات الأولى لمجيء الإسلام إليها ليس واضحاً جداً، ويمكن الحصول في القرن الرابع الهجري = العاشر الميلادي لاحقاً على معلومات مكتوبة أكثر حول التاريخ السياسي لكركوك، وذلك تزامناً مع إشتهار المنطقة وكثرة الحوادث التاريخية والوقائع الحاصلة فيها، وقد خضعت المنطقة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري = العاشر الميلادي لحكم الإمارة العنازية الكُردية، والقفچاقية، ثم أتابكة الموصل، فالدولة الأيوبية الكُردية. ولكن أكثر ما حُكمت المنطقة كان من قبل الكُرد، حيث كانت تابعة لشهرزور فترة ولأربيل فترة أخرى. وبعد سقوط إمارة أربيل أصبحت خاضعة لحكم الخلافة العباسية حتى عام ٦٥٦هـ = ١٢٥٨م وسقوط الخلافة بأيدي المغول.

٣- لايعرف بالضبط تاريخ ظهور المستوطنات الواسعة بمعنى المدينة في المنطقة التي تقع فيها كركوك الحالية، ولكن يلاحظ ورود إسم قلعة كرخيني منذ بداية القرن السادس الهجري = الثاني عشر الميلادي، كما أشير في بداية القرن السابع الهجري = الثالث عشر الميلادي الى وجود المستوطنات عند القلعة. وعلى هذا فقد كانت كرخيني وقتئذ عبارة عن شبه مدينة، خصوصاً عندما كانت لفترة مقراً للإمارة القفچاقية، ثم أخذت تتطور وتنتعش تدريجياً وذا ع صيتها.

٤- التكوين الديموغرافي للمنطقة كان في البداية بسيطاً ومتماسكاً لكنه تعقّد بعدها، وكانت أغلبية الشرائح الإثنية للمنطقة كحقيقة تاريخية كانت كُردية دائماً، ثم إستوطن فيها العرب مع بدء الفتوحات الإسلامية، وجاء بعدهم بأربعة قرون التركمان، وتهيأت لهم فرصة الإستقرار بتأثير سلطة الأتراك السلاجقة والتحولات السياسية التي طرأت على الخلافة والشرق الإسلامي عموماً.

محتويات الكتاب

تقديم 5
كلمة ممثل الرئيس مسعود البارزاني 7
كلمة محافظة أربيل 11
كلمة ممثل رئاسة المجلس الوطني لكُردستان العراق 13
كلمة ممثل حكومة إقليم كُردستان العراق 15
كلمة محافظة كركوك 17
كلمة اللجنة العليا لمؤتمر كركوك 22

البحوث:

البعد القومي للإستيطان العربي في محافظة كركوك 27
مدينة كركوك: تاريخياً – إثنوغرافياً – ومحاولة التعريب 37
كركوك وثورة أيلول المجيدة 50
دور مياه الكُرد في تعريب محافظة كركوك 56
كركوك: دراسة جيو – تأريخية 71
أثر نفط كركوك على ترحيل الكُرد من كركوك وتعريبها 99
الكُرد وحكاري وكركوك... أهم حلقة في الإثنوغينيسيا الكُردية 113
جيولوجية منطقة كركوك وأثرها على تجمع النفط 124
كركوك في العصور القديمة 138
مشكلة تعريب كركوك قديماً والى اليوم 182
التكيف الإجتماعي لمرحّلي مدينة كركوك 203
منطقة كركوك في العصر العباسي 227